أصوات حيوية

نساء يُغيِّرن العالم

أليس نيلسون

أصوات حيوية

نساء يُغيِّرن العالم

تأليف
أليس نيلسون

ترجمة
ضياء ورَّاد

مراجعة
هاني فتحي سليمان

هنداوي

أصوات حيوية

أليس نيلسون

Vital Voices

Alyse Nelson

الطبعة الأولى ٢٠١٧م
رقم إيداع ٢٠١٦/٨٤٩٠
جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٠١٢/٨/٢٦

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره
وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه
٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة
جمهورية مصر العربية
تليفون: ٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥٢ + **فاكس:** ٢٠٢ ٣٥٣٦٥٨٥٣ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

نيلسون، أليس.
أصوات حيوية: نساء يُغيِّرن العالم/تأليف أليس نيلسون.
تدمك: ٩٧٨ ٩٧٧ ٧٦٨ ٤٩٥ ٨

١-حقوق المرأة
٢-المرأة – تراجم
٣-الديمقراطية

أ-العنوان

٣٠١٫٤١٢

تصميم الغلاف: خالد المليجي.

يُمنَع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية، ويشمل ذلك التصوير الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مضغوطة أو استخدام أية وسيلة نشر أخرى، ومن ذلك حفظ المعلومات واسترجاعها، دون إذن خطي من الناشر.

Arabic Language Translation Copyright © 2017 Hindawi Foundation for Education and Culture.
Vital Voices
Copyright © 2012 by Vital Voices.
All Rights Reserved.
Authorised translation from the English language edition published by John Wiley & Sons, Inc. Responsibility for the accuracy of the translation rests solely with Hindawi Foundation for Education and Culture and is not the responsibility of Wiley. No part of this book may be reproduced in any form without the written permission of the original copyright holder, John Wiley & Sons Inc.

المحتويات

شكر وتقدير ٩
تمهيد ١٧
مقدمة ٢١
١- قوة دافعة أم شعور بالواجب؟ ٢٩
٢- جذور راسخة في المجتمع ٥٩
٣- القدرة على الوصل بين مواطن الفصل ٩٣
٤- أفكار جريئة وأفعال جسورة ١٢٥
٥- رد الجميل ١٦١
الخاتمة ١٨٩
كلمة ختامية ٢٠١
معلومات إضافية عن السيدات اللاتي سُلِّط عليهن الضوء في هذا الكتاب ٢٠٣
ملاحظات ٢١٧
مصادر الصور ٢٣١

إلى النساء اللاتي ألهمتنا أصواتهن، وجعلتنا ننحني أمامها تواضعًا، ودفعتنا إلى الأمام، وإلى اللاتي ما زلن يُكافحن من أجل أن تُسمَع أصواتهن.

شكر وتقدير

استُلهم هذا الكتاب وما تضمَّنه من دروس في القيادة من رحلة حول العالم دامت سبعة عشر عامًا، وبفضل النساء اللاتي عملنا معهن طيلة هذه الرحلة، واللاتي أثَّرن في حياتنا وشكَّلن عمل منظمة أصوات حيوية. وما تعلمناه منهن جعل منظمة أصوات حيوية أفضل حالًا وأكثر قدرة على دعم غيرهن من النساء حول العالم ومؤازرتهن. هدفنا من هذا الكتاب نقل هذه الدروس إلى أكبر عدد ممكن من النساء يمكننا الوصول إليه، على أمل أن تستمد الأخريات اللاتي يطمحن إلى إحداث تغييرٍ الإلهامَ والتوجيه والعزم من الآراء والقصص والإنجازات التي حققتها النساء اللاتي تحدثنا عنهن. عندما بدأتُ التخطيط لتأليف هذا الكتاب، أخبرني كثيرون أنه يكاد يكون أمرًا مستحيلًا أن أُؤَلِّف كتابًا وفي نفس الوقت أدير منظمة سريعة النمو، لكنني، في الواقع، وجدت سردي قصص هؤلاء القائدات الرائعات يزيد بشدة من حماسي؛ إذ أكَّد قوة نموذج القيادة الجديد هذا. تدويني هذه القصص وأنا أجوب العالم للتعاون مع قائدات أصوات حيوية دفعني لبذل مجهود أكبر، فغرست بكل فصل مصدرًا جديدًا للإلهام. بادئ ذي بدء، يجب أن أشكر القائدات المدهشات اللاتي سمحن لي أن أنشر قصصهن عبر صفحات هذا الكتاب. إنه لشرف لنا أن ندعمهن.

أتقدم بخالص الشكر للسيدة هيلاري رودام كلينتون؛ المؤسِّسة لمنظمة أصوات حيوية لرؤيتها وقيادتها. أكثر ما يعجبني بها ما علَّمتني إياه في بكين: القادة الحقيقيون يسعون إلى إيصال أصواتهم، ويتطلعون إلى السلطة من أجل تمكين الآخرين. كذا أوجه شكري إلى السيدة مادلين أولبرايت؛ وزيرة الخارجية السابقة. فلم تتوانَ هاتان السيدتان عن التحدث بالنيابة عمن لا صوت لهن. ولقد عكفتا على استخدام منبريهما للنهوض

بدور المرأة في عالمنا قبل أن يكون ذلك هو المتعارف عليه، أو الاتجاه السائد أو حتى المقبول في المجتمع. نشعر بالامتنان لهما أيما امتنان.

من أعظم الدروس التي تعلمتها من عملي مع منظمة أصوات حيوية أن أفضل النتائج تخرج من رحم التآزر. وهذا الكتاب ليس استثناءً من القاعدة. وأوجه كلمة شكر للمتعاونين الرئيسيين معي: آرون كيسنر، وأليسون وايز، ولورين وولاك؛ فما قاموا به من تحرير ومجهود ذهني، وما قدموه لي من تشجيع ودعم مستمرَّين طوال كتابتي لا يقدَّر بثمن. فآرون؛ المدير المبدع بأصوات حيوية وأحد أكثر الرواة الذين أعرفهم إبهارًا، ساعد على توجيه وإرشاد قائدات أصوات حيوية. أما أليسون ولورين؛ اللتان تعاونتا مع المنظمة لسنوات طوال، فقد ساعدتا على تطبيق نموذج القيادة الذي ابتكرناه على أرض الواقع.

أشكر شريكتَيَّ: سوزان ديفيز؛ رئيس مجلس إدارتنا، وبوبي جرين ماكارثي؛ نائبتها، على كرمهما والتزامهما الرائع تجاه المنظمة، وأشكرهما على إخلاصهما للسيدات اللاتي نساعدهن. لقد تعلمت الكثير من العمل جنبًا إلى جنب مع هاتين السيدتين الذكيتين والموهوبتين. دعمهما لي ولهذا المشروع منذ بدايته منحني تشجيعًا لا يوصف.

شكرًا لكارين ميرفي؛ محررتي، وفريقها في جوسي-باس/وايلي. آمنت كارين بمشروع هذا الكتاب منذ يومه الأول. أقدِّر كثيرًا نصائحها وتدخلاتها التحريرية، وكل خطوة خطتها في سبيل إنجاز هذا المشروع؛ فلولا تشجيعها الرقيق — الذي كان يصير جديًّا عندما كانت الضرورة تدعو لذلك — لما تمكنت أبدًا من إنجاز المشروع.

جزيل الشكر لفيلكا لافلير، سارادا بيري، جوليا لام، اللاتي قرأن وعدَّلن المسودات وشجعنني على بذل مزيد من الجهد.

أنا صنيعة منظمة أصوات حيوية، ولن أتمكن أبدًا من رد جميل ميلان فرفير وماري دالي يريك؛ مكافأةً للسنوات التي قضتاها في تطويري. لا يسعني سوى أن أعِدَهما برد الجميل؛ الساعات الطوال التي قضتاها في توجيهي وإعدادي والإيمان بي. وبتوليهما منصبَيْ رئيسة مجلس الإدارة ونائبة رئيسة مجلس الإدارة الفخرية، بعد أن عملتا في السابق رئيستين تنفيذيتين بالمشاركة، فقد وضعتا اللَّبِنات الأولى لمنظمة أصوات حيوية، وبجهودهما التي لا تكلُّ، وإخلاصهما الإيثاري للسيدات اللاتي ساعدنهن، رسمتا لي مسارًا كي أسير عليه.

أتوجه بالشكر للرئيستين الشرفيتين لمنظمة أصوات حيوية بالمشاركة: السيناتور كاي بيلي هتشيسون، والسيناتور السابقة نانسي كسباوم بيكر؛ لقيادتهما ودعمهما

للمنظمة على مدار سنوات، وأشعر بالامتنان للمؤسِّسة المشارِكة للمنظمة؛ وزيرة الخارجية السابقة السيدة مادلين أولبرايت؛ لكشفها الحقيقة باستمرار أمام أهل السلطة، ولترويجها لأجندة المرأة في مختلف أنحاء الكوكب، كما أشعر بالامتنان للسيدة لورا بوش؛ السيدة الأولى السابقة — وهي مناصرة عتيدة للنساء في بعض من أكثر بقاع العالم ظُلمة — لقيادتها وصداقتها.

أتوجه بالشكر إلى القائدات اللاتي ألهمن كل فصل من هذا الكتاب بكلماتهن الحكيمة؛ فكل واحدة منهن تغرس في كل ما تفعله الحماس والالتزام بتقدُّم المرأة. ويجب أن أشكر عضوة مجلس الإدارة وسيدة الأعمال ومصممة الأزياء، دايان فون فيرستنبيرج؛ لرؤيتها الجريئة وكرمها الفياض، وعضوة مجلس الإدارة الفخرية نجوزي أوكونجو-إيويالا؛ وزيرة مالية نيجيريا، للنموذج الشجاع الذي ضربته، والممثلة وعضوة مجلس إدارة المنظمة سالي فيلد؛ لدعمها الذي لا يلين منذ الأيام الأولى للمنظمة، والرئيسة السابقة لشيلي والمديرة التنفيذية لهيئة الأمم المتحدة للمرأة ميشال باشيلي؛ لقيادتها التي تُضرب بها الأمثال.

أتوجه بالشكر إلى الأمهات المؤسِّسات وعضوات مجلس الإدارة الأُولَيات لمنظمة أصوات حيوية — الداعمات الثقات للمنظمة وموجِّهاتها الرائعات — جوديث ماكهيل، ودونا كوكران ماكلارتي، وماري-لويز أوتس. إن مجلس إدارة أصوات حيوية بأَسْره يستحق تقديرًا خاصًّا؛ لتفاني عضواته في عملهن، ولأنهن وهبن وقتهن وخبرتهن ومواردهن: جاسبال بندرا، بيث بروك، بول شارون، تيا كوداهي، ديبي دينجيل، السفيرة باولا جيه دوبريانسكي، سوني دوكسر، سامية الفاروقي، مار سي فورستر، نانسي فولجر، البارونة ماري جودي، كيت جيمس، السفير كريج جونستون، الدكتورة أليس كاندل، الدكتورة كارول لانكستر، مارلين مالك، سوزان ماكارون، في سو مولينا، سوزان نيس، الدكتورة كارين أوتازو هوفمايستر، دينا حبيب باول، نانسي براجر-كامل، فيكتوريا سان، روزلين سويج، كاثلين فان. كما أود أن أعرب عن تقديري لعضوات مجلس إدارة أصوات حيوية الفخريات اللاتي لا يتوقفن عن دعم عملنا: السفيرة إليزابيث فرولي باجلي، بيتي بامبرز، الدكتورة جيل إسكول، جان بيرسي. والشكر إلى تيريزا لور؛ المديرة المؤسِّسة للمنظمة، لتكريسها جهودها للمنظمة وقيادتها إياها إبان سنواتها الأولى. كما أود أن أتقدَّم لها شخصيًّا بالشكر على ثقتها بي في عام ١٩٩٦، وللسفيرة المبهرة سواني هانت — صاحبة فكرة «أصوات حيوية» — التي اختارت اسم المنظمة واستضافت أول مؤتمر

في عام ١٩٩٧، وهو الذي أحدث حراكًا كبيرًا. أشعر بالامتنان لكل ما قامت به للنهوض بحقوق المرأة وتعزيز فرصها حول العالم.

أشعر بأنني محظوظة لأنني عملت بمنظمة أصوات حيوية إلى جانب فريق رائع من النساء والرجال الأذكياء والمتحمسين والمبهرين. أشكر فريق أصوات حيوية كله على كل العمل الذي يؤديه يوميًّا بإصرار وإخلاص وتفانٍ. شكري إلى كاثي هندريكس كونها شريكة لا تقدَّر بثمن وصديقة صدوقة طوال هذه الرحلة. لقد تركتْ بصمتها على الكثير من جوانب المنظمة، ومنها هذا الكتاب؛ فبفضل سرعة بديهتها وحكمتها، أصبح كل مسعًى سعينا إليه أكثر تشويقًا. شكرًا لفريق الاتصالات الاستراتيجية المتألق بالمنظمة تحت قيادة نائبة رئيس المنظمة مارجو برجين، إضافة إلى آن هوفمان، فيكي لولز، كاتي ستانتون، وكذا إلى جيني موريس؛ مديرة الشراكات الاستراتيجية، لدعمهن لي طوال تأليفي لهذا الكتاب. وأود أن أخص بالشكر فيكي؛ لالتزامها تجاه هذا الكتاب بالقراءة والتحرير وتقديم التعليقات المدروسة في كل خطوة من خطوات إعداده. وشكري أيضًا لآني هورفيتس؛ الباحثة والاستقصائية الخبيرة التي تتبعت المعلومات والصور، ونظمت المقابلات الشخصية، ووافتني بكل التفاصيل للوفاء بالمواعيد النهائية. أتوجه بالشكر لمن أجروا الأبحاث من أجل هذا الكتاب: كاري هوج، إميلي إيدجكوم، وإلى صاحبة الرؤية الثاقبة مايرا بوفنيك، التي نفخر بأن نطلق عليها زميلة كُبرى بمنظمة أصوات حيوية؛ لما لمسناه منها من حكمة، ولما قدمته لنا من مشورة. شكر من القلب إلى جميع أعضاء المنظمة الذين لم يبخلوا بالتعليقات والعون بمختلف الطرق: صوفيا عزيز، مايا بابلا، دريجيه بيلاي، جوليا بيلينجز، كريس كار، برناديت كاستيو، فيكي كيت، آشلي تشاندلر، ديام دال، سيندي داير، كريستي إدواردز، سارا إوينج، ريبيكا جانستر، كريستين جيرمان، سيلينا جرين، يابا هافر، نيكول هاوسبيرج، إيما هيرش، دينا جون، دفنا كابنيك، ماري ماكفرسون، إنيولا مافي، شيلبي ميركل، ميليسا مورالس، جينيفر موريس، كاثرين ناستيفا، ماليني باتل، ماريا بينيا، يوجينيا بوديستا، جيليان روبنسون، هيلا روبنسون، ميليسا سبيربر، كيانوش تاهباز صالحي، ساندرا تايلور، سارا فانديبوت، ميكدس ولدماريام.

الشراكة جزء لا يتجزأ من عملنا بمنظمة أصوات حيوية. جزيل الشكر إلى شركائنا الذين نقدِّرهم أيما تقدير، وفيهن الرائعة تينا براون؛ لاستخدامها سلطتها ومنبرها من أجل تسليط الضوء على قضايا المرأة حول العالم، وإلى فريقها النشط في موقع «نساء في

العالم»، لا سيما كيم أزريلي وكايل جيبسون. أتوجه بالشكر إلى سوزان ماكارون وفريقها في شركة إكسون موبيل، وأخص بالذكر بيث سنايدر ولوري جاكسون اللتين ساعدتْنا قيادتهما ونصائحهما الاستراتيجية على بناء شراكة عالمية لسيدات الأعمال جمعت أفضلهن على الإطلاق من أجل دعم رائدات الأعمال حول العالم. ويجب أن أشكر باتي سيلرز وفريقها في مؤسسة فورتشن، وكذا كريس ماينر ووزارة الخارجية الأمريكية على تعاونهم الرامي إلى تكوين شراكة التوجيه العالمية بين مجلة فورتشن ووزارة الخارجية الأمريكية. وافر الشكر إلى آن فينكان لقيادتها الحكيمة، وإلى شريكاتنا الأخريات في بنك أوف أمريكا، لا سيما رينا دسيستو، بام سيجل، كاثلين برادي؛ لإسهاماتهن في وضع برنامج السفيرات العالميات لسد الفجوة في القيادة النسائية حول العالم، وكذا أشكر المفعمة بالحيوية كاي كريل وشريكاتنا بشركة آن، وأخص كاثرين فيشر، على شراكتنا الخلاقة حول مبادرة آن باور؛ وهو برنامج لتمكين الفتيات حتى يصرن قائدات يتمتعن برؤية عالمية. فائق التقدير إلى دينا باول، ونوا ماير؛ شريكتينا بمبادرة «١٠ آلاف سيدة» برعاية بنك جولدمان ساكس، على توليهما زمام القيادة على الدرب، وكونهما شريكتين مخلصتين وصديقتين صدوقتين لسنوات طوال. كما أشكر كارول كيرزيج وفريقها، بمؤسسة آفون التي لعبت دورًا مهمًّا في إقامة «الشراكة العالمية لمناهضة العنف ضد المرأة» بالتعاون معنا. وأشكر شريكاتنا في وولمارت، لا سيما سوزان تشامبرز، سيلفيا ماثيوز برويل، ليسلي داخ، سارا ثورن. وأتوجه بالشكر إلى وزارة الشئون الخارجية الهولندية، والبنك الدولي، والبرنامج الأسترالي للمعونات، وبرنامج نيوزيلندا للمعونات، وأخص بالشكر أماندا إليس على قيادتها والتزامها المنقطع النظير. أشعر بالامتنان لمبادرة كلينتون العالمية ومؤسِّسها وقلبها النابض الرئيس بيل كلينتون؛ لاستخدامه منصبه الفريد وشهرته في لفت الأنظار إلى ما تعانيه نساء كثيرات حول العالم.

بالغ الشكر إلى من استثمروا وقتهم ومواردهم السخية في عملنا، وأخص بشكري بول إي سينجر وآني ديكرسون من مؤسسة بول سينجر وشبكة أميديار. جزيل الشكر إلى أصدقائنا وشركائنا بجماعة نيويورك: بوب شرام، روجان كيرش، إلين توسكانو. شكر خاص إلى لوسيلا ميلوني وفريق دايان فون فيرستنبيرج. إننا نعتز بهذه الشراكة التي لا تقدَّر بثمن، كما أود أن أعبر عن شكري إلى سيندي ليف، وسوزان جودال، وشركائنا بمجلة «جليمور»؛ لطرحهم قضايا المرأة العالمية في الأوساط العامة.

شكر خاص إلى فيليب راينس لدعمه المستمر لهذا المشروع، وإلى مارلين دولمان وويتني أولجود على النصائح الخبيرة التي قدمتاها لي. كما أود أن أشكر أندرو زولي وليثا

فيلدرمان وفريقهما بمنظمة بوب تيك؛ لأنهم كانوا مصدر إلهام لي، ولترتيبهم للقائي بكارين ميرفي ووضع تصور لهذا المشروع.

تحية كبيرة إلى الرجال الرائعين الذين آمنوا بمنظمة أصوات حيوية ودعموا عملنا بمختلف السُّبل من وراء الكواليس منذ أيام التأسيس الأولى: جون يريك، فيل فرفير، توماس «ماك» ماكلارتي، باتريك ماكارثي.

أشعر بالامتنان للعضوات المتفانيات بالمجلس الاستشاري لمنظمة أصوات حيوية. وقد أشرنا إلى كثيرات منهن في هذا الكتاب؛ أشكرهن على الشراكات التي شكَّلناها معهن، وعلى ما لمسناه منهن من التزام على مدار السنين.

أتوجه بالشكر إلى مجلس داعمات منظمة أصوات حيوية في كونيتيكت بقيادة روبرتا كوبر؛ لإخلاصهن للسيدات بشبكة أصوات حيوية. أشكر كارول ماك وكلًّا من الكاتبات المسرحيات: باولا سيزمار، كاثرين فيلو، جيل كريجل، روث مارجراف، آنا ديفر سميث، سوزان يانكوفيتش، اللاتي بثثن الحياة في قصصٍ عديداتٍ من نساء أصوات حيوية بعرضها على خشبة المسرح في مسرحية «سبعة» التي جابت العالم، ولاقت استحسان وإعجاب الكثيرين.

أتوجه بخالص الشكر إلى فروع أصوات حيوية وقياداتنا اللاتي يقُدن شبكات أصوات حيوية لسيدات الأعمال حول العالم: شيلا أمداني؛ عضوة مجلس إدارة رابطة مالكات الأعمال التجارية في كينيا، جولييت أسانتي؛ رئيسة نادي إيجل لتمكين المرأة، أديولا عزيز؛ رئيسة مجلس إدارة منظمة «النساء في الإدارة والأعمال الحرة بنيجيريا»، مابيل كيجوندو؛ عضوة مجلس إدارة جمعية رائدات الأعمال بأوغندا، كونيالالا مافيسا؛ رئيسة رابطة سيدات أعمال جنوب أفريقيا، إيفا مورايا؛ رئيسة رابطة مالكات الأعمال التجارية في كينيا، جينيفر مويجوكي؛ رئيسة جمعية رائدات الأعمال في أوغندا، بولين أوفونج؛ عضوة مجلس إدارة جمعية رائدات الأعمال في أوغندا، فانمي روبرتس؛ عضوة مجلس إدارة منظمة «النساء في الإدارة والأعمال الحرة بنيجيريا»، آمال المصري؛ عضوة مجلس إدارة منتدى سيدات الأعمال الفلسطينيات، فايزة السيد؛ نائبة مجلس إدارة مجلس سيدات أعمال دبي، أفنان الزياني؛ عضوة مجلس إدارة جمعية سيدات الأعمال البحرينية، عائشة الفردان؛ نائبة مجلس إدارة رابطة سيدات الأعمال القطريات، شيرين علام؛ المؤسسة التنموية للسيدات المصريات للعمل الحر (مصر)، خالدة أزبان؛ نائبة رئيس وعضوة مجلس الإدارة التنفيذية لرابطة سيدات الأعمال في المغرب، خديجة بلهادي؛ رئيسة جمعية

الجزائريات المسيرات وسيدات الأعمال، آمال بوشماوي؛ النائبة الأولى لرئيسة الغرفة الوطنية لصاحبات المؤسسات (تونس)، لانا الدجاني؛ من نادي صاحبات الأعمال والمهن (الأردن)، حنان صعب؛ رئيسة الرابطة اللبنانية لسيدات العمل، كارمين أيرين ألاس؛ المؤسسة المشاركة ورئيسة فرع أصوات حيوية بالسلفادور، ناداج بوفيل؛ رئيسة فرع نساء في الديمقراطية، ماريا يوجينيا بريزويلا؛ المؤسِّسة المشاركة ونائبة رئيسة أصوات حيوية بالسلفادور، لورا بوسنيِّي؛ المؤسِّسة المشاركة وأمينة الصندوق بأصوات حيوية بالأرجنتين، كريستيانا كامورو؛ المؤسِّسة المشاركة لأصوات حيوية بنيكاراجا، مرسيدس ديشون؛ المؤسِّسة المشاركة لأصوات حيوية بنيكاراجوا، كلاريسا إسيثا؛ المؤسِّسة المشاركة لأصوات حيوية بالأرجنتين؛ سيلفيا جريدا؛ المؤسِّسة المشاركة ورئيسة مجلس إدارة أصوات حيوية بجواتيمالا؛ آنا جولدمان؛ المديرة التنفيذية لأصوات حيوية بالأرجنتين، خوانا هيل؛ الرئيسة المشاركة لمنظمة أصوات حيوية بالسلفادور، ماريا جابرييلا هوخ؛ المؤسِّسة المشاركة ورئيسة أصوات حيوية بالأرجنتين، كانديس لويد؛ المؤسِّسة المشاركة لأصوات حيوية بهندوراس، كلوديا باتريشيا لونا؛ «مؤسسة المرأة من أجل المرأة»، دانييلا مارتن؛ عضوة مجلس الإدارة بأصوات حيوية بالأرجنتين، سيسيليا مارتينيز؛ المديرة التنفيذية لأصوات حيوية بهندوراس، ماري كارمل ميكاود؛ المديرة التنفيذية لمنظمة «نساء من أجل الديمقراطية»، رينا ماكبيك؛ من فرع أصوات حيوية بفنزويلا، آنا ماريا أوسوريو؛ المديرة التنفيذية لأصوات حيوية بالسلفادور، ماريا باتشيكو؛ المؤسِّسة المشاركة لأصوات حيوية بجواتيمالا، لورينا بياسه؛ المؤسِّسة المشاركة لأصوات حيوية بالأرجنتين، جيسيلا بوراس؛ رئيسة أصوات حيوية ببنما، ماريا نيلي ريباس؛ المؤسِّسة المشاركة لأصوات حيوية بنيكاراجوا، ماريا ليليانا رويس؛ المديرة التنفيذية لأصوات حيوية بجواتيمالا، دانييل سان-لوت؛ المؤسِّسة المشاركة لمنظمة «نساء من أجل الديمقراطية»، آن-فاليري تيموثي ميلفورت؛ المؤسِّسة المشاركة لمنظمة «نساء من أجل الديمقراطية»، مابيل بلاسكيس؛ المؤسِّسة المشاركة لفرع أصوات حيوية بهندوراس، إجدا فيليس؛ المؤسِّسة المشاركة لفرع أصوات حيوية بنيكاراجوا، آني بيال؛ المديرة التنفيذية لفرع أصوات حيوية ببنما، إيسيس بيباس؛ المديرة التنفيذية لفرع أصوات حيوية بفنزويلا، ريخينا وونج؛ المؤسِّسة المشاركة لفرع أصوات حيوية بهندوراس، جلاديس ساراك؛ مؤسِّسة ورئيسة فرع أصوات حيوية ببيرو، آنا سابالا هانون؛ المديرة التنفيذية لفرع أصوات حيوية بنيكاراجوا.

أتقدم بجزيل الشكر إلى مَن سبقوا من أعضاء ومستشاري منظمة أصوات حيوية، الذين أقدِّرهم كل تقدير، والذين أسهموا في تشكيل المنظمة: أنيتا بوتي، ستيف وورناث،

وينشي يو، لورا أرديتو، ألفين أولجود، زووي دين سميث، إضافة إلى الرئيسة السابقة للمنظمة: ساندرا ويليت جاكسون، وأتوجه بالشكر إلى أولَيَات المدربات والموجِّهات بأصوات حيوية: ستيفاني فوستر، كارين شيبمان، جيل شوكر، ماري ديفيز هولت، كما أتوجه بالشكر لمن كرَّسوا حياتهم لهذه القضية، وأذكَوا جذوة الحوار بكتاباتهم وجهودهم: إيزابيل كولمان، وجايل تسيماك ليمون بمجلس العلاقات الخارجية، والكاتبين الحاصلين على جائزة بوليتزر: نيك كريشوف، وشيريل وودان. شكر خاص إلى القائدات الرائعات اللاتي يعملن من أجل النهوض بالمرأة: زينب سلبي؛ مُؤسِّسة منظمة «امرأة لامرأة»، على قيادتها، وبات ميشيل؛ المسئولة التنفيذية لمركز بالي للإعلام، وإليزابيث فاسكيز؛ الرئيسة والمسئولة التنفيذية والمؤسِّسة المشاركة لمنظمة وي كونيكت، وريتو شارما؛ الرئيسة والمؤسِّسة المشاركة لائتلاف «نساء يتألقن حول العالم». وكذا إلى جميع المؤيدين العظماء للقائدات اللاتي وهبن حياتهن في سبيل هذا العمل النبيل.

أقدِّر كثيرًا من أسهموا بمواهبهم الفنية في هذا الكتاب عن طريق التصوير الفوتوغرافي للقيادات النسائية اللاتي سُلِّط عليهن الضوء عبر صفحات الكتاب: آرون كيسنر، كيت كامينجز، ميكي وسويدل، ماريا سوشينكو، شارون فارمر، وزارة شئون المرأة في بيرو، جوش كوجان، آمي دراكر، مكتب بريس آي فوتوجرافي للتصوير الفوتوغرافي بأيرلندا الشمالية، مبادرة كلينتون العالمية، ألكساندر إفشين، منظمة قارب السلام، ليو يولين، كريس رايت، أرشيف منظمة كلكتا سانفيد، بي راجيسواري، شيزا شهيد، ليزا نيب.

وأتوجه بالشكر إلى الرائعة ميشيل بوهانا لمساعدتنا في استكمال هذه الرحلة الجبارة.

على المستوى الشخصي، ينبغي لي أن أتقدم بالشكر إلى عائلتي الرائعة: إلى جون وماري، ووالدي، وإلى واي، وهيزر، وراشيل، وديفيد، ونالا؛ لأنهم غرسوا بداخلي ظمأً لا يُروى وحماسًا لا يفتر لتغيير العالم، كما بثُّوا في نفسي الشجاعة وروح المبادرة كي أرسم لنفسي نهجًا خاصًّا بي؛ ومنحوني الارتياح الذي أستمدُّه من علمي أن هناك دومًا من يؤمن بجمال أحلامي. وأشكر هاردين لانج على صبره ودعمه المتواصل.

تمهيد

بقلم: السيدة هيلاري رودام كلينتون؛ مؤسِّسة منظمة «أصوات حيوية»

في عام ١٩٩٥، التقت وفود ١٨٩ دولة في بكين لحضور مؤتمر الأمم المتحدة العالمي الرابع المعني بالمرأة. وقد ألقيتُ كلمة أمام الجمع المحتشد قلت فيها إنه قد آن الأوان لكسر حاجز الصمت.

فلن نقبل بعد الآن أي فصل بين حقوق المرأة وحقوق الإنسان، ولن تُجرَى بعد اليوم المناقشات حول «قضايا المرأة» في الغرف المغلقة دون أن يُلتفت إليها.

بدأت منظمة «أصوات حيوية» نشاطها كمبادرة حكومية إبان إدارة كلينتون في وقت شهد تغيرًا كبيرًا في العالم؛ إذ خرج كثير من البلدان من كبد الصراع والقمع لتبدأ مرحلة انتقالية إلى الديمقراطية. وقد ارتأيت ومادلين أولبرايت؛ وزيرة الخارجية السابقة وصديقتي، إلى جانب مسئولين آخرين بوزارة الخارجية والبيت الأبيض، أنه من المهم جدًّا أن تتقلد المرأة دورًا في تشكيل المستقبل الذي ستكون جزءًا منه، ورأينا أنه إذا تمتعت النساء بالقدر الكافي من الشجاعة، والقدر الوافي من القوة اللازمة لتحدي الوضع الراهن، والمشاركة في السياسة والمجتمع المدني والاقتصاد، فينبغي لنا مساعدتهن.

الفكرة التي بدأت في مكتب صغير بوزارة الخارجية في صورة «مبادرة أصوات حيوية من أجل الديمقراطية» نمتْ وتحوَّلت إلى «الشراكة العالمية للأصوات الحيوية»؛

وهي منظمة غير حكومية تضم أكثر من ألف موظف وشريك حول العالم، وتدعم عمل ١٢ ألف قائدة من ١٤٤ بلدًا.

إن منظمة «أصوات حيوية» ومهمتها قريبتان من قلبي؛ فأنا أحمل معي كل يوم الدروس التي استوعبتها من هذه المنظمة. ونحن نجتهد بوزارة الخارجية من أجل ترسيخ الدعم لحقوق المرأة والنهوض بها كحجر زاوية في السياسة الخارجية للولايات المتحدة. وتقود ميلان فرفير، التي شاركت في تأسيس المنظمة، ذلك الجهد بوصفها سفيرتنا المتجولة المُكلَّفة بقضايا المرأة حول العالم. وفي كل مكان أتوجه إليه حول العالم، تطلب إحدى المُنضمَّات إلى «أصوات حيوية» مقابلتي، فتُطلعني على برنامج تدريبي أو زيارة أو أي فرصة أخرى أتيحت لها لتحقيق مزيد من التقدم بعملها.

ومنذ عام ١٩٩٥، اتضح جليًّا أن حركة التنمية تتباطأ حيث تُقمع المرأة، وتتسارع حيث تُمكَّن المرأة.

نعلم أن المرأة تقدِّم إسهامات فريدة وبالغة الأهمية؛ فكثيرًا ما ترى المشكلات التي يغفل عنها غيرها، ولديها القدرة على الوصول إلى قطاعات لا يستطيع الآخرون الوصول إليها، أو لا يكترثون بالوصول إليها. وحتى عندما يبدو أنه ليس هناك فرصة سانحة، فبإمكانها إيجاد سبيل.

إن وضع النساء بالعالم ليس مسألة أخلاق وعدالة وحسب؛ بل هو واجب سياسي واقتصادي واجتماعي. ببساطة، ليس بإمكان العالم إحراز تقدم مستدام إن حُرمت النساء والفتيات بالقرن الحادي والعشرين حقوقهن ونُبذن.

تنحدر القيادات النسائية اللاتي ستلتقي بهن عبر صفحات هذا الكتاب من مختلف الثقافات وشتى بقاع العالم، لكنهن يشتركن في قيم وسمات مهمة؛ إذ كلٌّ منهن تبحث عن سبل لتحقيق تغيير منهجي يتمثل في الارتقاء بحياة آلاف، بل ملايين البشر.

يجسِّد هؤلاء السيدات نموذجًا متميزًا من القيادة يمتلك القدرة على التغيير. وبعد خبرة قوامها ١٥ عامًا، ندرك التأثير المتضاعف الذي نحققه عندما نستثمر في السيدات اللاتي يجسدن ذلك النموذج؛ فأفعالهن تستحق استجابة إيجابية متسلسلة سرعان ما تكتسب زخمًا ذاتيًّا.

في زمن لا تزال تُحرم فيه ملايين من النساء حول العالم حقوقهن، ولا يزلن يُستبعدن من النقاشات العامة في مجتمعاتهن، ولا يزلن يتعرضن للعنف داخل الأسرة وخارجها، ولا يزلن يُمنعن من دخول المدارس والمحاكم والأسواق والميادين العامة، من المثير للاهتمام أن هؤلاء النساء لا يزلن مثابرات.

لقد ألهمت شجاعتهن أُخرياتٍ للوقوف إلى جانبهن رغم المخاطر والتبعات، وللإيمان بإمكانية خلق مستقبل أفضل، وبقدرتهن على المساعدة في بنائه. لا بد أن نعلن أمام العالم، بوضوح وبالإجماع، أن هؤلاء النساء رمزٌ من رموز البطولة، وأن عملهن ذو قيمة، وأصواتهن حيوية.

ليس هذا تحديًا مُلحًّا من تحديات السياسة الخارجية وحسب، كما أنه ليس قضية عدالة اجتماعية فقط، وهي في نظري أهم قضية بالقرن الحادي والعشرين، إنما هو رسالة شخصية. وكم يشرفني أن أقر بالجميل وأدين بالفضل لهؤلاء السيدات المحاربات على خطوط المواجهة في جميع أنحاء العالم، اللاتي يجعلن كلًّا منّا تتحلى بمزيد من الجرأة والمخاطرة وتقدِّم المزيد.

مقدمة

في أكتوبر من عام ٢٠٠٨، عندما كانت أخبار الأزمة الاقتصادية العالمية تتصدر صفحات كل الجرائد، استوقفني أحد التقارير الإخبارية، ربما كان أول تقرير معنيٍّ بإيجاد مخرجٍ أقرؤه بشأن الأزمة. فبعد إعلان حكومة أيسلندا إفلاسها، استعانت بسيدتين لإعادة بناء نظامها المالي. وقد ذكرت مسئولة حكومية بعد انهيار الإمبراطورية المصرفية: «النساء يتولين المسئولية ... لإصلاح ما فسد.»[1] كانت آيدور كابيتال، التي تديرها السيدات دون الرجال، شركة الأسهم الخاصة الوحيدة التي لم تعصف بها الأزمة،[2] وفي خضم الفوضى الاقتصادية، انتخب الأيسلنديون امرأة لمنصب رئيس الوزراء؛ وهي يوهانا سيجورداردوتير.

بينما أواصل قراءة التقرير، بدا لي المخرج من الوضع الاقتصادي المتأزم في أيسلندا مُقنعًا؛ فمن خلال عملي مع منظمة أصوات حيوية، استمعت إلى قصص لا حصر لها من صاحباتها اللاتي يتولين المسئولية حول العالم. هناك نساء رواندا اللاتي نهضن من تحت ركام حرب الإبادة لإعادة بناء بلدهن، الذي أخذ في الازدهار بدءًا من عام ٢٠١١ بأنه صاحب الأغلبية البرلمانية النسائية الوحيدة بالعالم،[3] وصاحب أسرع معدلات إجمالي الناتج المحلي نموًّا في أفريقيا.[4] كما توجد عضوة الكونجرس الشابة من بيرو التي طالبت — وهي في ربيعها الثامن والعشرين — بتفسير الزيادة في معدلات الفقر، وانتهاكات حقوق الإنسان التي مرت دون عقاب إبان حكم ألبرتو فوجيموري. ثمة الكثير من القصص على هذه الشاكلة بكل منطقة وبلد ومجتمع بالعالم؛ قصص نساء اضطلعن بالمسئولية كقائدات في أوقات الأزمات، سواء كانت أزمات مالية أو إنسانية أو غير ذلك.

وعلى مدار أجيال، أخذت النساء يلتمسن المساواة من باب الإنصاف؛ ففوق كل شيء، تشكِّل النساء ما يزيد قليلًا على نصف عدد سكان العالم. وفي حين أن تلك العواطف ولغة

الإنصاف تساند الحُجَّة المطالبة بالعدل، توجد أسباب أكثر إقناعًا وأوسع نطاقًا تدعو إلى المشاركة الكاملة للمرأة. فمع تخفيف القيود عن النساء وبلوغهن فرصًا أكبر، تُحدث مشاركتهن الجماعية تغييرًا مجتمعيًّا من نوع خاص يختلف كليًّا عن أي شيء شهده العالم من قبْلُ؛ فخلال أصعب الأوقات، وفي كثير من أخطر بقاع العالم، تتولى النساء أكثر مشكلات العالم جسامة، وتَحُدُّ من وطأتها تدريجيًّا.

لم يكن شعب أيسلندا الوحيد الذي ربط بين النساء والتنمية الاقتصادية؛ فقبلها بأشهر قلائل، وتحديدًا في مارس ٢٠٠٨، أعلن لويد بلانكفين؛ رئيس مجلس الإدارة والمدير التنفيذي لبنك جولدمان ساكس، عن الاستثمار التاريخي البالغ ١٠٠ مليون دولار، على مدار خمس سنوات، من أجل تقديم برنامج تعليمي في الأعمال والإدارة للسيدات بالأسواق الناشئة؛ وهي مبادرة يُطلق عليها «مبادرة ١٠ آلاف سيدة». وسبق هذا الالتزام تقرير بنك جولدمان ساكس المُعنون «المرأة تمسك نصف السماء»، الذي ساق الحجة المؤيدة للاستثمار في النساء بالعالم النامي.[5] كان الالتزام الواضح والملموس من الإدارة العليا أكثر إبهارًا من حجم الهبة؛ إذ لم يرَ القائمون على بنك جولدمان ساكس أن هذا هو التصرف السليم وحسب، بل تفهَّموا أنه استثمار ذكي من حيث استدامة أعمالهم. وفي فعالية تدشين المبادرة بجامعة كولومبيا في نيويورك، نظرتُ إلى جَمْع النساء المفعم بالحماس، لكنني رأيت أيضًا حشدًا من الرجال الذين كانوا يرتدون بدلات داكنة اللون. حينها أدركتُ أن عهدًا جديدًا قد بدأ.

بالرجوع إلى عام ١٩٩٥، عندما بدأت العمل في مجال قضايا المرأة في العالم، لم يكن هناك تأييد كبير لتلك القضايا؛ حيث لم يكن بوسعك حينها قراءة مقالات نيكولاس كريستوف الحماسية في صحيفة نيويورك تايمز التي تسلط الضوء على بطلات دوليَّات على جبهات التغيير، ولم يكن هناك سوى عدد قليل من الكتب أو المقالات المكتوبة عن الموضوع. لم نمتلك لغة — ولم يُتح لنا سوى القليل جدًّا من الأبحاث ذات الأهمية — تمكننا من التعبير عن الدور الحاسم للمرأة في بناء عالم أفضل. وفي المقابل، صوَّرت معظم التقارير الإخبارية النساء ضحايا في حاجة إلى الرأفة أو الحماية. وحتى انعقاد مؤتمر الأمم المتحدة العالمي الرابع المعني بالمرأة في العاصمة الصينية بكين؛ حيث أعلنت هيلاري كلينتون؛ السيدة الأولى حينها، أن «حقوق المرأة هي حقوق الإنسان» لم تتعرض برامج السياسة الخارجية لأغلب الحكومات لقضايا المرأة إلا تعرُّضًا سطحيًّا على أحسن تقدير.

قلة من الأصوات الجسورة أقامت الحجة المؤيدة للنهوض بالمرأة كسبيل للتنمية والديمقراطية. كانت زيادة المنافع الاقتصادية من الاستثمار في تعليم الفتيات في صلب دراسة لاري سامرز؛ الأستاذ بجامعة هارفرد والاقتصادي بالبنك الدولي؛ التي أجراها عام ١٩٩٤، وحملت عنوان «الاستثمار في جميع الشعوب: تعليم النساء بالبلدان النامية».[6] وذهب أمارتيا سِن؛ الاقتصادي الحائز جائزة نوبل، إلى أنه لا شيء يفوق إسهامات المرأة أهمية في تنمية الأمم. حتى في عام ١٩٩٥، في ظل البيانات الضئيلة وقلة عدد المناصرين أصحاب التأثير، اتضح للبعض أنه في عصر جديد من العولمة ستجد البلاد صعوبة في إحراز تقدم اقتصادي أو اجتماعي إن لم تستغل ٥٠ بالمائة من سكانها — أعظم مواردها الطبيعية — ومنعت هذه النسبة من المشاركة بكامل إمكاناتها.

ارتأت هيلاري كلينتون، مثل سِن وسامرز، أن الاستثمار في الإمكانات غير المستغَلَّة لنساء العالم أسرع سبيل لإحراز تقدم نحو تحقيق سلام دائم وديمقراطية وتنمية اقتصادية لا تنقطعان. في عام ١٩٩٧، عادت السيدة الأولى لأرض الوطن وهي مفعمة بطاقة ٥٥ ألف قائدة حول العالم اجتمعن بمؤتمر الأمم المتحدة المعني بالمرأة في بكين. وبالتعاون مع مادلين أولبرايت؛ التي كانت تشغل منصب وزيرة الخارجية حينذاك، دشنت كلينتون «مبادرة أصوات حيوية من أجل الديمقراطية» ضمن وزارة الخارجية. كانت الرسالة جريئة: التشجيع على النهوض بقيادة المرأة كهدف للسياسة الخارجية الأمريكية، وإظهار العلاقة المتمثلة في أن الدول التي تشجِّع على حقوق المرأة هي نفسها الدول التي تعرب عن التزامها الثابت بالمُثل الديمقراطية والتقدمية. كانت هذه فكرة ثورية في أواخر تسعينيات القرن العشرين.

بعد مرور أكثر من عقد على تأسيس منظمة أصوات حيوية، تناولت هيلاري كلينتون؛ وزيرة الخارجية، الطبيعة المتشابكة لحقوق المرأة والسياسة الخارجية للولايات المتحدة على نحو متكرر. وانتقلت التحديات التي كانت تُنحَّى جانبًا في وقت من الأوقات باعتبارها «قضايا نسائية» إلى الشأن العام، لا سيما مع تركز اهتمام العالم على التعافي الاقتصادي والتنمية الاقتصادية. وهذا أمر منطقي، على اعتبار أن النساء مجتمعاتٍ هنَّ أسرعُ قوة اقتصادية نموًّا في العالم؛ إذ يتحكمن فيما يزيد على ٢٠ تريليون دولار من الإنفاق على مستوى العالم.[7] ومن شأن منطقة آسيا والمحيط الهادئ أن تجني ما بين ٤٢ و٤٧ مليار دولار سنويًّا إن أُتيحت للسيدات فرصُ عملٍ أكبر.[8]

الواقع أن تقدم المرأة هو تقدم عالمي؛ ففي المجتمعات التي تتمتع فيها المرأة بفرص مكافئة للرجال فيما يتعلق بالتعليم والحقوق السياسية، تتمتع الحكومات بدرجة أكبر

من الانفتاح والحرية، وتتمتع الأجيال الأحدث سنًّا بمستويات أفضل من الصحة والتعليم؛ فقد توصلت الأمم المتحدة إلى أن النساء بالدول النامية يُعِدنَ استثمار ما يصل إلى ٩٠ بالمائة من دَخْلهن في أُسرهن ومجتمعاتهن، في مقابل نسبة الـ ٣٠–٤٠ بالمائة التي يعيد الرجال استثمارها من دُخُولهم في هذين الجانبين.[9]

من وجهة نظر تنموية، النساء هن ما يطلق عليه علماء الاقتصاد احتياطي النمو؛ أي إنه لا تزال هناك إمكانات اقتصادية ضخمة لم يستغلها أحد. وتقدِّر مجلة ذي إكونوميست أنه على مدار العقدين الماضيين، أسهمت النساء في نمو إجمالي الناتج المحلي العالمي بما يزيد على إسهامات التقنيات الجديدة أو القوتين الاقتصاديتين الصاعدتين؛ وهما الهند والصين.[10] ووجدت الأمم المتحدة أن النساء يقمن بنسبة ٦٦ بالمائة من أعمال العالم،[11] وأنه اعتبارًا من عام ٢٠١٠، وللمرة الأولى في التاريخ، تشكل النساء أغلبية القوة العاملة في الولايات المتحدة.[12] وتضع الشركات والحكومات على السواء استراتيجيات لتوجيه طاقة النساء نحو تحقيق الرخاء للجميع.

يمكن القول إن النساء أصبحن السوق الصاعدة، وذلك يأتي ببعض اللاعبين الجدد إلى الساحة. منذ وقت ليس ببعيد، تحديدًا في عام ٢٠٠٥، عندما كان يسألني أحدهم عما أراه بمثابة أسرع وأنجع طريقة للنهوض بالنساء والفتيات عالميًّا، كنت أجيبه بأن هذه الطريقة تتمثل في تحويل الحكومات خطابها الرنان بشأن تلك القضايا إلى إجراء قابل للقياس. بالطبع، لا تزال هناك حاجة ماسة للتحرك من جانب القطاع الحكومي، إلا أنني أدركت أن القطاع الخاص يمكن أن يكون بالقدر ذاته من القوة؛ فعندما تنضم الشركات إلى الحلبة محققة التوازن بين مساعيها الخيرية واستراتيجيات أعمالها الأساسية، يكون بإمكانها تغيير قواعد اللعبة في المجتمعات التي تعمل بها بما يخدم مصالح النساء. وتمتلك الشركات الدافع والتأثير اللذين تستطيع من خلالهما التشجيع على إحداث نقلة ثقافية تؤثر بالإيجاب على حياة ومعيشة النساء وأسرهن. وهذا يرسل رسالة قوية إلى الحكومات والمواطنين بشأن قيمة المرأة.

كل عام يعلن عدد أكبر من الشركات عن مبادرات واسعة النطاق لاغتنام الإمكانات الاقتصادية غير المستغلة للنساء؛ ففي عام ٢٠١١، كشف مهتار كِنت؛ رئيس مجلس إدارة شركة كوكاكولا ومديرها التنفيذي، عن مبادرة شركته التي أُطلق عليها «مبادرة خمسة قبل عشرين»؛ لتوفير فرص اقتصادية لخمسة ملايين سيدة قبل عام ٢٠٢٠. وفي العام نفسه، دشَّنت وولمارت «مبادرة ٣٦٠» — أضخم التزام مؤسسي بمليارات الدولارات حتى

تاريخه — لشراء منتجات لسلسلة توريد الشركة من شركات تملكها سيدات حول العالم. كما استخدمت تينا براون؛ عملاقة الإعلام، منبرها الإعلامي بمجلة نيوزويك وموقع «ذا ديلي بيست»، بشجاعة؛ للدعوة إلى مزيد من الاهتمام بمنظمات المرأة.

ثمة دلائل لا تخطئها عين على التقدم؛ فالمعنيَّات منا بحل قضايا المرأة العالمية يمتلكن مفردات جديدة، وفي حوزتهن كمٌّ متنامٍ من الأبحاث، ولديهن فهم أكبر لهذه القضايا. نحن نمتلك حاليًّا شركاء ومؤيدين أكثر من أي وقت مضى؛ ففي عام ٢٠٠٧، صرح روبرت زوليك؛ رئيس البنك الدولي، بأن المساواة بين الجنسين بمثابة «اقتصاد ذكي»، مدشِّنًا خطة عمل رباعية الأعوام معنيَّة بالمسائل الجنسانية؛ لزيادة حق المرأة في الحصول على الأرض، وفي مزيد من المشاركة الاقتصادية.[13] بعد ذلك بعامين، قرر الرئيس باراك أوباما تعيين ميلان فرفير؛ التي شاركت في تأسيس منظمة أصوات حيوية وشغلت منصب رئيس مجلس إدارة المنظمة، كأول سفيرة متجولة لقضايا المرأة العالمية، مع اتصال مباشر بوزير الخارجية. وبعد مرور بضع سنوات، حقق أوباما سبقًا تاريخيًّا باستصداره أول أمر تنفيذي بتأسيس خطة العمل الوطنية بشأن المرأة والسلام والأمن؛ لحشد حكومة الولايات المتحدة حول الدور الحاسم الذي تلعبه النساء في بناء السلام ومنع نشوب النزاعات.[14]

في عام ٢٠١٠، أنشأت منظمةُ الأمم المتحدة «هيئةَ الأمم المتحدة للمرأة»؛ للإسراع في تحقيق المساواة بين الجنسين، وإخضاع الدول الأعضاء للمساءلة. وقد عُينت ميشال باشيلي؛ رئيسة شيلي السابقة، كأول قائدة لها. وفي العام التالي، وقع الاختيار على كريستين لاجارد؛ وزيرة المالية الفرنسية السابقة، لقيادة صندوق النقد الدولي، لتصبح أول امرأة تترأس مؤسسة مالية متعددة الأطراف. أدانت القيادات النسائية حول العالم العنف ضد المرأة لتأثيره المدمِّر على الأفراد والجماعات والمجتمعات، بل والاقتصاد. وقد ربطت المؤسسات المتعددة الأطراف بين مشاركة المرأة في العملية السياسية والحكم الرشيد.

لكن رغم كل التقدم المحرز، لا يزال أمامنا طريق طويل لنقطعه؛ فلا تزال الاستفادة الكاملة من إمكانات المرأة الاقتصادية بعيدة، وأغلب نساء العالم لا يَحُزنَ ممتلكات أو أرضًا أو ثروة، ولا يتحكمن بها ولا يَرِثْنها،[15] وتقل نسب حصولهن على الائتمان، والتعليم والتدريب، والتكنولوجيا، والأسواق، والتوجيه والتدريب، والشبكات، والحماية القانونية.[16] ونتيجة لذلك، لا يتمكنَّ في كثير جدًّا من الأحيان من بدء شركات صغيرة والنهوض بها. واعتبارًا من عام ٢٠١٢، تمثل الشركات المملوكة لسيدات أقل من ١ بالمائة من المبيعات في

مقابل المؤسسات الكبرى المتعددة الجنسيات.[17] ورغم أنهن يشكلن غالبية طلاب الجامعة عالميًّا، فإن ٥١ بالمائة من النساء يشاركن في القوى العاملة الرسمية، في مقابل ٧٨ بالمائة من الرجال.[18] وحتى التحسينات الاقتصادية للنساء لن تكون مستدامة إلا إن عززتها زيادة حصولهن على فرص اجتماعية وسياسية.

تقدِّر الأمم المتحدة أن ٦٠٣ ملايين سيدة يعشن في بلدان لا يُعتبر العنف الأسري بها جريمة.[19] ومما يثير الدهشة أن سيدة من بين كل ثلاث سيدات في العالم ستقع ضحية للعنف في حياتها.[20] ورغم أن ثلثي بلدان العالم تُسن بها قوانين لمكافحة العنف ضد المرأة، ففي أغلب الحالات نادرًا ما تُطبق تلك القوانين، أو تحصل على تمويل جيد، أو تُؤخذ على محمل الجد.[21] إن العنف ضد النساء والفتيات — الذي يتخذ أشكالًا مثل: الاتجار بالبشر، والممارسات الثقافية المؤذية، والاغتصاب كتكتيك حربي، والعنف الأسري — أحد أكبر العوامل التي تقوِّض تقدم المرأة، وإن لم نتعامل — بوصفنا مواطنين عالميين — مع مسألة التفاوت الناجم عن تقييد حقوق المرأة، أو التنكيل الناتج عن العنف على أساس النوع، فلن يُستفاد من إمكانات المرأة، ومن المرجح أن تتكبد المجتمعات بأسرها الخسارة. وفي الواقع، في البيئات التي تحصل فيها المرأة على نصيب عادل، تزداد الفرص ويعم الرخاء على الجميع.

أُسست منظمة أصوات حيوية بأخذ هذا الافتراض الجوهري في الحسبان، وهو أن تحسين فرص حصول مجموعة معينة على فرص لا يعني حرمان مجموعة أخرى من إمكانية الحصول عليها. وفي مطلع الألفية، انفصلت مبادرة أصوات حيوية عن وزارة الخارجية لتصبح منظمة غير حكومية وغير حزبية وغير هادفة للربح، وتحول اسمها إلى «الشراكة العالمية للأصوات الحيوية»، ثم حاولت السيناتور هيلاري كلينتون التواصل مع حزبها السياسي لإشراك السيناتور الجمهورية كاي بيلي هتشيسون، والسيناتور الجمهورية السابقة نانسي كسباوم بيكر في هذه المهمة، وأصبحتا رئيستي مجلس الإدارة الشرفيتين. ورغم أننا حظينا بمجلس إدارة استثنائي ومؤثر من كلا الحزبين الجمهوري والديمقراطي، كنتُ أول موظفة بالمنظمة غير الحكومية وموظفتها الوحيدة لبرهة من الزمن. وخلال الفترة ما بين عامي ٢٠٠٠ و٢٠١٢، نما طاقم عملنا ليتجاوز الخمسين. في الخمسة عشر عامًا الأولى، عملنا مع ما يزيد على اثني عشر ألف قائدة من ١٤٤ بلدًا. ورغم أننا بدأنا والأمل يحدونا بتحسين حياة النساء، اتضح بمرور الوقت أننا نحن اللاتي استفدنا منهن.

في البداية كان هدفنا إيصال المزيد من النساء إلى طاولة صنع القرار، فتعرفنا على سيدات في مجتمعات مختلفة تولَّين القيادة في جوانب متنوعة مثل: الفرص الاقتصادية، والمشاركة السياسية، وحقوق الإنسان، وعملنا على إعلاء أصواتهن، ودعمنا جهودهن من أجل صنع التغيير. لقد قدَّمنا لهن برامج التدريب والربط الشبكي والتوجيه؛ لتزويدهن بمهارات وجهات اتصال جديدة. كنا همزة الوصل بين خبراء في القضايا النسائية وممارسين من أصحاب الخبرة العملية للتعرف على حلول للتحديات. كانت برامج منظمة أصوات حيوية بمثابة فعاليات دولية دُعي إليها بعضٌ من أفضل وأشجع النساء في كل منطقة. لقد شعرنا بالفخر، لا سيما عندما بدأت القيادات النسائية في تبنِّي نماذج عملية من إحدى المناطق وتطبيقها في منطقة أخرى، لكن التأثير الأكبر لعملنا كان شيئًا لم يخطر ببالنا، فعندما انتهت القيادات النسائية من برامجنا عُدنَ إلى أوطانهن وبدأن تدريب الأخريات على ما تعلمْنَه. أدركنا أن القيادات النسائية يزدن من تأثير جهدنا أضعافًا؛ فمن خلالهن، كان تأثيرنا هائلًا. وأصبحت جهودهن محورية في نجاح منظمة أصوات حيوية.

رد الجميل بإسدائه للغير — أو بعبارة أخرى استخدام التمكين الذي حظين به في تمكين أخريات — كان مجرد سمة واحدة من بين مجموعة من السمات التي لاحظناها لدى كثير من القيادات النسائية اللاتي عرفناهن. تلك السمات مجتمعة وسَّعت من منظورنا للقيادة. تترسخ هذه الصفات وتجذب مزيدًا من الاهتمام مع تولي مزيد من النساء مراكز مؤثرة حول العالم. ونؤمن أن هذه السمات تمثل تحوُّلًا عميقًا متوقعًا في الطريقة التي يتفاعل بها الناس. إن إمكانات النساء الاقتصادية استثنائية، لكن قد تفوقها أهميةً إسهاماتُهن في المجتمع كقائدات شاملات ومتعاونات.

سيصحبك هذا الكتاب في رحلة تستغرق سبعة عشر عامًا، تبدأ بمؤتمر الأمم المتحدة للمرأة الذي انعقد في بكين عام ١٩٩٥ وصولًا إلى وضع المرأة في العالم عام ٢٠١٢. سوف تمر بقارات وبلدان، وتنتقل من قرًى نائية إلى مدن مترامية الأطراف. سوف تعايش الأيام الأولى من مبادرة أصوات حيوية، وتشاهد النساء اللاتي شكلن الصورة التي نحن عليها. سوف ترى كيف اجتمعت هذه المنظمة للمرة الأولى وطوَّرت نفسها لتصبح مستقلة تمامًا عن الروابط الحكومية كمنظمة رائدة غير هادفة للربح. ومن خلال قصص النساء اللاتي منحن هذا الحراك زخمًا، ستتعلم ما تعلمناه نحن في أصوات حيوية؛ أن القيادات النسائية المعاصرة حول العالم يعملن على تشكيل نموذج قيادة مختلف نعتقد أنه يمكن أن يكون فعالًا وفريدًا في التعامل مع عدد كبير من أكثر تحديات البشرية إلحاحًا.

إن النساء اللاتي نعمل معهن يتَّسمن بتنوع مذهل، ويمثلن مجموعة من الثقافات والخبرات، لكن رغم اختلافاتهن، اكتشفنا أن ثمة عناصر مشتركة تجمع بين سماتهن القيادية:

- قوة دافعة أو شعور بالواجب.
- وجود راسخ بالمجتمع.
- القدرة على التواصل رغم العوائق.
- أفكار جريئة وأفعال جسورة.
- إصرار على إسداء المعروف لغيرهن.

يلقي كل فصل من هذا الكتاب الضوء على إحدى سمات القيادة تلك. ولا نعتبر هذه السمات مستقلة أو مترتبة على غيرها، بل نرى أن كلًّا منها تعزز الأخرى. علاوة على ذلك، رغم أن منظمة أصوات حيوية اكتشفت تأثير سمات القيادة هذه من النساء، فليس ذلك نموذجًا نسائيًّا، أو من صنع النساء دون غيرهن، أو من أجلهن دون سواهن، بل إننا نراه نموذجًا فعالًا للجميع في عالم اليوم. ومع مضي العولمة قُدمًا، وانتشار التكنولوجيا، ونمو حجم المجتمعات، تتجلى الحاجة إلى نموذج قيادة أكثر تعاونًا وشمولًا. وفي الوقت الذي تكافح فيه دول حول العالم للتعافي من الأزمة المالية، ينبغي لنا إعادة التفكير في الوضع الراهن، ومحاولة الاستفادة من إمكانيات النساء، لا بوصفهن قوًى دافعة للنمو الاقتصادي فحسب، بل بتشكيلهن نموذجًا جديدًا في القيادة.

من وجهة نظرنا، وكما يتناول الفصل الأخير: القيادة رحلة، وليست وجهة؛ فالقيادة معنية بالأفعال التي نُقدِم عليها يوميًّا، والطريقة التي نختار أن نحيا بها، والمسئولية التي نتولاها من أجل تحقيق رفاهية العالم الذي يجمعنا، أكثر مما هي معنية بأي لقب أو رتبة أو وضع. إننا نؤمن إيمانًا راسخًا أن أي شخص بإمكانه اختيار القيادة ليصبح له تأثير إيجابي في حياة الآخرين.

من خلال منظمة أصوات حيوية، تعلمنا الكثير من متابعة القيادات النسائية البارزة والتعاون معهن عمليًّا، ومن ملاحظتنا لاستغلالهن خبراتهن في دفع عجلة التقدم. ما تعلمناه منهن جعل منا منظمة أفضل، وعزز من قدرتنا على دعم وتعضيد نساء أخريات حول العالم. هدفنا من هذا الكتاب هو تسليط الضوء على تلك الدروس على أوسع نطاق ممكن، عاقدين الآمال على أن تتمكن النساء الأخريات، والأفراد، المتطلعون إلى التأثير، من استمداد الإلهام والتوجيه والأمل من أصوات هؤلاء النساء وقصصهن ونجاحاتهن.

الفصل الأول

قوة دافعة أم شعور بالواجب؟

تقدمه السيدة الفاضلة ميشال باشيلي
وكيل الأمين العام والمدير التنفيذي، هيئة الأمم المتحدة للمرأة

علمتني التجربة أنه لا حدَّ لما يمكن أن تنجزه المرأة، ويدفعني إحساسي بالواجب إلى الإيمان بالممكن. إن السعي إلى السلام وحقوق الإنسان والكرامة والمساواة — الذي تهتدي به منظمة الأمم المتحدة وهيئة الأمم المتحدة للمرأة في عملهما — يُكسب ملايين النساء والرجال حول العالم الشعور بالواجب. وثمة قضية مشتركة تجمعنا؛ وهي قضية الحرية والعدالة.

ينظر القائد دومًا إلى المستقبل. ولا يعني هذا نسيان الماضي، بل على النقيض، تُستمد الحاجة إلى إقامة مجتمع أفضل من الدروس التي تعلمناها في الماضي. وعند بناء أمة ديمقراطية، يؤسس المرء البنيان على أساسات الماضي، ويمضي قدمًا وهو يحمل بداخله شعورًا بالواجب حيال مستقبل يشمل كل فرد، ويضمن الحقوق والفرص للجميع.

عندما كنت أشغل منصب وزيرة الدفاع في شيلي، قبل أن أتولى الرئاسة، كانت مهمتي تحقيق مزيد من الإصلاح في قطاع الدفاع، والاستمرار في العمل لضمان سيادة القانون. إبان الحكم العسكري، انتُهكت حقوق الإنسان، وكان الجيش رمزًا للخوف بالنسبة إلى الشعب. وعن طريق التعامل مع هذا الواجب بأمل لا بسخط، صار من الممكن دعم الشعب والقوات المسلحة لإحراز تقدم بروح من الهوية الوطنية والإصرار. كان يحفزنا شعور مشترك بالواجب للتغلب على السلطوية عن طريق تشكيل مؤسسات تُعلي قيم الديمقراطية.

الديمقراطية متأصلة في السلم والعدالة، والإصلاح الديمقراطي يستلزم قيادة عن إيمان راسخ.

من بين اللاتي يقُدنَ بإيمان راسخ نساءٌ ستتعرف عليهن في هذا الفصل: مارينا بيسكلاكوفا، وحفصة أبيولا، وأنيل تاونسند، ودياز كانسكو، وسونيتا كريشنان، والدكتورة حواء عبدي. إنهن قادرات على تحقيق إنجازات استثنائية، بل ويحققنها بالفعل. وكما أقول دومًا، بيت القصيد عدم الاستسلام؛ فالديمقراطية والعدالة والسلام تتطلب مشاركة المرأة الكاملة على قدم المساواة مع الرجل، فالعدالة تعهُّد طويل الأمد.

خلال حياتي، حظيت بشرف العيش في خدمة أهداف مشتركة متمثلة في الديمقراطية والمساواة والعدالة، من أجل وطني شيلي في المقام الأول، والآن من أجل نساء عالمنا؛ وذلك من خلال هيئة الأمم المتحدة للمرأة؛ وهي أول هيئة تابعة للأمم المتحدة تكرِّس جهودها للنهوض بتمكين المرأة والمساواة بين الجنسين.

وأواصل مسيرتي يحدوني الأمل.

* * *

كان عليَّ الذهاب! في أغسطس من عام ١٩٩٥، لم يسعني التفكير إلا في مؤتمر الأمم المتحدة الدولي الرابع المعني بالمرأة في العاصمة الصينية بكين؛ ذلك المؤتمر الذي توقَّع كثيرون أن يكون أكبر تجمُّع للقيادات النسائية والناشطات في التاريخ. كان من المنتظر أن تَفِدَ النساءُ إلى المؤتمر من كل حدب وصوب؛ ليمثلن مختلف الأجيال والأديان والثقافات والخلفيات الاجتماعية والاقتصادية والمهن. كان يجمعهن هدف مشترك: تحسين وضع المرأة في عالمنا.

كنت حينها في الحادية والعشرين من عمري؛ حيث بلغت سن الرشد في عالم لا ينفك يزداد ارتباطًا. كانت تحدوني رغبة قوية في فهم موقعي في هذا العالم كامرأة أمريكية. ادخرت واقترضت نقودًا، واشتريت أرخص تذكرة طيران أمكنني إيجادها، لأضطر إلى التوقف المؤقت أربع مرات قبل أن أحط في بكين. وكما تبين لي بعد ذلك، كان شراء التذكرة هو الجزء السهل في هذه القصة.

بعد أن أرسلت بالبريد استمارات تسجيلي، وصورتي الشخصية، ورسم طلب تأشيرة لحضور المؤتمر مقداره ٥٠ دولارًا، رفضت اللجنة الصينية المنظمة منحي تأشيرة المؤتمر.

ولمدة أسبوعين متواصلين، توجهت إلى القنصلية الصينية في لوس أنجلوس كل صباح، طالبة منهم تفسيرًا لما حدث. علمت في وقت لاحق أن أكثر من ثلثي مَن سجلوا لحضور المؤتمر لم يحصلوا على تأشيرة. رأف بحالي ضابط صيني شاب بالقنصلية، أو ربما ضاق ذرعًا من زياراتي، واقترح عليَّ أن أتقدم بطلب للحصول على تأشيرة سياحية، وأن أخبرهم بأنني طالبة مسافرة. وظن أنه بمجرد أن تطأ قدماي الصين سيكون بإمكاني دخول المؤتمر نفسه.

لما حصلت على تأشيرة السياحة، حجزت ليلتين بفندق في بكين لم أكن أقدر على سداد ثمنهما، وكنت أقول لنفسي إنني سأتوصل لحلٍّ ما عندما أصل إلى هناك. فكرت في أنها ستكون مغامرة وتجربة مغيِّرة لحياتي؛ رغم أنني لم أكن أعلم ذلك حينها.

بالنسبة إليَّ، بدأ المؤتمر مباشرة بمجرد أن استقللت الطائرة المتجهة إلى بكين. كانت الطائرة حافلة بالسيدات اللاتي سيحضرن المؤتمر، وفيهن السيدة الجالسة بجواري، التي جاءت من جنوب أفريقيا وكان اسمها جيرترود فستر. كانت فستر؛ الناشطة في مجال حقوق الإنسان، شخصية عطوفة يملؤها الحماس. بدت في غاية التفاؤل والحماس، وأدركتُ سبب ذلك، فيما بعدُ، عندما تنامى إلى علمي أنها كانت قد أُلقي القبض عليها وسُجنت نحو ثلاث سنوات بسبب جهودها في مكافحة الفصل العنصري.

تتبعتْ جيرترود مؤتمرات الأمم المتحدة العالمية المعنية بالمرأة منذ الاجتماع التأسيسي في مكسيكو سيتي عام ١٩٧٥. أخبرتني كيف أن قضية العنف الأسري لم يكن معترفًا بها حينذاك. كان يُنظر إليها على أنها قضية خاصة لا ينبغي مناقشتها خارج المنزل، لكن النساء حول العالم كن يتحدثن عن «المشكلة التي لا تحمل اسمًا». وفي مؤتمر الأمم المتحدة الثالث في نيروبي، بكينيا عام ١٩٨٥، ضغط مناصرو القضية من أجل إدراج العنف الأسري ضمن الوثيقة الرسمية الصادرة عن المؤتمر. أوضحت جيرترود قائلة: «عادت كلٌّ منا إلى وطنها مشيرة إلى أن حكومتنا، وتقريبًا كل دولة أخرى في العالم، اعترفت بأن القضية تمثل مشكلة. ومن موقع السلطة ذاك، بدأنا الضغط من أجل سَنِّ تشريعات لتجريم العنف الأسري.»

كان من المزمع أن يكون مؤتمر بكين المؤتمر الرابع ضمن سلسلة من المؤتمرات. وقد علمت من جيرترود أن الوفود الرسمية اعتزمت المشاركة في توقيع «برنامج عمل» لتحسين حياة النساء في اثنتي عشرة منطقة خطرة، بدءًا بالوضع الصحي مرورًا بالوضع الاقتصادي ووصولًا إلى المشاركة السياسية. وفي الوقت نفسه، كان ثمة اجتماع مزمع

لعدد كبير يربو على أربعين ألفًا من القادة غير الحكوميين والمناصرين والنشطاء لحضور منتدى المنظمات غير الحكومية الموازي في هوايرو؛ وهي ضاحية تقع في شمال الصين وتتَّسم بالهدوء.

كلما زاد مقدار معرفتي، زاد إيماني بأن هذا التجمُّع سيكون تجمعًا تاريخيًّا بحق، لكنني كنت أعلم أن مشاركتي غير مضمونة. أفضيت إلى جيرترود بما حدث بشأن التأشيرة ومخاوفي من أن أُطرد، فقالت لي مسندة ظهرها إلى مقعدها بثقة: «يمكننا علاج هذه المسألة.»

ونحن نغادر الطائرة ونلتقط حقائبنا، كانت زمرة من الطلاب المتحمسين يحملون لافتات عليها شعار المؤتمر يرشدون السيدات إلى الحافلات المتجهة إلى هوايرو. حاولت أنا وجيرترود الصعود على متن الحافلة، لكنني لم أتمكن من ذلك؛ فعند الباب كانت تقف شابة تبدو عليها علامات الانفعال. كانت تتفحص جوازات السفر. وجدتها تنبه رئيستها التي أخبرتني بأنني لن أستطيع الانضمام للمجموعة؛ لأنني لا أحمل تأشيرة مناسبة. ومن باب التضامن الأخوي، نزلت جيرترود من الحافلة هي الأخرى، كما لو كانت تقول لي: لا تقلقي سنجد حلًّا لهذا معًا. ركبنا سيارة أجرة إلى فندق في بكين لقضاء الليلة، وخططنا لخطوتنا القادمة. وفي اليوم التالي، عُدنا للمطار تفحَّصنا قافلة الحافلات مرة أخرى.

هذه المرة انعطفنا واتجهت جيرترود صوب الطريق تجرُّني جرًّا أنا وحقيبتها. سارت بي نحو ربع ميل لنبتعد عن أنظار المسئولين، وسرعان ما لمحنا حافلة تتجه صوب المؤتمر، ودون سابق إنذار قفزتْ جيرترود إلى الطريق لتعترض طريق الحافلة القادمة.

صاحت: «توقف! إننا جميعًا أخوات!»

توقفت الحافلة وإطاراتها تطلق صريرًا عاليًا. انفتح بابها وركبناها؛ ما أثار دهشة الوفد الروسي داخلها. حيَّت جيرترود كلًّا منهم بقولها: «شكرًا جزيلًا!» وهي تتجه إلى بعض المقاعد الشاغرة في المؤخرة. من جيرترود تعلمت كيف أنجز الأمور.

كان قرار الحكومة الصينية بنقل اجتماع القائدات غير الحكوميات المغلق من بكين إلى الريف مدفوعًا — جزئيًّا — برغبة الحكومة الصينية في حماية مواطني العاصمة مما ظنَّت أنه تجمُّع للنشطاء والراديكاليين. اكتشفت لاحقًا أن سائقي سيارات الأجرة عبر بكين احتفظوا معهم بملاءات بيضاء طوال فترة انعقاد المؤتمر في حالة — حسب ظني — قررت أيٌّ من الحاضرات خلع ملابسها والتظاهر عارية في الشوارع.

استغرقنا قرابة الساعة للوصول إلى هوايرو. اصطف مزارعو البلدة وأسرهم على جانبي الطريق لمشاهدة القافلة القادمة إلى البلدة. وأخيرًا، برز للعيان سلسلة من المهاجع أشبه بثكنات بُنيت على عجل. بلغت حافلتنا مبنى التسجيل. كانت تلك لحظة المكاشفة. وأنا أنتظر في الصف كي أحصل على شارة تعريفي، كان قلبي يخفق بقوة، واضطررت إلى التقاط أنفاسي لمجرد أن أقول للسيدة الشابة اسمي. فحصت جواز سفري، ولارتباكها طلبت مساعدة أحدهم. وبعد بضع دقائق عادت إحدى زميلاتها وقالت لي: «عليك العودة إلى بكين والتسجيل هناك.»

رددت: «لقد كنت هناك.» (كان قد أخبرني أحد أصدقائي بالقنصلية في لوس أنجلوس أن السلطات لن تحبذ تسكع ناشطة نسوية مطرودة بالشوارع لعشرة أيام؛ وأنه من المتوقع أن يسمحوا لي بالدخول فورًا لتجنُّب المزيد من الاحتجاجات.) واستطردت: «قالوا لي إنه ينبغي لي المجيء إلى هنا والتسجيل والحصول على شارة تعريفي.» بعدها بدقائق قليلة، عادت السيدة الشابة ومعها بطاقة تعريفي تحمل صورتي التي كنت قد أرسلتها مع أوراق التسجيل.

اجتمع شملي وجيرترود مجددًا، والتي لم تقلَّ سعادتها عن سعادتي، عندما رأتني أحمل شارة تعريفي الثمينة، وقالت: «أحسنتِ يا عزيزتي! أحسنتِ!» ألقتْ إحدى صديقاتها نظرة واحدة على المهاجع وقررت المكوث في مكان آخر. انتهزت جيرترود الفرصة وجذبت استمارة المسكن من يديها لتضعها في يدي وقالت: «والآن أصبح لك مكان تبيتين فيه ليلتك، يا عزيزتي.»

قررت اللجنة الصينية المنظمة تقسيم السيدات حسب المنطقة؛ فنساء شرق أوروبا بعضهن بصحبة بعض، وسيدات أمريكا اللاتينية معًا، وكانت هناك مجموعة أخرى من المباني للسيدات من الشرق الأوسط. ونتيجة للأوراق التي أحملها، وجدت نفسي في مهجع صغير مع سيدتين أفريقيتين.

نما إلى علمي أن إحداهما من إريتريا والأخرى من أثيوبيا؛ وهما بلدان كانا في حالة حرب لعقود. ورغم الاختلافات بينهما في الخلفيات ووجهات النظر، سرعان ما بدأتا في البحث عن نقاط الاتصال والارتباط؛ أطفالهما وأسرتيهما وعملهما. كانت رؤيتهما معًا أمرًا يثير الإعجاب.

بعد العشاء، استقلت مئات السيدات الحافلات للتوجه إلى بكين لحضور مراسم الاحتفال بافتتاح المؤتمر. تضمنت تلك المراسم كلمات لمتحدثين وعروضًا من كافة أنحاء

العالم. ارتدت السيدات الأفريقيات أردية مطرزة مصنوعة يدويًّا بألوان نابضة بالحياة، بعضها مزخرف برمز حمامة سلام الأمم المتحدة ورمز المرأة العالمية متعانقَين. كانت حافلتِي مجرد واحدة من بين مئات من الحافلات المليئة بالناشطات. فجأة، شعرت بضآلتي. لم تأتِ هؤلاء النسوة إلى بكين من أجل فهم موقعهن في العالم، بل أتين للكفاح من أجله.

تجاذبت السيدات الأفريقيات أطراف الحديث على الإفطار صبيحة اليوم التالي. كان من المزمع أن تلقي أون سان سو تشي الخطاب الرئيسي الافتتاحي. لعلها أشهر سجينة سياسية بعد نيلسون مانديلا، وقد أطلق النظام الديكتاتوري العسكري سراحها مؤخرًا بعد ما يقرب من ست سنوات من الإقامة الجبرية. ورغم أنها لم تعد محتجزة، فإنها لم تتمكن من المخاطرة بمغادرة بورما دون تصريح بالسماح لها بالعودة مرة أخرى؛ لذا تم تهريب شريط فيديو يحمل خطبتها إلى بكين.

كان والد سو الجنرالُ العظيم أون سان بطلًا في كفاح بورما من أجل الاستقلال. وفي عام ١٩٤٧، عندما كانت سو في الثانية فقط من عمرها، اغتيل والدها على يد خصوم سياسيين. وفي مراهقتها، انتقلت أسرتها للهند؛ حيث شغلت والدتها منصب سفيرة بورما. وفي وقت لاحق أثناء دراستها بجامعة أكسفورد، التقتْ مايكل أريس؛ وهو باحث بريطاني، وتزوجته، وأثمر زواجهما عن إنجاب ولدين. ونادرًا ما كانت تعود إلى بورما إبان تلك السنوات إلَّا لقضاء العطلات. لم تستطع سو نسيان شعبها، وكثيرًا ما كانت تقول لزوجها إنها في يوم من الأيام ستعود إن احتاج إليها شعبها. وجاء ذلك اليوم عام ١٩٨٨.

كانت سو في بورما تسهر على والدتها المحتضرة في الوقت الذي اندلعت فيه الاحتجاجات المطالبة بالديمقراطية. بعد ستة وعشرين عامًا في السلطة، تنازل الجنرال ني وين عن رئاسة حزب البرنامج الاشتراكي في بورما. قمع الجيش، بوحشية، المظاهرات الحاشدة المطالبة بالديمقراطية، وقُتل ما يقرب من أربعة آلاف من الشعب البورمي.[1] وأمام حشد قُدِّر بنحو مليون مواطن بورمي بمعبد شويداجون في يانجون، اعتلت أون سان سو تشي المنصة، وطالبت بإقامة حكومة ديمقراطية جديدة. ولما كانت ابنة رجل ذي تاريخ، فقد اجتذبت انتباه الأمة بأسرها.

إلا أن نظامًا عسكريًّا جديدًا استولى على السلطة الشهر التالي. وفي ردٍّ على ما تسبب فيه الجيش من عنف وطغيان، أُسس حزب الرابطة الوطنية الديمقراطية، وتولت أون

سان سو تشي منصب الأمين العام. وعلى خطى أبيها، طمحت سو إلى مساعدة شعبها في تحقيق «استقلال ثانٍ» — وهذه المرة من حكم عسكري — لكنها كانت عازمة على إحداث التغيير عبر وسائل سلمية.

في عام ١٩٨٩، اعتُقلت أون سان سو تشي بموجب قانون الأحكام العرفية دون تهمة أو محاكمة. وحتى في معتقلها، تواصلت مع شعب بورما الذي كان متعطشًا للديمقراطية ولإقامة مجتمع عادل ومنصف. عندما سمح النظام بإجراء الانتخابات في عام ١٩٩٠، فاز حزب الرابطة الوطنية الديمقراطية بنسبة ٨١ بالمائة من المقاعد في المجلس الوطني، حتى مع وجود زعيمة الحزب رهن الإقامة الجبرية.[2] أبطل النظام العسكري نتائج الانتخابات ورفض تسليم السلطة. وعُرضت على أون سان سو تشي حريتها إن وافقت على مغادرة بورما. رفضت سو العرض رغم أن رفضها يعني عدم استطاعتها رؤية أبنائها أو زوجها مرة أخرى.

واجهت المعاملة التي حظيت بها أون سان سو تشي إدانة دولية. وفي ١٩٩٠، مُنحت جائزة رافتو التذكارية وجائزة سخاروف لحرية الفكر، وفي عام ١٩٩١ أصبحت ثامن سيدة تفوز بجائزة نوبل للسلام. وقد صرَّح الأمين العام للجنة جائزة نوبل قائلًا: «أون سان سو تشي توقظ أفضل ما فينا. نشعر أننا في أمسِّ الحاجة إلى من هم على شاكلتها كي نستعيد إيماننا بالمستقبل. وهذا ما يمنحها مثل هذه القوة كرمز؛ لذا فأي إساءة معاملة تصيبها نراها انتهاكًا لما نقرُّه في قلوبنا.»[3]

رغم أن شريط الفيديو في بكين كان مشوشًا، ورغم أن الصوت كان مكتومًا بعض الشيء، كانت رسالة سو واضحة. تحدثت عن التسامح والاندماج، وكيف تُحيي النساء هاتين القيمتين في العالم من جديد. وألقت الضوء على قدرة النساء على نزع فتيل النزاعات من خلال الحوار بدلًا من اللجوء إلى الانتقام والعنف. وكذا تحدثت عن مسئوليتها المتمثلة في النضال من أجل إطلاق وعودة الذين لا تزال معاناتهم مستمرة من أجل بلوغ مستقبل ديمقراطي أسهمت هي في الدفاع عنه.

بوصفي مناصرة شابة لحقوق المرأة، أذهلتني قوتها الهادئة. كان تركيزها منصبًّا على رؤيتها لمستقبل بورما، وبدا أنه لا يمكن لشيء أن ينتقص من إحساسها بالواجب، أو يسلبها إيمانها الراسخ. تكلمت بوضوح وتركيز، وألهمت الآخرين كي لا يتخلوا عن الأمل.

كانت تلك المرة الأولى التي أستمع فيها لحديث عن القيادة القائمة على الشرعية الأخلاقية لا السلطة الرسمية. كانت أون سان سو تشي الزعيمة المنتخبة لبلدها، ومع

ذلك أمضت السنوات الخمس الأخيرة رهن الإقامة الجبرية بمنزلها. ورغم أنها جُردت من حريتها، فضلًا عن قدرتها على الحكم، كانت سو لا تزال أقوى من النظام العسكري؛ لأنها امتلكت شيئًا ما كان لهم أن يملكوه: قلوب وعقول الشعب.

عندما تحدَّث كبير الأساقفة ديزموند توتو؛ الحائز جائزة نوبل للسلام أيضًا، عن السيدة سو قال: «ليست الشعوب غبية؛ إنهم يعرفون من هم قادتهم الحقيقيون. يمكنكم رميهم بالسجون، يمكنكم تكميم أفواههم، يمكنكم نفيهم، لكن الشعوب دائمًا ستقول: «هؤلاء هم قادتنا الحقيقيون».» وبالتأكيد علم شعب بورما قادته الحقيقيين. بدأت السيدة سو حركة أيقظت الأمل في قلوب شعبها لأكثر من عقدين.

وإضافة إلى افتتاني بكلمات سو، كنت مدركة تمام الإدراك لردود الأفعال من نساء العالم من حولي. بدا عليهن جميعًا أنهن يتمتعن بشعور بالواجب، وبتركيز وبإصرار لا يتزعزعان أكسباهن القوة رغم الصعاب. كانت تلك صفات سمَتْ بسهولة فوق الثقافة والجغرافيا، وبدت لي كحجر الأساس للقيادة النسائية. وقريبًا، رأيت نموذجًا من بلدي يثبت صحة هذا المبدأ.

في اليوم الأخير من المؤتمر، استيقظت قبل الفجر وانضممت للآلاف غيري اللاتي توجَّهن إلى المسرح المدرج؛ حيث كان من المقرر أن تخطب السيدة الأولى هيلاري رودام كلينتون. لم يخفَ على أحد أن كثيرين لم يكونوا راضين عن مشاركة السيدة الأولى في مؤتمر المرأة في بكين ومنتدى المنظمات غير الحكومية الموازي؛ فلأشهر قبل المؤتمر، تناظر مسئولو الحكومة الأمريكية حول إن كان من «المناسب» أن تخطب السيدة الأولى بمؤتمر لحقوق الإنسان في الصين، وضعًا في الاعتبار السجل السيئ لهذا البلد فيما يتعلق بحقوق الإنسان؛ ومن ذلك معاملة النساء والفتيات؛ فعلى سبيل المثال، كان قتل الأطفال الرضع أو الإجهاض حسب جنس الجنين ممارسة منتشرة نتيجة لسياسة الطفل الواحد التي تتبناها الدولة؛ إذ «فُقدت» ١٠٠ مليون طفلة وليدة من السكان.[4]

عندما كُلفت السيدة هيلاري كلينتون لتكون الرئيسة الشرفية لوفد الولايات المتحدة إلى المؤتمر، أصبح حضورها موضع شجب في الحملة الرئاسية عام ١٩٩٦. وفي سياق هذا الشجب، صرح السيناتور الجمهوري بوب دول أنه لا يرى أي «غرض مفيد» من رحلتها، لا سيما أن الصين تحتجز ناشطًا حقوقيًّا أمريكيًّا؛ وهو هاري وو، كسجينٍ سياسي.[5] حتى داخل فريق الرئيس كلينتون نفسه، لم يتمكن المسئولون من الاتفاق على أنه ينبغي

للسيدة الأولى الذهاب للمؤتمر. الشخص الوحيد الذي بدا متأكدًا من نتائج الرحلة كان السيدة الأولى نفسها. وكما كتبت لاحقًا في سيرتها الذاتية «التاريخ الحي»: «تعاطفت مع قضيتهن، لكن خاب أملي مجددًا لأن الشواغل الملحة للمرأة قد يُضحَّى بها.»[6]

في اللحظات الأخيرة، أُطلق سراح هاري وو من السجن، ووافق البيت الأبيض على رحلة السيدة الأولى. توقع الخبراء مقايضة دبلوماسية في الدقائق الأخيرة؛ يوافق فيها الصينيون على إطلاق سراح وو إن توقفت السيدة هيلاري كلينتون في المستقبل عن انتقاد الحكومة الصينية، لكن الأمر لم يكن كذلك. أوضحت السيدة هيلاري كلينتون أنه لن يمنعها شيء عن هدفها من زيارة بكين: قول الحق بشأن حقوق المرأة بكل مكان في العالم.

وأنا أقف في الساعات المظلمة الأولى من الصباح، تنامى طابور السيدات اللاتي ينتظرن هيلاري كلينتون. لم يستوعب المسرح سوى بضع مئات من الحضور، لكنني كنت واقفة قرب المقدمة، وكنت متأكدة من أنني سأتمكن من الدخول، لكن مرت الساعات ولم أتمكن أنا وحَشْد السيدات إلا من مشاهدة وصول عدد من أعضاء وفد الولايات المتحدة، ثم عدد من الإعلاميين، تبعهم مسئولو الحكومة الصينية. لم يُسمح إلا لعدد صغير من الحضور بالدخول قبل أن يعلن مسئول اللجنة الصينية المنظمة أن مقاعد المسرح كافة قد امتلأت.

أغلب النساء بالمؤتمر لم يرَين السيدة هيلاري كلينتون على المنصة. قلة محظوظة، كنت من بينها، تمكنت من سماع ملاحظاتها من فمها مباشرة، في غرف بجانب المسرح؛ حيث كان الصوت ينساب إليها، لكن حتى في فترة سابقة على شبكات التواصل الاجتماعي، انتشرت رسالة السيدة الأولى كانتشار النار في الهشيم. كانت خطبتها في بكين محركة للمشاعر من فرط تركيزها وقوتها. فباستنادها إلى يقين أخلاقي، تجاوزت غموض اللغة الرسمية، راسمة طريقًا يفضي إلى مشاركة كاملة للمرأة غيَّر من قواعد اللعبة لجميع اللاعبين.

تحدثت كلينتون عن طرق محددة لتجمع النساء وتبادلهن الأفكار، وتحدثت كيف أن العمل الذي تؤديه النساء كثيرًا جدًّا ما يُغفل ولا يؤخذ في الحسبان في كلٍّ من الأوساط العامة والخاصة، ثم صرحت: «لم يعد من المقبول الحديث عن حقوق المرأة بمعزل عن حقوق الإنسان.»

فُغرت الأفواه على قولها اندهاشًا، في الصين وفي واشنطن وفي جميع أنحاء العالم. في وقت كانت فيه فكرة الإقرار بأن النساء بشر مثلهن مثل الرجال وجديرات بالتقدير فكرة

ثورية، أو شيئًا لم يُقرر بعد، أو غير معترف به، كان تصريح السيدة هيلاري كلينتون دعوة واضحة؛ كان بمثابة مناشدة سجَّلت بدقة مشاعر النساء بالمؤتمر. لا ينبغي للنساء التضرع من أجل حقهن في الشعور بالأمن والأمان، في التمتع بحرية التعبير وتكافؤ الفرص؛ فالنساء — بوصفهن بشرًا — يحق لهن الحصول على هذه الحقوق الأساسية. وعندما تصنِّف الحكومات التحديات غير الاعتيادية التي تواجهها النساء على أنها فئة خاصة من الحقوق «الإضافية»، فذاك سبيل للتقليل من قيمة هذه التحديات بذريعة أنها تتعلق بأصحاب مصلحة خاصة.

بيَّنت السيدة كلينتون ذلك الرياء في التعامل مع المسألة على مرأًى من كل حكومة ممثلة بالمسرح. تحولت كلماتها إلى دعوة للحشد بين الناشطات المجتمعات. أخبرني عشرات السيدات منذ ذلك الحين أنهن عُدْن لبلدانهن وهن يتسلحن بعبارة: «حقوق المرأة هي حقوق الإنسان»، وتشد من أزرهن القوة الكامنة وراء تلك الكلمات.

من وجهة نظر الصين، كانت رسالة السيدة الأولى خرقًا محرجًا للبروتوكول؛ إذ لفتت الانتباه إلى انتهاكات حقوق الإنسان في البلد المضيف. وفي وطنها، انتُقدت السيدة الأولى لإدلائها بتصريحات على مستوى السياسة الخارجية تتجاوز السلطة المخولة إليها، لكن بالنسبة إلى من سافرن إلى بكين منا، كانت السيدة الأولى منارة يُهتدى بها. لقد حددت بدقة الصراعات التي تواجهها المرأة وأعلنتها بوضوح أمام العالم أجمع، مطالبةً إياه بأن ينتبه لها.

رغم أن السيدة الأولى حينها لم تكن مسئولًا منتخبًا، أدركت أنها تقف على منبر سيُسمع منه صوتها، وأنها في موقع لا يمكن تجاهله. لقد فطنت إلى قوة تأثير صوتها، واستخدمته للتعبير عمن كُمِّمت أصواتهن.

كل السيدات اللاتي تركن انطباعات لا تُمحى لديَّ في بكين — من جيرترود وزميلتيَّ الأفريقيتين بالغرفة، إلى أون سان سو تشي وهيلاري كلينتون — كن قائدات تحركهن قضية، وتمتعت كلٌّ منهن برؤية لما أرادت تحقيقه، وبالتزام لا يتزعزع بهذه الرؤية. لقد سافرن إلى بكين لإيجاد سبل جديدة لاستنهاض تلك الرؤى، وقد كن مصدر إلهام لكل حلقة حوار وخطبة ومحادثة بتوجه واضح ومركَّز.

في مقابلاتي الشخصية مع جيرترود وزميلتَيَّ بالغرفة، أذهلني كيف أنهن مثَّلن بعضًا من السمات المشتركة في قيادة المرأة؛ القدرة على الارتقاء بالأخريات وتجاوز الحواجز التي

تفرق بيننا. أثناء استماعي إلى أون سان سو تشي، انبهرت باستعدادها للتضحية بحريتها وأمنها مقابل ما آمنت بأنه الصواب. لقد تجاوز نظرها المخاطرة الشخصية والاضطهاد والإذلال لتُدافع عن مبادئ اللاعنف والمساواة الديمقراطية والعدل. كانت متمسكة بإيمانها بمستقبل أفضل، وكانت على علم بأن عالمًا قائمًا على أساس من الظلم لا يمكن أن يدوم. عندما أتأمل في مشاركة السيدة كلينتون في مؤتمر بكين، لا يسعني سوى الإعجاب بثقتها، فحتى قبل أن تتأكد من إمكانية سفرها، كانت قانعة قناعة راسخة كالجبال بضرورة سفرها. وعندما أملى عليها البروتوكول اختيار كلماتها بحرص، خالفت ذلك وتحدثت بأمانة عن سجلات حقوق الإنسان المتردية. عندما كان العالم يستمع إليها، انتهزت الفرصة كي تُثني على الإسهامات المتواصلة للنساء في كل قرية وبلدة ومدينة حول العالم وتسلِّط الضوء عليها. كانت تعلم ما ينبغي لها فعله هناك بالضبط، واستخدمت تأثيرها للارتقاء بالأخريات وتمكينهن.

تعلمت من تجربتي في بكين دروسي الأولى في القيادة التي كان من شأنها أن تغير مسار حياتي؛ فقد تعلمت أن القائدة الحق تمتلك إيمانًا راسخًا وهدفًا نبيلًا؛ فهي تستمد العزيمة من داخلها لإحداث تغيير في العالم من حولها.

في منظمة أصوات حيوية نطلق على هذه البوصلة الداخلية «القوة المحركة». بالنسبة إلى البعض هي بيان شخصي بالرسالة. إنها السبب الذي يدعونا للنهوض بعد أن نسقط. إنها تلهمك وتعلمك التواضع في الوقت نفسه، وتوفر لك التركيز في مواجهة المشقة الجمة والنجاح الباهر. إنها قوة تبلغ من الشدة ألا يستطيع أي شيء أو أي شخص تشتيتك أو إثناءك عن طريقك.

القيادات النسائية أمثال أون سان سو تشي كثيرًا ما يَبدون وكأن القيادة مُقدَّرة لهن، لكن معظم القادة لا يكونون قادة بالفطرة، وإنما تصنعهم الفرص والخبرة. وإحصائيًّا، في كل بلدان العالم تقريبًا، تتبوأ النساء مواقع القيادة في مراحل متقدمة من العمر مقارنة بالرجال،[7] فالسيدات كثيرًا ما يكتشفن أنفسهن كقائدات من خلال سلسلة من الأحداث والخبرات التي تغير من نظرتهن للعالم. بالنسبة إلى بعضهن، ربما تشكلت قوتهن الدافعة في لحظة حاسمة واحدة كانت بالنسبة إليهن دعوةً إلى التحرك، وبالنسبة إلى الأخريات ربما كانت قوتهن الدافعة حادثًا عصيبًا استطعن تحويله إلى قوة تصب في مصلحتهن، وبالنسبة إلى فريق ثالث منهن، ربما كانت قوتهن الدافعة سلسلة من الأحداث البسيطة التي تراكمت بمرور الزمن لتصبح شيئًا عظيمًا غيَّر مسار حياتهن، لكن بحلول الوقت

الذي تصل فيه أكثر السيدات فعالية إلى مواقع القيادة يكنَّ قد اكتسبن بالفعل إيمانًا راسخًا وعميقًا، فهن يصبحن قائدات لأنهن يعلمن ما يتعيَّن عليهن فعله، ويشعرن بأن الواجب يحتم عليهن القيام به.

حقيقةً، إن أغلب القائدات اللاتي تتعاون منظمة أصوات حيوية معهن، مثل السيدات الملهمات في الأمثلة التالية، يصفن قوتهن المحركة بأنها شيء استحوذ عليهن تمامًا فلم يجدن بدًّا من قبوله وتتبعه أينما أمرهن بذلك.

مارينا بيسكلاكوفا

روسيا

> أفكر في نفسي قائلة إنه لا توجد لحظة بعينها في حياتي يمكنني أن أشير إليها وأقول تلك هي اللحظة التي أدركت فيها أنه ينبغي لي أن أكرِّس حياتي لهذا الهدف. بصراحة، لقد حدث ذلك بالصدفة. أتت سيدة إلى مكتبي في موسكو وقالت: «أخشى أن يقتلني زوجي ولا يعلم أحد بجرمه.» لم يكن يوجد مصطلح العنف الأسري في روسيا حينذاك؛ فالنساء كن يعانين في صمت؛ فلم يكن يُلتفت إليهن أو يُسمع لهن.

عندما أفكر في الأمهات اللاتي أسسن منظمة أصوات حيوية، تخطر ببالي مارينا بيسكلاكوفا. في ١٩٩٧، كانت مارينا واحدة من أعضاء الوفد الروسي المكوَّن من سيدات اختارتهن السفارة الأمريكية في موسكو بعناية لحضور المؤتمر الأول لمبادرة أصوات حيوية من أجل الديمقراطية المنعقد في العاصمة النمساوية فيينا. لم يكن قد مضى على انهيار الاتحاد السوفييتي وقت طويل، وكانت الديمقراطية واقتصادات السوق الحرة بصدد الترسخ. تجولت صاحبة الرؤى الفريدة سواني هانت؛ التي كانت تشغل منصب السفيرة الأمريكية بالنمسا آنذاك، في كافة أنحاء المنطقة؛ حيث رأت التغيرات تتكشف أمامها، وخطرت لها فكرة. على خطى السيدة كلينتون، آمنتُ أن الديمقراطية لن تقوم لها قائمة إن لم تُسمع أصوات النساء؛ ولذا قررتُ جمع قيادات نسائية صاعدة من أنحاء الكتلة السوفييتية السابقة مع قيادات نسائية من أوروبا والولايات المتحدة. ألقى المؤتمر الذي كان برعاية الحكومة الأمريكية الضوء على التكلفة الباهظة التي تم تكبدها نتيجة لإقصاء النساء من النمو الاقتصادي والسياسي والاجتماعي في أنحاء المنطقة.

قدِمت المُشارِكات في المؤتمر الأول من بلدان شتَّى يحملن ثقافات متنوعة وقضايا كثيرة؛ مثل: المشاركة السياسية، والتنمية الاقتصادية، وحقوق الإنسان. عُرف عن مارينا بيسكلاكوفا بذْلها جهودًا كبيرة في التصدي لمشكلة العنف الأسري المتفاقمة في روسيا، والتي وفق تصريحات الشرطة الروسية لا وجود لها.

بدأ عمل مارينا عام ١٩٩٣ أثناء شغلها وظيفة باحثة في الأكاديمية الروسية للعلوم. كانت مهمتها تقييم الشواغل الرئيسية لدى المرأة في البلاد. ومن بين آلاف الردود على الاستقصاء الذي صممته، تلقَّتْ خطابين من سيدات يصفن قضية لم تتمكَّنَّ من تصنيفها. أدركت مارينا أنهن يصفن ما نطلق عليه اليوم العنف الأسري، لكن آنذاك لم تكن هناك كلمة تصف ذلك في اللغة الروسية.

تحدثت مارينا عن معضلتها مع سيدتين كانت تقابلهما كل يوم أثناء توصيل ابنها إلى المدرسة، وقد اعترفتا أنهما أيضًا ضحيتان للعنف الأسري؛ وهو أمر لم يخطر ببالها قط. وسرعان ما أدركت أنها مشكلة ضخمة تقبع أسفل قشرة المجتمع الخلوق. كانت النساء يتكتمن على الانتهاك بدافع من الخجل والشعور بالذنب، أو من أجل حماية أطفالهن.

ذاع خبر استقصاء مارينا في محادثات خافتة بين النساء، وقبل مضي وقت طويل كانت تتلقى مكالمات من جميع أنحاء البلاد. تعترف مارينا أنها في ذلك الحين لم تكن تعرف ما هي بصدده، أو كيف يمكنها مساعدتهن، فأدركت أنها في حاجة إلى دعم وتوجيه.

سافرت مارينا إلى السويد كجزء من عملها بمعهد الأبحاث التابع للأكاديمية الروسية للعلوم، وهناك طلبت من زملائها السويديين أن يمكنوها من الاتصال بالباحثين المهتمين بقضية العنف الأسري. وهكذا قابلت ريتفا هولمستورن؛ مديرة مركز المرأة لإدارة الأزمات في جوتنبرج. أطلعتها مارينا على ما توصلت إليه من بيانات ضخمة عن نساء يتعرضن لاعتداءات أسرية. تقول مارينا: «أتذكر أنني أخبرت ريتفا التي تترأس المركز بأنني عندما أعود إلى روسيا سأحاول أن أقرر ما إذا كنت سأستطيع مساعدتهن حقًّا.» فنظرت ريتفا إليها وقالت: «هل تظنين أنك تملكين الخيار؟ تدركين أن عليك القيام بذلك، وستقومين به.»

وهكذا في مكتب من غرفة واحدة وهاتف واحد، بدأت مارينا أول خط ساخن لمكافحة العنف الأسري في روسيا، والذي أصبح فيما بعد المركز الوطني لمكافحة العنف. عملت هناك وحدها طيلة ستة أشهر؛ تتلقى المكالمات وتستشير الأفراد، وسرعان ما بدأت استقبال حالات.

لم يمضِ سوى بضعة أشهر قبل أن تتلقى مارينا تهديدات من الأزواج أو الشركاء الذين يمارسون العنف ضد نسائهن اللاتي كانت تساعدهن. أدركت أنها لن تصل لشيء بإبلاغها الشرطة؛ فالعنف الأسري كان يُعتبر مسألة أسرية شخصية. وبوصفها أمًّا عزباء، كانت مارينا مرعوبة — إذ كانت لا تنفك تزن سلامتها وسلامة ابنها مقابل أصوات هؤلاء النساء — لم يساورها الشك قط في أنها لا يمكنها التخلي عن رسالتها. ومع نمو المركز الوطني لمكافحة العنف، ما فتئت مكالمات النجدة تنهال عليها. شعرت أنها فتحت على نفسها أبواب الجحيم وفكرت: «لن يُكتب لهذا الأمر الاستمرار؛ بالنسبة إليَّ وبالنسبة إلى هؤلاء السيدات.» كانت في حاجة إلى شيء أكبر.

كانت استراتيجيتها الأولى الضغط من أجل تمرير قانون مناهض للعنف الأسري. لقد نجح الأمر في بلدان أخرى، لكن في ظل المناخ السياسي في روسيا اكتشفت أن النجاح مستبعد؛ لذا غيرت وجهتها وشرعت في الاتصال بجهات إنفاذ القانون في إطار القانون القائم؛ لتبدأ تدريبات مع الشرطة ووكلاء النيابة والقضاة.

رغم أن رجال الشرطة لم يستوعبوا مسألة تفاقم العنف الأسري على هذا النحو، فإنهم كانوا قد عانوا من عواقبه — المتمثلة في قضايا القتل والاعتداءات والشكاوى — التي لم يقرُّوا بها بوصفها أنماطًا للانتهاك. جمعتهم مارينا بالمستشارين بمركز إدارة الأزمات، وحددت ضباط الشرطة ووكلاء النيابة والقضاة المهتمين بالقضية والمتعاطفين معها الذين سيشكلون حلفاءً ومدربين. خطوة بخطوة، تعاونوا معًا لبناء الثقة والالتزام المتبادل لمكافحة العنف ضد المرأة.

لكنه حتى مع نمو الحركة، كانت مارينا بالكاد تخلد للنوم، ومهما عملت بجد، لم تتمكن من التغلب على المشكلة. كل ساعة تموت سيدة في روسيا على يد أحد أقاربها،[8] وخلف كل اسم قصة، وغالبًا ما تكون قصة سيدة تواقة لتكون زوجة وأمًّا مثالية. النظرة السطحية الشائعة لهن كانت تتمثل في أنهن سيدات مخطئات بطريقة أو بأخرى ويستحققن التأديب. أدركت مارينا أنها في حاجة إلى تبديل الطريقة التي ينظر بها الناس إلى القضية، وإلى زيادة الوعي بالعنف الأسري بوصفه مشكلة اجتماعية في روسيا.

في عام ١٩٩٧، دشن المركز الوطني لمكافحة العنف الأسري حملة توعية وطنية أُطلق عليها «لا تبرير للعنف الأسري». أوضحت الحملة أن العنف الأسري ليس شاغلًا شخصيًّا، وإنما مشكلة عامة. تواصلت مارينا مع الناجيات من العنف الأسري، وقدَّمتْ لهن الخطوط الساخنة والملاذات الآمنة التي يمكنهن اللجوء إليها عند وقوع العنف. كانت المرة الأولى التي شاهدت فيها ضحية للعنف الأسري تتكلم بصراحة في لقاء تليفزيوني حول تجربتها. كانت تلك نقلة نوعية في القضية بالنسبة إلى مارينا. لم تغطِّ السيدة وجهها، ولم يوجه لها الجمهور اللوم. كان التوجيه العام يؤتي ثماره.

بحلول عام ١٩٩٩، كانت مارينا قد أنشأت أحد عشر مركزًا لإدارة الأزمات في مختلف أنحاء روسيا، وشبكة من خمس وثلاثين منظمة مكرَّسة لمكافحة العنف الأسري. ومع تعاون وزارة الشئون الاجتماعية الروسية مع المركز الوطني لمكافحة العنف الأسري في إطار شراكة، بدأت الوزارة هي الأخرى افتتاح ملاجئ ومراكز لإدارة الأزمات، وشكَّل المركز الوطني لمكافحة العنف الأسري شبكة أكبر لم تتضمن منظمات غير حكومية وحسب، وإنما منظمات تديرها الدولة كذلك. واعتبارًا من ٢٠١٢، ضمت تلك الشبكة أكثر من ١٦٠ منظمة. وتخطيًا لحدود روسيا، مدت الحركة النسائية الدولية يد العون كذلك. كانت القوانين الدولية، مثل منهاج عمل بكين واتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو) بمثابة أدوات مهمة، وكذا المنظمات الدولية مثل رابطة المحامين الأمريكيين.

عندما بدأت مارينا عملها، كان هدفها مساعدة امرأة واحدة، وبعد مضي قرابة العقدين، ساعد مركزُها وشبكة شركائه أكثر من مائتي ألف سيدة. قالت مارينا: «أُدرك الآن أنني إن قررت التوقف، أو ربما التقاعد، فإن العمل لن يتوقف، بل سيستمر، وأتخيل نفسي أُلقي بجلمود صخر من أعلى تلٍّ، وذات يوم يبدأ الجلمود في التدحرج من تلقاء نفسه. وهذا ما أراه نجاحًا.»

حتى في تلك الأيام المبكرة في عام ١٩٩٤، كانت هناك قوة داخلية تدفع عمل مارينا؛ إذ تقول: «كانت قوتي الدافعة دومًا هي إعلاء صوت المحجوبين. استحوذت عليَّ هذه القوة، وكما حُذرت، لم أكن أملك الخيار. لقد كانت رسالة أحاول إثبات أهليتي لها طيلة تلك السنوات.»

حفصة أبيولا

نيجيريا

> لا زلت أتذكر اللحظة التي أُلهمت فيها الفكرة. كنت أسير في ساحة جامعة هارفرد عام ١٩٩٦، وكان مجموعة من الطلبة يجمعون التوقيعات من أجل شيء ما. فكرتُ: «ما الخطب هذه المرة؟ ربما يناضلون من أجل الحق في المشي حفاة في ساحة الجامعة؟» لكن عندما تحدثوا معي، أدركت أنهم يجمعون التوقيعات من أجل تحرير رئيس منتخب في أفريقيا من السجن. كانوا يتحدثون عن أبي.

في عام ١٩٩٣، انتُخب والد حفصة أبيولا، ويدعى مسعود أبيولا؛ وهو رجل أعمال عصامي ناجح؛ رئيسًا لنيجيريا بناء على برنامجه الانتخابي «أمل ١٩٩٣: وداعًا للفقر». كان أبيولا ابنًا لمزارع فقير، وكان أول من كُتب له البقاء على قيد الحياة بعد مرحلة الرضاعة بين أطفال أبيه السبعة عشر. وإذ عُرف عنه شخصيته الكاريزمية، وأنه رجل الشعب، كان رائدًا في الأعمال الخيرية، وآمن بأن أفريقيا ينبغي أن تكون مكانًا يوفر الفرص للجميع.

عاشت نيجيريا تحت وطأة الحكم العسكري لقرابة الثلاثين عامًا، لكن في عام ١٩٩٣ قرر المجلس العسكري الحاكم عقد انتخابات ديمقراطية، وفاز بالانتخابات مسعود أبيولا فوزًا ساحقًا، مُحدثًا حراكًا مناصرًا للديمقراطية لم يتوقعه الجيش قط، وسرعان ما أبطل المجلس نتيجة الانتخابات واعتُقل والد حفصة لإعلانه أنه الفائز بالانتخابات. حينها لم

تكن حفصة مهتمةً بالسياسة. كانت تسعى للحصول على الدكتوراه من جامعة هارفرد ثم تعود إلى نيجيريا لتقوم بما قامت به أمها: تتزوج وتنشئ أسرة، لكن تغير كل شيء عام ١٩٩٣.

عندما سُجن والد حفصة، دشَّنت والدتها، خضيرة أبيولا، حملة للمطالبة بإطلاق سراحه. تتذكر حفصة عودتها مسرعة من محاضراتها لتُجري مكالمات هاتفية يومية بوالدتها التي تكرِّس جهودها لإبقاء الأمل حيًّا في الديمقراطية وممارسة الضغط على الجيش لإطلاق سراح مسعود، وكانت حفصة تسألها: «ماذا بوسعي عمله لمساعدتك؟» ودائمًا ما كانت ترد والدتها: «أفضل ما يمكنك عمله الآن هو المواظبة على دراستك.»

بعد الظهيرة، تحدث أولئك الطلاب مع حفصة، التي أدركت أنه ربما يوجد شيء ما بوسعها القيام به. كان انطباعها عن الأمريكيين، حتى حينه، أنهم لا يعرفون الكثير عن أي شيء يجري بالبلدان البعيدة عنهم، لكن ما فاجأها وجود أمريكيين مهتمين بالخَطب الذي ألمَّ بوالدها هناك؛ في النصف الآخر من العالم.

أسرعت عائدة إلى مهجعها للاتصال بوالدتها، وقالت لها: «أمي، يوجد بعض الطلبة هنا بالحرم من منظمة العفو الدولية. إنهم ينظمون حملة لإطلاق سراح والدي، ويريدون مني الانضمام لهم والحديث إلى بعض الناس عن الموقف. أمي، أعتقد أن هناك ما بوسعي القيام به هنا لمساعدتك.»

على مدار الأسابيع القليلة اللاحقة، وجَّهت خضيرة ابنتها عبر الهاتف، وساعدتها على اكتشاف نفسها وإيجاد الشجاعة للتحدث أمام الناس. كانت كلتاهما ترتقب حفلَ تخرُّج حفصة، عندما سترى كلٌّ منهما الأخرى للمرة الأولى بعد مضي عام. لكن ذات يوم، لم تهاتف خضيرة ابنتها كما اعتادت أن تفعل. تذكرت حفصة قائلة: «أدركت أن شيئًا ما لم يكن على ما يرام، لكنني افترضت أنها مريضة أو أنها مستغرقة في عملها السياسي ذلك اليوم.» لكن جاءتها مكالمة عاجلة من أصدقاء لعائلتها أطلعتها على الحقيقة المروعة؛ لقد اغتيلت خضيرة؛ أُطلق عليها الرصاص عقب إضراب عمالي شاركت في تنظيمه.

مع وفاة والدتها واستمرار اعتقال والدها، شعرت حفصة أنه لا خيار أمامها سوى مواصلة مهمتهما، تقول حفصة: «أدركت أنه وجب عليَّ أن أسير على خطاهما. شرعت في السفر في أنحاء الولايات المتحدة كي أتحدث إلى الجماعات الكنسية وتجمعات الطلبة والسياسيين ورؤساء الشركات، وأي شخص سيستمع لي وسيساعدني في قضيتي؛ إطلاق سراح والدي واحترام الديمقراطية.»

لقد التقيتُ بحفصة عبر صديق مشترك في عام ١٩٩٧. حينها كنت أعمل بوزارة الخارجية، وكانت حفصة تضغط من أجل لقاء مسئولي وزارة الخارجية؛ لتحظى بدعمهم لها في دعوتها لإطلاق سراح والدها. أصبحت حينها مدافعة متمرسة ومثيرة للإعجاب عن الحقوق، وخطيبة مفوهة ومقنعة تمتعت بإمكانات مذهلة لإحداث التغيير في بلدها، لكن ما أدهشني أكثر من غيره كان صمودها، حتى بعد مرورها بمثل هذه المأساة في سن صغيرة. واعتمادًا على بأسها الهادئ، ركزتْ طاقتها على إحداث التغيير في نيجيريا.

في عام ١٩٩٨، سافر كلٌّ من توماس بيكرينج؛ وكيل وزارة الخارجية، وسوزان رايس؛ مساعدة وزيرة الخارجية، إلى نيجيريا للقاء والد حفصة في السجن، ولحثِّ الجيش على السماح بإجراء انتخابات ديمقراطية. وفي عشية اليوم المحدد لإطلاق سراحه، سقط مسعود أبيولا على الأرض في حضور بيكرينج ورايس. تعتقد حفصة وأسرتها أن مسعودًا دُسَّ له السم، رغم أن سبب الوفاة الرسمي الذي أُعلن عنه كان أزمة قلبية. ومن غير إبطاء أعلنت الحكومة العسكرية إجراء انتخابات ديمقراطية في غضون تسعة أشهر، وحينها قالت حفصة: «لم يشهد والداي قط مجيء الديمقراطية إلى نيجيريا. لقد قضيا نحبهما من أجل هذه القضية.»

بعد وفاة والديها، سأل كثيرون حفصة إن كانت ستستكمل إرثهما السياسي؛ فقد جسدت بجلاء رؤية آل أبيولا وشخصيتهما الكاريزمية والتزامهما، إلا أن منهجها كان

قائمًا على رؤية استراتيجية أعمق؛ فقد أخبرتني: «لسنا بحاجة في نيجيريا إلى زعيم عظيم أو زعيمين عظيمين فحسب؛ نحن بحاجة إلى تغيير جذري.»

كانت ثلاثة عقود من الحكم العسكري قد عززت من نظام قيادة ديكتاتوري في نيجيريا. شرحت حفصة الموقف بقولها: «أصبح اسم حكومتنا مرادفًا لسرقة الموارد العامة. لم يُعرف مصير ١٢ مليار دولار من عائدات النفط من عام ١٩٨٨ إلى عام ١٩٩٤،[9] ومن المرجح أنها وُزِّعت على القلة التي تملك مقاليد السلطة.» ورغم ثروة نيجيريا الطبيعية، أصبحت نيجيريا واحدة من أفقر بلدان العالم؛[10] ففي عام ١٩٩٩، نبهت الأمم المتحدة إلى أن ثلثي سكان نيجيريا البالغ عددهم أكثر من ١٠٠ مليون نسمة يعيشون تحت خط الفقر.[11] وانخفض متوسط العمر إلى خمسة وثلاثين عامًا، وهو ما يقل عن متوسط العمر بالنسبة إلى البلدان النامية بعشر سنوات،[12] وكان ما يقرب من نصف السكان لا يحصلون على مياه شرب نظيفة أو صرف صحي.[13] كتب جينجا أديفاي؛ محرر جريدة «فانجارد» المستقلة الصادرة في لاجوس: «نأمل أن نجمع شتات حياتنا بعد رحيلهم.»[14]

ترى حفصة أن المرأة النيجيرية، التي حصلت على أقل القليل ودفعت في المقابل أكبر ثمن في ظل الحكم العسكري، تقدم إمكانية قوية للتغيير. لقد حافظت على ثقافة توافق الآراء والقيم الإيجابية والشراكة. وهي بذلك تحتل موقعًا فريدًا يتيح لها تفكيك التقاليد السياسية العنيفة التي تعترض سبيل الديمقراطية. وللأسف، نادرًا ما تُتاح للمرأة النيجيرية الفرصة لتولي مناصب القيادة السياسية.

تقول حفصة شارحة: «سوء القيادة سحق إمكانات بلدي، وأفضل سبيل لإيلاء إرث والدي حقه هو أن أكون جزءًا من خلق هذا التغيير الجذري؛ خلق واقع جديد.» في عام ١٩٩٩، أسست «مبادرة خضيرة من أجل الديمقراطية» لتخليد ذكرى والدتها بمساعدة الآلاف على توصيل أصواتهن. ولما يزيد على عقد من الزمان، دربت شابات على لعب دور قيادي في تشكيل مستقبل بلدها؛ تقول: «القيادة معناها البحث عن البقاع التي تُنتهك فيها الإنسانية، والإسهام في تشكيل الوسيلة التي تخرجنا من المستنقع الذي سقطنا فيه.»

تُدرِّب «مبادرة خضيرة من أجل الديمقراطية» الشابات على تحمل مسئولية حياتهن الشخصية والمهنية، كما تدربهم على المشاركة في السياسة وصنع القرار على المستويين المجتمعي والوطني. ورغم أن المتخرجات لا يزلن في سن صغيرة، فإنهن ينخرطن في قضايا المجتمع بدءًا من الجهود الرامية إلى إيقاف العنف ضد المرأة، وضمان تفعيل نسبة مشاركة المرأة السياسية البالغة ٣٠ بالمائة، إلى تشجيع مبادرات الأعمال الحرة وغيرها من استراتيجيات التخفيف من حدة الفقر.

تقول حفصة عنهن: «أراهن يسِرْنَ على نهج خضيرة ليكنَّ مِثْلها في المستقبل. إنهن نساء رائدات في الحياة السياسية في نيجيريا. إنني أعمل على إذكاء شعلة في قلوب جيل جديد من النيجيريات اللاتي يقلن: «يمكن لنيجيريا أن تعود إلى سابق عهدها. بمقدورنا هذا».»

وتصف حفصة القوة الدافعة خلف ثقتها الهادئة وصمودها وقوتها: «لدينا ما يكفي، وأعدادنا كافية. تلك الكلمات التي أعيش عليها. لدينا ما يكفي من الموارد لكل شخص، وستزيد بتشاركنا إياها. ولأن أعدادنا كافية؛ فإننا نمتلك القدرة على حل كافة المشكلات التي تجتاح عالمنا.»

أنيل تاونسند دييز-كانسيكو

بيرو

عندما أعيد انتخابي بأغلبية ساحقة لعضوية الكونجرس، لم أعتبر هذا جائزة بل تحديًا لإيصال أصوات الناس عبر أروقة الحكومة.

إبان تسعينيات القرن العشرين، عانت بيرو، مثل كثير من بلدان أمريكا اللاتينية، من انتشار الفساد والجريمة المنظمة. وقد قُدِّرَت التداعيات الاقتصادية للفساد — تهريب

المخدرات، واستغلال العمالة، والتهرب الضريبي، وعمليات الشراء غير القانونية في قطاع الدفاع — بنحو مليار دولار. وبموازاة ذلك، تدهورت جودة البرامج والمؤسسات الاجتماعية مثل المستشفيات والمدارس، وعاش أربعة وخمسون بالمائة من شعب بيرو تحت خط الفقر.[15]

خلال تلك السنوات، استخدم النظام الحاكم أساليب الترهيب ضد خصومه. ولما كانت أنيل تاونسند صحافية تعمل من أجل كشف الفساد، كان يُتنصَّت على مكالماتها الهاتفية، وكثيرًا ما كانت تتم مراقبتها، كما كان ابنها يتلقى تهديدات. حينها بدا أنه لا مخرج مما تعانيه. لكن السياسة كانت تجري في عروق أنيل مجرى الدماء؛ فقد كان والدها سياسيًّا مرموقًا حارب من أجل زيادة شفافية الحكومة. وفي أوائل تسعينيات القرن العشرين، بينما كانت تسافر في أنحاء البلاد لإعداد تقارير إخبارية عن الفساد وانتهاكات حقوق الإنسان، بدأت تشعر أنه لم يعد بوسعها إعداد التقارير وحسب عن مشكلات بيرو؛ كانت بحاجة للعمل على حلها.

في عام ١٩٩٥، انضمت أنيل إلى حملة خافيير بيريز دي كويار الرئاسية ضد رئيس بيرو ألبرتو فوجيموري. بعدها ببضعة أشهر، طلب منها الحزب أن تخوض الانتخابات كمرشحة برلمانية. وأدركت أنه سيتعين عليها الالتزام بالتغيير السياسي والاجتماعي أكثر من أي وقت مضى. قالت أنيل عن ذلك: «كنت مدركة أن تكريس حياتي المهنية بالكامل لمكافحة الفساد ومحاربة من لا يريدون إفساح مساحة سياسية للمرأة ستكون بالنسبة إليَّ بمثابة معركة مستمرة.»

في بيرو، أظهرت نتائج الاقتراع أن الشباب من الجنسين كانوا في عزلة عن الحياة السياسية؛ إذ لم تكن لديهم ثقة في الساسة. وبوصفها قائدة جديدة، أرادت أن تستعيد ثقتهم ومشاركتهم. أصبحت أنيل أحد أقوى الأصوات المطالبة بالتغيير. وأثناء إحدى خطب فوجيموري أمام الكونجرس، التي بثها التليفزيون الوطني، اقتربت أنيل — التي كانت حينها عضوة جديدة بالكونجرس — من منصة الرئيس ووضعت أمامه ماعونًا فارغًا. جذبت جرأةُ ورمزيةُ لَفْتَتِها الانتباهَ، إذ مثَّلت وعود فوجيموري الخاوية، وأوضحت أن شعب بيرو يموت جوعًا.

في نوفمبر عام ٢٠٠٠، اتُّهم الرئيس فوجيموري بالإخلال بمنصبه وعُزل منه؛ إذ طالته فضيحة فساد ولاحقته احتجاجات قوية ضد انتهاكات حكومته لحقوق الإنسان. ومع شروع بيرو في الانسلاخ من حكم أوتوقراطي سيطر على الأعمال ووسائل الإعلام

والنظامين القضائي والقانوني، والاتجاه في الوقت ذاته نحو مكافحة الجريمة المنظمة، رأت أنيل فرصة لخلق حكومة أكثر شفافية وأقل مركزية؛ أي التأسيس لديمقراطية حقيقية في بيرو.

في رحلتي الأولى إلى بيرو في فبراير ٢٠٠٣، تناهى إلى مسامعي أن عضوة كونجرس شابة شديدة البأس فازت بأكبر عدد من الأصوات مقارنةً بأي عضو آخر بالكونجرس داخل البلاد. كرَّست أنيل جهودها لمكافحة الفساد، فتعاونت مع زملائها لكشف الروابط بين الفساد والعنف الناجم عن المخدرات، ولإقرار أن الحكومة يجب أن تفصح عن الميزانيات وغيرها من المعلومات من أجل الرقابة العامة.

رتبت السفارة الأمريكية في بيرو لقاء جمعني بأنيل في مقهًى صغير بوسط مدينة ليما خلال تلك الزيارة الأولى. كانت تتكلم عن إيمان راسخ وبإيقاع سريع وواثق. أخبرتني أنيل أنها عُيِّنت لتوِّها وزيرة لشئون المرأة، وأنها تخطط للتركيز على إقامة حوار بين الحكومة والمنظمات غير الحكومية لتعزيز الشفافية وإقامة شراكات جديدة. كانت تتوقف بين الحين والآخر وقد غلبها الإلهام تقريبًا أو ربما لتلتقط أنفاسها. إنها حالمة وصاحبة رؤية، لكنها تركز بالمثل على قضيتها ولا تلين. أخبرتني كيف أنها اتخذت المبادرة بالفعل لعرض مشروع تشريع جديد من أجل حماية حقوق المرأة في المنزل، وفي العمل، وتمكنت من عرضه على الكونجرس. وبالتعاون مع المنظمات غير الحكومية المحلية والدولية، تمكنت من إقناع لجنة الشئون الدستورية بالكونجرس بإدخال تعديل على الدستور ينص على أن الدولة يجب أن تحترم المساواة بين الجنسين وتشجع عليها في المشاركة السياسية.

ربما كانت أنيل واحدة من النساء القلائل اللاتي فُزنَ بعضوية الهيئة التشريعية بكونجرس بلدها، لكنها لم ترهب الدفاع عن مساواة المرأة؛ فبالنسبة إليها، المساواة ليست تفضيل جماعة على أخرى، بل مساعدة بلدها بأكمله، وقد قالت في هذا الشأن: «النساء هن العمود الفقري لمجتمعاتنا؛ فلسنوات طوال قُمنَ بالعمل الذي لم تقُم به الحكومة؛ فكن ينظمن المراكز المجتمعية والبرامج التعليمية، ويوفرن الطعام للجائعين والرعاية الصحية للمرضى. الأمر الوحيد الذي يبدو مناسبًا هو أنه مع تطبيق اللامركزية على سلطة الحكومة، ينبغي أن يزداد عدد النساء اللاتي يتقدمن لشغل المناصب الجديدة في المجالس المحلية والوحدات الإدارية.»

في عام ٢٠٠١، عملت أنيل على تمرير قانون يفرض حصة مخصصة للنساء تبلغ ٣٠ بالمائة في قائمة مرشحي كل حزب لانتخابات الكونجرس. ومنذ ذلك الحين، تصدى

المزيد من السيدات لمناصب القيادة السياسية على المستويين المحلي والوطني. وتثق أنيل في أنه بزيادة عدد المواطنين — النساء والرجال على السواء — الذين يؤدون دورًا نشطًا في العملية السياسية، سيستمر انخفاض معدل الفقر في بيرو وسيزدهر اقتصادها. استمرت أنيل في التشجيع على المساواة بين الجنسين والشفافية العامة في بيرو وأمريكا اللاتينية؛ إذ عملت مستشارة لمنظمات مثل: مصرف التنمية للبلدان الأمريكية، واللجنة النسائية للبلدان الأمريكية التابعة لمنظمة الدول الأمريكية، إضافة إلى البنك الدولي.

بمقدور أنيل أن ترى التغيير يشق طريقه على مَهلٍ عبر بيرو والمنطقة بأكملها، وهي تعتقد أن المجال أمام أصوات المرأة في السياسة يتفتح أخيرًا في أمريكا اللاتينية، تحت قيادة قلة من السيدات اللاتي تحدين «مُسلَّمات» السياسة التقليدية كما فعلتْ هي. انتُخبت ميشال باشيلي؛ وزيرة الدفاع السابقة؛ رئيسة لشيلي في ٢٠٠٦، وبوصفها أول رئيسة دولة في أمريكا اللاتينية فقد حملت شعلة جديدة، وحوَّلت رؤية المنطقة بشأن ما تعنيه القوة. وأصبحت ديلما روسيف رئيسةً للبرازيل في عام ٢٠١١، وأعلنت خلال خطابها التأسيسي أنها ستحارب من أجل حقوق المرأة بحيث يكون انتخاب القيادات النسائية «أمرًا من الأمور الطبيعية.» ومنذ انتخابها، نزلت معترك السياسة في البرازيل موجة غير مسبوقة من النساء فيما أُطلق عليه في وسائل الإعلام «تأثير ديلما». لا يزال أمام بيرو تصعيد سيدة إلى أعلى منصب بالبلاد، لكن كل امرأة تتصدى للقيادة على نحو أخلاقي وشفاف، مثل أنيل، تُدني هذا الاحتمال أكثر قليلًا من الحدوث. إن قوة أنيل المحركة هي: «النساء سيصنعن التغيير، ومهمتي إيصال أصواتهن.»

سونيتا كريشنان

الهند

لم تكن أميتا تتجاوز الأعوام الثلاثة من عمرها عندما خدع متاجرون بالبشر والدتها. لقد وعدوها بأن ابنتها ستنال فرصة لحياة أفضل، إلا إنهم باعوا أميتا، وعندئذٍ التمست والدتها المساعدة، مستميتة في إيجاد ابنتها. خاطرنا معًا بحياتنا؛ واجهنا المتاجرين وأنقذنا أميتا، والآن بعد مرور ثلاثة عشر عامًا، غدت أميتا يافعة، وتطمح في أن تكون طبيبة. إنها الأولى على فصلها بالمدرسة.

كرَّست سونيتا كريشنان حياتها لكسر دوامة العنف المتمثلة في الاتجار بالبشر بغرض الاستغلال الجنسي، وتجارة الرقيق، وتفشي فيروس نقص المناعة البشرية/الإيدز في الهند. ورغم أنها تتعدى بالكاد الأربع أقدام طولًا، فقد اضطلعت بمهمة ضخمة؛ إذ أسست منظمة براجوالا — الشعلة الأبدية — وهي منظمة غير حكومية تنقذ الأطفال مثل أميتا من أوكار الدعارة، وتساعدهن على إعادة بناء حياتهن.

استرجعت سونيتا ما حدث قائلة: «كانت أميتا مصدر إلهام؛ لأنه حتى بعد إنقاذها ظلت معرضةً للخطر؛ إذ لم يكن يوجد مكان يوفِّر لها الأمان ويشعرها بالحماية. منذ ثلاثة عشر عامًا، قررت أن أبني ملجأً، وبنيته من أجل أميتا.»

كانت قوة سونيتا كريشنان المحرِّكة نابعة من صدمة تعرضت لها هي نفسها؛ فعندما كانت في الخامسة عشرة من عمرها تعرضت لاغتصاب جماعي على يد ثمانية رجال. عقب هذا الهجوم، وجدت سونيتا صعوبة شديدة في استيعاب ما حدث لها. رفضت أن تعتبر نفسها ضحية، بل حوَّلت ألمها إلى التزام متَّقد؛ إذ تعهدت بأن تلعب دورًا في وضع حد للاستغلال الجنسي للنساء والأطفال.

عندما قابلتُ أميتا لأول مرة، أطلعتني على أن أكثر من ٩٠ بالمائة من الأطفال بملجئها مصابون بفيروس نقص المناعة البشرية. ظننت أنها تعني أن الفيروس انتقل من الأمهات إلى أطفالهن، لكنها شرحت قائلة: «لا! جميع الأطفال بالملجأ ناجون من الاتجار بالبشر

بغرض الاستغلال الجنسي. إنهم أطفال أُنقذوا من الاستغلال في المواد الإباحية والسياحة الجنسية والدعارة. لقد اختُطفوا أو خُدعوا بوعود العمل الكاذبة، أو باعهم آباؤهم، أو سقطوا في استرقاق الدائنين.» حينها لم تكن تتجاوز سن أصغر طفل في الملجأ ثلاثة أعوام ونصفًا.

تعمل منظمة براجوالا على خمس ركائز: الوقاية، والإنقاذ، وإعادة التأهيل، وإعادة الدمج، والمؤازرة، وكلُّ ركيزة تؤدي دورًا متممًا في استراتيجية وضعتها سونيتا مع شركائها وطاقم العمل على مدار خمسة عشر عامًا.

يأتي في مقدمة هذه الركائز الوقايةُ. ومن أجل منع الاستغلال الجنسي لأغراض تجارية قبل أن يقع، تدير منظمة براجوالا شبكة مكوَّنة من ثماني عشرة مدرسة ابتدائية في ولاية أندرا براديش. تفتح المدارس أبوابها لأطفال النساء المشتغلات بالدعارة وغيرهم من الأطفال الذين يعيشون بالمناطق المحيطة بأوكار الدعارة. والهدف هو تسليح هؤلاء الأطفال بالمهارات والمعرفة اللازمة كي يحيوا حياة مختلفة عما يشاهدونه بالمنزل. المدارس بمثابة مكان آمن يمكث به الأطفال نهارًا، كما أنه يبعدهم عن مالكي أوكار الدعارة والمتاجرين بالبشر. تقود سونيتا جهودًا قائمة على العمل المجتمعي بالعشوائيات والقرى والمدارس والكليات؛ حيث يسعى فريقها للتعرف على النساء والأطفال المعرَّضين للخطر ويتواصل معهم. إنهم يعملون بمبدأ الوقاية خير من العلاج.

الركيزة الثانية هي الإنقاذ. بالتنسيق مع الشرطة، تقوم فرق الإنقاذ والتعافي بمنظمة براجوالا بالتسلل إلى أوكار الدعارة التي تخالف القانون؛ لقد تمكنوا بداية من ديسمبر ٢٠١١، من إنقاذ أكثر من ٦٤٣٦ سيدة وطفلًا. العديد من عضوات فريق براجوالا كنَّ مشتغلاتٍ بالجنس في السابق قبل أن يتم إنقاذهن. هن حاليًّا يساعدن الشرطة في تمييز الضحايا عن الجانيات المختبئات بينهن، كما أنهن يستطعن التواصل مع الضحايا بحنوٍّ خالص وتفهُّم صادق.

إعادة التأهيل عمل بطيء. كثير ممن يجري إنقاذهم أُعطوا مخدرات لحدِّ الإدمان، وجُرِّدوا من إنسانيتهم، وجرى غسيل أمخاخهم. إن قدرتهم على الثقة بإنسان آخر معدومة تقريبًا، ويمكن أن يكون التعافي عملية طويلة ومؤلمة. وفي ظل رعاية الأخصائيين الاجتماعيين والطواقم الطبية ودعم الأقران، يتحول الضحايا شيئًا فشيئًا إلى ناجين بمرور الوقت. يواصل كثير من هؤلاء حياتهم وهم يحملون فيروس نقص المناعة البشرية. ويتعين عليهم أن يتغلبوا على تحديات بدنية ونفسية واقتصادية شديدة الصعوبة، ويواجهون تهديدات مستمرة من المتاجرين بالبشر، ويوصمون من قبل المجتمع.

كثيرًا ما ينبذ المجتمع ضحايا الاتجار بالبشر. وعملية إعادة الإدماج هي أكبر التحديات في عمل سونيتا. لقد وضعت برنامج براجوالا للتعافي الاقتصادي الذي يوفر خيارات مستدامة وسانحة لسُبل المعيشة وخدمات إعادة الإدماج. يتلقى مئات الناجين تدريبًا ليكونوا عاملي لحام، أو نجارين، أو بنَّائين، أو حرَّاس أمن، أو سائقي تاكسي، أو مصورين، أو طباعين. ويوفر الشركاء من المؤسسات تدريبًا إضافيًّا وأماكن توظيف تدفع رواتب تفوق متوسطات الرواتب الوطنية.

المؤازرة هي الركيزة الخامسة والأخيرة. تدرك سونيتا وفريقها أن عملهم وحده لن يكفي؛ لذا يتعاونون تعاونًا وثيقًا مع شركاء من قطاعات مختلفة، وتعمل مع السلطات الحكومية على صياغة سياسات لمكافحة الاتجار بالبشر من شأنها أن تساعد الناجين على الوصول لخدمات إعادة التأهيل والتعويض المادي. وفي عام ٢٠١٠، تبنت ولاية أندرا براديش سياسة تقدمت سونيتا بمقترحها، تحدد المعايير الدنيا للرعاية التي يجب أن تستوفيها الملاجئ ومقدمو الخدمات.

تقول سونيتا: «لم يكن الطريق سهلًا. كان عليَّ دفع ثمن باهظ.» فالاتجار بالأشخاص تجارة مربحة، وثمة كثيرون سيودُّون إسكات سونيتا. فقد هُوجمت بوحشية مرات عديدة بسبب عملها، وكثيرًا ما تتلقى تهديدات بالقتل، لكنها دائمًا ما تتوجه لعملها في اليوم التالي؛ لأنها تريد إيصال رسالة قوية: «أنا لست ضحية. إنهم لا يرهبونني. لا يمكنهم إيقاف جهودي.»

تَشكَّل هذا الالتزام منذ سنوات، تقول سونيتا: «عندما تعرضت للانتهاك كان من الممكن أن أعتبر نفسي ضحية. كان هذا هو المخرج السهل. الْتمست المساعدة من الآخرين لانتشالي من الظُّلمة التي شعرت بها، لكنهم لم يتمكنوا من ذلك. أحسست بالعزلة والخزي. تساءلت إن كان ما حدث خطئي، لكنني حينها نظرت داخلي.» ما وجدته سونيتا بداخلها كان نبعًا من القوة أكسبها حماسًا.

تعترف قائلة: «أعايش كثيرًا جدًّا من الألم، كثيرًا جدًّا من المعاناة. أحيانًا يفوق الأمر حد الاحتمال، لكن ثمة قوة عظيمة يستشعرها من يمر بالألم، وأومن بأنه يجب على المرء أن يستفيد من القوة الكامنة في الألم؛ تلك هي القوة المحركة لحياتي.»

حواء عبدي

الصومال

> إن توقفتُ عن العمل؛ فلن يكون هناك مكان للنساء يذهبن إليه. إن النساء عنصر أساسي في تحقيق الاستقرار.

منذ قيام دولة الصومال عام ١٩٦٠، أتت الحرب على الأخضر واليابس فيها، وخلَّفت عقودٌ من الفقر والاضطرابات آثارًا لا تندمل، وقَوَّضتِ النزاعات الجهوية والقبلية أيَّ شكل من أشكال السيطرة المركزية على البلاد. والنتيجة خليط من المناطق الذاتية الحكم تشرف عليها العشائر، التي كوَّنت كلٌّ منها حكومتها الخاصة. ونتيجة للعنف المستمر، أُجبر قسم كبير من الحكومة المركزية على العمل خارج الصومال في دولتي كينيا وجيبوتي المجاورتين.[16] ورغم أن الانتخابات التي جرت سلميًّا في عام ٢٠٠٩ منحت قدرًا من الأمل في التقدُّم، فلا تزال الأعمال العدائية بين العشائر مستمرة، ولا تزال حالة عدم الاستقرار قائمة، إلى جانب الفقر المتفشي في البلاد. وفي حين أن هناك انعدامًا شبه تام للبيانات الرسمية، فإنه من المعلوم أن العنف ضد المرأة والاغتصاب والعنف الأسري هي أمور شائعة في البلاد.[17] وتقدِّر منظمة اليونيسف أن ٩٨ بالمائة من النساء يخضعن لختان الإناث؛ الأمر المفضي غالبًا إلى مضاعفات صحية خطرة.[18]

في كثير من بقاع الصومال، الرعاية الصحية بدائية في أفضل الأحوال. في سن مبكرة، شاهدت حواء عبدي أمها وهي تموت أثناء المخاض، فقطعت على نفسها عهدًا بأنها يومًا ما ستدعم الاحتياجات الطبية للمرأة الصومالية. في سن السابعة عشرة، نالت منحة لدراسة الطب في أوكرانيا. وبعد تلقيها التدريب الذي يؤهلها للتخصص في طب النساء والتوليد، عادت الدكتورة حواء عبدي إلى الصومال لتكون أول طبيبة متخصصة في طب النساء والتوليد في البلاد.

تزوجت الدكتورة حواء في الصومال، وأنجبت ثلاثة أطفال، وعملت في مستشفيات حكومية. ولما كانت على درجة كبيرة من الوعي بتبعات المجاعة والحرب على النساء والأطفال، التمست إذن محمد سياد بري، الرئيس آنذاك، لافتتاح عيادة من غرفة واحدة في شبيلي السفلى؛ وهي قرية خارج مقديشيو؛ لمساعدة البدويات أثناء مخاضهن. في عام ١٩٨٣، فتحت العيادة أبوابها بمزرعة عائلتها البالغة مساحتها ٩٨٠ فدانًا. كانت مقتنعة أنه كي تتقدم الصومال، يجب أن يوجد أناس على الأرض يشجعون على التغيير.

في عام ١٩٩١، انهارت الحكومة الصومالية، وضربت المجاعات أطناب البلاد، وفرت مجموعات الإعانة الأجنبية من البلاد خشية العنف الناشئ، لكن الدكتورة حواء مكثت، وبدلًا من سحب خدماتها قامت بتوسيع نطاقها. تحولت مزرعة أسرتها إلى مستشفًى ومدرسة ومخيمٍ للاجئين؛ حيث وجد ٧٨ ألف شخص الملاذ والرعاية الطبية لإصابات الحرب وسوء التغذية الشديد والأمراض.

تحولت العيادة التي كانت مكوَّنة في وقت من الأوقات من غرفة واحدة إلى مستشفى حواء عبدي؛ حيث تعمل الدكتورة حواء مع ابنتيها؛ أمينة وديقة محمد. يضم المستشفى ثلاث غرف عمليات، وستة أطباء، وثلاثًا وأربعين ممرضة، وأربعمائة سرير، ومدرسة تستوعب ثمانمائة طالب، ومركزًا لتعليم الكبار يقدم دروس القراءة والكتابة والمعلومات الصحية للنساء. تشمل المناهج الدراسية النهي عن ختان الإناث. شَعْبها في أمسِّ الحاجة إلى التزامها؛ فحتى سنة ٢٠١١، في بلد يبلغ تعداده قرابة عشرة ملايين نسمة، لم يكن هناك سوى ٣٦٥ طبيبًا.

في بعض الأحيان، كان هذا الالتزام يعني مخاطرتها بحياتها؛ ففي مايو ٢٠١٠، اجتاح المخيم مئات من المقاتلين الإسلاميين، واحتُجزت الدكتورة حواء كرهينة لأسبوع، وبدلًا من الإذعان لمُحْتجزيها، صمدت وسألتهم: «ماذا صنعتم من أجل المجتمع؟» وتحت ضغط من الأمم المتحدة وغيرها من المناصرين الدوليين، تراجع المعتدون في النهاية وغادروا القرية، واستأنفت الدكتورة حواء عملها فورًا.

رغم أننا كنا نتتبَّع جهود الدكتورة حواء عبدي لسنوات، جمعني لقائي الأول بها في ٢٠١٠، عندما شاركت منظمة أصوات حيوية مجلة «جليمور» لتكريمها هي وابنتيها بجائزة سيدة العام، التي تمنحها مجلة «جليمور»، عن جهودهن التي لا تفتر لإنقاذ حياة النساء في الصومال وتحسين ظروف معيشتهن. لم تكن الشراكة في مجرد الاسم وحسب؛ فقد أنشأت منظمة أصوات حيوية ومجلة «جليمور» معًا صندوقًا يستفيد منه مباشرة مستشفى حواء عبدي. وعقب مقال كتبه نيك كريستوف عن الدكتورة حواء عبدي ونُشر بصحيفة «نيويورك تايمز» عام ٢٠١١، جمعنا ما يقرب من ٢٠٠ ألف دولار في غضون أيام لمساعدة الدكتورة حواء على توفير الملجأ والعناية الطبية والتعليم لنحو ٧٨ ألف محتاج من الصوماليين.

تَلفتُ الدكتورة حواء الانتباه مرارًا وتكرارًا إلى أن مخيمها ليس من أجل تقديم الاحتياجات العاجلة وحسب، بل من أجل خلق نموذج جديد. جيل من الصبية الذين نشئوا في المخيم تعلموا احترام المرأة بوصفها ندًّا لهم، كما أنهم يخدمون ضمن قوة أمنية لحماية المخيم. تم حظر العنف الأسري وختان الإناث بالمكان، ويوجد به زنزانة للرجال المتورطين في أعمال عنف ضد المرأة.

القوة المحركة للدكتورة حواء عبدي هي «إيجاد بصيص من الأمل في حالة اليأس والأزمات»، والإيمان بأنه لا خيار أمامها سوى القيادة.

الفصل الثاني

جذور راسخة في المجتمع

تقدمه الدكتورة نجوزي أوكونجو-إيويالا
الوزيرة المنسقة لشئون الاقتصاد ووزيرة المالية، نيجيريا

نحن عند نقطة تحوُّل في التاريخ. إنها لحظة فارقة للعالم النامي ولا سيما لنسائه. لطالما آمنتُ بأننا يمكننا تولي مسئولية مصائرنا إن تمتعنا بالشجاعة اللازمة للمطالبة بالتغيير وقيادته.

طوال حياتي، شعرتُ بأنني محظوظة لإسهامي في مساعي التنمية؛ فخلال ذلك التقيت بسيدات يمتلكن إرادة هائلة للكفاح من أجل تقدم مجتمعاتهن؛ كفاحهن مستمر، وفي بلدان كثيرة يحققن ما يردن. هؤلاء القائدات؛ صاحبات الرؤى والتطلعات، الشابات منهن والمتقدمات في السن على السواء، يستمددن قوتهن من إدراكهن أن التقدم ينبع من داخلهن، وأن الإصلاح لا يبدأ إلا بعد أن تفهم طبيعة مجتمعك، وتحدياته الخاصة وإمكاناته التي تُمكِّنه من التغلب على تلك التحديات.

لقد كرَّست جزءًا كبيرًا من حياتي لخدمة عملية التنمية في بلدي، والقارة التي أنتمي إليها؛ لأني أومن أن قصة نجاح أفريقيا نكتبها بأيدينا. وقد شاهدت ما يحدث عندما تلتقي الإمكانات غير المحققة والفرص، ويجتمع شعب وأمة على المطالبة بحقهما في المستقبل. كل سيدة في هذا الفصل تشاركني ذلك الإيمان الراسخ بإمكانات بلدها وشعبها؛ لبنى القاضي تحمل ذلك الإيمان للكويت، وماريا باتشيكو لجواتيمالا، ومو سوشوا لكمبوديا، وروشانا ظفر لباكستان، وكاه والا للكاميرون، وروزانا شاك لليبيريا، وأديميمالاجا تافوناي لساموا.

إن قوة إصراري نابعة من إحساسي العميق بالانتماء لمجتمع من النساء في قريتي ووطني والعالم أجمع. في عملي، اعتبرت خدمة وطني وخدمة المجتمع الدولي عملين يعضد كلٌّ منها الآخر بأهداف ذات منفعة متبادلة؛ فكلٌّ منها يصب في مصلحة الآخر؛ فالتغيير الذي يبدأ على المستوى المحلي، كما توضح قصص هؤلاء القيادات النسائية، يتردد صداه بعيدًا. وقناعتي الراسخة أنه إن تولَّى المرء زمام القيادة بفعالية وحسَّن من أحوال مجتمعه — شوارعه وأحيائه وبلدته ووطنه — فسوف يُسهم في إصلاح مجتمعنا المشترك الذي هو عالمنا.

هذه اللحظة من تاريخنا المشترك تستدعي الجرأة والإصرار على تعزيز التزامنا حيال مجتمعاتنا. وعندما تكون القيادة نابعة من داخلنا، عندما نصغي ونواكب المتغيرات، ستتطور قيادتنا لتصبح قادرة على إحداث تحول كبير. إنها طوق النجاة لنا.

* * *

في عام ٢٠٠٠، أعلنت منظمة الصحة العالمية أن أزمة تلوث المياه في بنجلاديش هي «أكبر حادثة تسمم جماعي لشعب من الشعوب في التاريخ.»[1] آبار المياه التي حُفرت قبلها بعقدٍ لمواجهة تفشي الأمراض التي تنتقل عن طريق المياه اكتُشف أنها تحوي نسبًا سُمِّية من الزرنيخ في نحو نصف الموارد المائية في البلاد. دشن مجتمع التنمية الدولي مبادرة بلغت قيمتها عدة ملايين من الدولارات استجابة للأزمة. بعد اختبار الآبار، نظموا حملة إعلامية لتحذير المجتمعات من مخاطر شرب المياه الملوثة، ووضعوا خطة لتعريف القطاعات الأمية من السكان بالآبار التي تحتوي على مياه آمنة. كان الأمر في غاية البساطة؛ الآبار الآمنة دُهنت باللون الأخضر والآبار الملوثة باللون الأحمر.[2]

هذا الحل البديهي — كما بدا — كانت له تداعيات كارثية وغير مقصودة؛ فقد وُصم من كانوا يعيشون في القرى ذات الآبار الحمراء؛ فالقرويون الذين كانوا قد تعرضوا للتسمُّم بالزرنيخ لم يكن أيضًا بمقدورهم إيجاد وظائف، والشابات في القرى «ذات الآبار الحمراء» لم يتمكنَّ من الزواج، وترتب على ذلك ارتفاع حادٌّ في الدعارة والمتاجرة في أولئك النساء. حاول كثير من سكان القرى معالجة المسألة بأنفسهم، فقاموا بدهان الآبار الحمراء باللون الأخضر؛ ما أدى بدوره إلى زيادة رهيبة في معدل التسمُّم.[3]

لم يفشل حل الجهات الدولية المانحة وحسب، بل تسبب في تفاقم المشكلة.

أزمة المياه في بنجلاديش مجرد مثال واحد من الأمثلة العديدة على تداعيات حل مشكلة من الخارج دون الاستعانة بأفكار محلية. نحن بمنظمة أصوات حيوية نرى أن أفضل سبيل للتشجيع على التغيير الإيجابي والمستدام في أي مجتمع يأتي من الداخل. منذ عام ١٩٩٧، استثمرت منظمة أصوات حيوية في القيادات النسائية اللاتي يشجعن على التغيير محليًّا في مجتمعاتهن وبلادهن ومناطقهن. نستمع إلى الاحتياجات التي يعبر عنها النساء اللاتي تشملهن شبكتنا، ونحاول التأكد من أن جهدنا الذي يهدف إلى تعزيز السلام والرخاء يتسق مع جهودهن المبذولة وأهدافهن الموضوعة.

كان هذا المنهج ثمرة التاريخ المبكر للمنظمة وقيادة هيلاري كلينتون بعد مؤتمر بكين المعني بالمرأة؛ فالمدافعات عن القضية اللاتي حضرن المؤتمر استقبلن خطاب السيدة الأولى كدعوة للتحرُّك، وكمصدر إلهام لهن كي يصنعن فارقًا في أوطانهن لدى عودتهن. من جانبها، تواصلت السيدة كلينتون مع القيادات النسائية، ودعتهن لعرض شواغلهن، وبحثت عن فرص لدعم جهودهن. وقد أدركت أنها بمجرد الاستماع إليهن، يمكنها المساعدة بإضفاء مصداقية على قضاياهن. بين عامي ١٩٩٣ و٢٠٠١، زارت هيلاري كلينتون أكثر من ثمانين بلدًا، لا سيما في العالم النامي؛ حيث لا يُرحَّب بأصوات النساء عادةً ولا يُستَمَع إليها.[4] لم تكن تنشد طرح حلولها، بل كان هدفها التعلم من النساء اللاتي يعملن بالمعترك، وتوصيل أصواتهن، ومؤازرة موقفهن لدعم عملهن.

وفي الولايات المتحدة، دشنت هيلاري كلينتون وزوجُها المجلسَ الرئاسي المشترك بين الهيئات المعنية بالمرأة، بالتعاون مع مساعدتها ميلان فرفير، ووزيرة الصحة والخدمات الإنسانية، دونا شلالا، وذلك في عام ١٩٩٥. كان تكليف المجلس يتمثل في لمِّ شمل أبرز السيدات اللاتي يمثلن كل هيئة فيدرالية، وإعداد قائمة بما تفعله الحكومة الأمريكية لدعم المرأة، ووضع خطة لتفعيل منهاج عمل بكين. وحدد المنهاج اثني عشر شاغلًا ملحًّا لتحسين حياة المرأة، بدءًا من الصحة ومرورًا بالتعليم ووصولًا إلى التنمية الاقتصادية.

في خريف عام ١٩٩٥، عدتُ من بكين وقد ألهمتني القيادات النسائية اللاتي التقيت بهن. كنت أتوق بشدة إلى نقل المعرفة التي اكتسبتها حول قضايا المرأة العالمية إلى أبناء جيلي. وحيث إنني كنت لا أزال أدرس بالكلية؛ فقد عقدت ندوة حضرها مئات الشباب والشابات بجامعتي إيمرسون كوليدج في بوسطن، وذلك في مارس ١٩٩٦. كانت إحدى المتحدثات المدعوات؛ وتدعى تيريزا لور، صاحبة الشخصية الكاريزمية؛ وهي مديرة المجلس الرئاسي المشترك بين الهيئات. وإذ ذهلت جرَّاء الحضور الضخم والاهتمام من

جانب الشباب، سارعَتْ باستقطابي للحصول على تدريب داخلي بعد التخرج ذلك العام. قررتُ المجازفة مرة أخرى، وتتبعتُ شغفي بقضايا المرأة العالمية إلى واشنطن العاصمة؛ حيث عملت بهذا المجلس المؤثر وغير المسبوق التابع للبيت الأبيض، تحت قيادة تيريزا والمديرة المساعدة كاثي هندريكس. كان من بين أوائل الأشياء التي شاهدتها عندما دلفت إلى المكتب صورة ضخمة للسيدة كلينتون وهي واقفة أمام منصة. سرعان ما تعرفت على الصورة التي كانت من ذلك المؤتمر الرائع الذي عُقد في بكين. واليوم لا تزال الصورة على مكتبي في مقر عملي بمنظمة أصوات حيوية.

في ١٩٩٦، حُفر اسم مادلين أولبرايت في صفحات التاريخ عندما اختارها الرئيس كلينتونُ لتكون أول امرأة تشغل منصب وزير خارجية للولايات المتحدة. في العام ذاته، عُينت تيريزا لور منسقة أولى لقضايا المرأة الدولية، وتبعتُها أنا وكاثي من البيت الأبيض إلى وزارة الخارجية لتقلُّد هذا العمل المهم. وفي اليوم الذي استهللنا فيه الوظيفة، دخلت حركة طالبان كابول، وقيل إن النساء لم يستطعن الذهاب إلى العمل، وأن الفتيات لم يتمكنَّ من الذهاب للمدارس. كانت أولى مهامنا صياغة بيان رسمي يصرح بأن الحكومة الأمريكية لن تعترف بحركة طالبان أو تتجاوز عن معاملتهم للنساء. لم يكن مثل هذا البيان الواضح حول قيمة المرأة بالمجتمع ممكنًا لولا الحصول على تكليف واضح من القيادة العليا.

أتذكَّر الزخم الذي أحاط بزيارة هيلاري كلينتون؛ السيدة الأولى، إلى وزارة الخارجية في مارس ١٩٩٧، لتنضم إلى الوزيرة أولبرايت لحضور فعالية الاحتفال بذكرى يوم المرأة العالمي. صرحت الوزيرة أولبرايت بجرأة أن «الاستثمار في المرأة ليس القرار الصائب وحسب، بل القرار الذكي أيضًا.» أصبحت هذه دعوة للتحرك، وتجلت السيدة كلينتون والوزيرة أولبرايت كفريق ثنائي نشط معنيٍّ بقضايا المرأة العالمية، فكانت الوزيرة أولبرايت تطرح القضايا في الاجتماعات الثنائية الأطراف مع قادة العالم، وأدت السيدة الأولى دور سفيرة فاعلة، وإن كانت غير رسمية، للنساء؛ وترأَّست حلقات حوار مع القائدات، وزارت الجمعيات التعاونية المختصة بالقروض المتناهية الصغر، وملاجئ النساء الهاربات من العنف حول العالم. كان هذا تحوُّلًا جذريًّا للولايات المتحدة؛ فلأول مرة في التاريخ، تلتزم الحكومة الأمريكية بجعل النهوض بالمرأة حول العالم على قمة أهداف سياستها الخارجية.

كان المقصد من أصوات حيوية في البداية هو أن تكون محفلًا يُعقد لمرة واحدة؛ لتسليط الضوء على هذا الالتزام الدبلوماسي الجديد. جمعت السفيرة سواني هانت؛

التي كانت تمثل الولايات المتحدة في النمسا، سيدات من وسط وشرق أوروبا وبلدان الكتلة السوفييتية السابقة، مثل مارينا التي عرضت جانبًا من قصتها في الفصل الأول؛ للتواصل بشأن القضايا التي واجَهْنَها في الأيام الأولى من ديمقراطياتهم الجديدة. سافرت السيدة كلينتون إلى فيينا للقاء القيادات النسائية المجتمعية هناك، وإلقاء الخطاب الختامي الرئيسي للمؤتمر. ومجددًا، دعمت أصوات وشواغل السيدات غير المسموعات. كان التحوُّل إلى الديمقراطية في أرجاء المنطقة يؤدي إلى زيادة نسبة الفقر بين النساء مقارنةً بالرجال، وإلى انخفاض ملحوظ في التمثيل السياسي. كان فتح الحدود بين الدول بمثابة الشرارة الأولى التي انطلق على إثرها الاتجار بالبشر، الذي كانت تُقدَّر قيمته بعدة مليارات، وهي قضية لم تكن تحظى باعتراف دولي كبير حتى ذلك الحين. وفي المؤتمر، اقتربت مجموعة من الجدات الأوكرانيات تصحبهن أوكسانا هوربونوفا؛ وهي ناشطة شابة في مجال حقوق الإنسان، من ميلان فرفير، التي هي نفسها من أصول أوكرانية، وأطلعنها على مشكلة متنامية؛ وهي أن الفتيات بمجتمعاتهن يختفين. فمع تضاؤل فرص العمل وفقدان الإعانات الاجتماعية، أُغري كثير من الفتيات بالعمل في وظائف بأكثر الدول المجاورة ثراءً كمربيات أطفال أو راقصات، ليفاجأن بأنهن مجبراتٌ على الدعارة. أكد هذا اللقاء التزام ميلان الراسخ بوصفها إحدى المتصديات الرائدات بحكومتنا لمكافحة الاتجار بالبشر، وبعدها ببضع سنوات، وافقت الحكومة الأمريكية على قانون حماية ضحايا العنف والاتجار بالبشر؛ لتوفير أدوات وموارد لمواجهة هذا الخطر المتفاقم على المستوى المحلي وفي الخارج.

في مؤتمر أصوات حيوية الأول المنعقد في فيينا، أوضحت وزيرة الخارجية أولبرايت التزامها بالنهوض بالمرأة أمام العاملين في وزارة الخارجية والسفارات الأمريكية بالمنطقة ورؤساء الحكومات والإعلاميين، فقالت: «ونحن على أعتاب القرن الجديد، نعلم أننا لا نستطيع بناء المستقبل الذي نريد دون إسهامات المرأة. نعلم أنه في هذه المنطقة وفي أرجاء العالم، لن تتمكن المرأة من الإسهام بكامل طاقتها إلا إنْ تمتعت بنفس ما يتمتع به الرجال من امتيازات وحقوق وحماية وفرص اقتصادية وسياسية.» ممثلات السفارات الأمريكية في جميع أنحاء المنطقة، اللاتي رشحن قائدات من بلدانهن المضيفة للمشاركة في المحفل، عُدن إلى أوطانهن حاملات التزامًا جديدًا بإحراز تقدم في هذه القضايا. ونتيجة لذلك، خُصصت ملايين الدولارات من موارد الحكومة الأمريكية للنهوض بالمرأة بوصفه وسيلة حاسمة لتحقيق السلم والأمن والرخاء في أرجاء المنطقة.

عقب ذلك المؤتمر، انهالت المكالمات على مكتبنا الصغير بوزارة الخارجية من سيدات من جميع أنحاء العالم أردن منا تنظيم فعالية لمنظمة أصوات حيوية في منطقتهن أيضًا. فمن غير أن ندري، كنَّا قد خلقنا فرصة للسيدات كي تُسمَع أصواتهن وتُستعرَض شواغلهن بجدية على الساحة العالمية. منحت مؤتمرات أصوات حيوية النساءَ منبرًا لرفع الوعي العالمي وزيادة الدعم المالي. أدرك رجال السياسة الخارجية حينها أنه إن لم يُتح للنساء اللاتي يمثلن نصف السكان نفس ما يتمتع به الرجال من تعليم وفرص اقتصادية وحماية بموجب القانون، فلن تقوم قائمة للديمقراطية والاستقرار والرخاء الاقتصادي. كان صانعو السياسة يجعلون — للمرة الأولى — الاستثمار في النهوض بالمرأة خطوة تدخلية استراتيجية واستباقية. عندما تركتُ وزارة الخارجية عام ٢٠٠٠، كانت ترد عشرات البرقيات التي تحمل تقارير يومية من السفارات الأمريكية تستعرض قضايا المرأة حول العالم، بعكس ما كان يحدث حين بدأت؛ إذ كانت تمضي أشهرٌ قبل أن تصلنا برقية واحدة. كان هذا دليلًا واضحًا على أن جهود الوزيرة أولبرايت، والسيدة هيلاري كلينتون، وميلان فرفير، وتيريزا، وكاثي، وأنيتا بوتي، ونائبة مديرة المكتب، وغيرهن؛ ستتواصل لتتجاوز فترة خدمتهن بالحكومة. كان هذا تغيرًا مستدامًا.

لعل أهم ما في الأمر أن منظمة أصوات حيوية كانت عاملًا حافزًا؛ مساحة تلتقي فيها القائدات من مختلف البلدان والثقافات والقطاعات والأجيال، وبلقاء كلٍّ منهن الأخرى يحدث تحوُّل لهن. وعلى مدار يومين أو ثلاثة أيام، بدأ العديد من المُشارِكات يجدن في أنفسهن قائدات للمرة الأولى. هذا التحوُّل في التفكير أصبح حاسمًا في نجاحهن ونجاحنا. ومن خلال عملنا، التقينا بسيدات فهمن المشكلات التي تواجه مجتمعاتهن، ولم يكنَّ متشائمات بشأن الحلول. لقد آمنَّ بإمكانات مجتمعاتهن. امتلك هؤلاء السيدات نقاط قوة مشتركة أصبحت جزءًا متممًا لفهم منظمة أصوات حيوية للقيادة النسائية؛ نقاط قوة تتضمن القدرة على مد جذور قوية بمجتمعاتهن، والتفاعل مع غيرهن ممن يعشن في تلك المجتمعات وقيادتهن إلى حياة أفضل.

على مدار خمسة عشر عامًا، حددت منظمة أصوات حيوية هذا النهج التفاعلي التشاركي كسمة مشتركة بين مختلف القيادات النسائية في شبكتنا العالمية. في الواقع، عدد ضخم من الأبحاث المستقلة يدعم وجهة النظر القائلة بأن النساء أكثر ميلًا من الرجال إلى تبنِّي أنماط قيادة تشاركية.[5] علاوة على ذلك، ووفق دراسة أجراها

الاتحاد البرلماني الدولي، عدد النساء اللاتي يتقلدن مناصب قيادية سياسية من خلال المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية أو المجتمعية يقترب من ضعف عدد الرجال الذين يتقلدونها.[6] أغلب السيدات اللاتي قابلناهن في البداية أصبحن مهتمات بالسياسة العامة من خلال مشكلة أثرت على حياتهن على المستوى الشخصي، وطَمحْنَ إلى القيادة الجماهيرية من أجل التعامل مع تلك المشكلة؛ أي إنهن سعين في الأساس للسلطة من أجل تغيير الواقع الذي عِشْنَ فيه.

منذ عام ١٩٩٧، لاحظت أصوات حيوية وجود اتجاه لدى القائدات اللاتي يتخذن أنماط قيادة تشاركية أو أفقية. ومن واقع خبرتنا، الذين يتقلدون القيادة من الداخل يرسخون مطامحهم في المجتمع، ويسعون للسلطة من أجل تمكين الآخرين. فهن يحققن أقصى درجات النجاح عندما يتمكَّنَّ من أن يبقين على اطلاع دائم باحتياجات مجتمعاتهن، حتى وهن يكتسبن مزيدًا من الشهرة، وكذا لضمان استجابتهن لاهتمامات مجتمعاتهن، وإشراك أخريات معهن.

على سبيل المثال، كانت قيادة مارينا بيسكلاكوفا المباشرة لسيدات يعانين مع العنف الأسري عاملًا حافزًا لتحولها إلى قائدة. ومع استمرارها في عملها لمكافحة العنف ضد المرأة، استغلت مارينا تأثيرها المتنامي كمنبر تبسط من فوقه خدماتها وتعزز الوعي بالقضية، بحيث ينمو كذلك التزام المجتمع ذاته باجتثاث جذور العنف. لم تقس مارينا نجاحها بإنجازها الشخصي أو الاستحسان الدولي لها، بل بتقدُّم مجتمعها.

من يتولين القيادة النابعة من داخلهن ويضربن بجذورهن في المجتمع، مثل مارينا، يحافظن على وجودهن بالقرب من الأشخاص الذين يوجهنهم أو يخدمنهم أو يمثلنهم، ويفتحن قنوات تواصل قوية معهم. وعلى عكس الغرباء حسني النية الذين فرضوا حلًّا لأزمة المياه في بنجلاديش، يُلِمُّ القادة التشاركيون بالمعلومات المحلية، فيفهمون المسائل المعقدة المتضمنة في التشجيع على التغيير الإيجابي، وبإمكانهم تمييز التغيرات الحادثة على الأرض بسرعة والاستجابة لها؛ ففي بنجلادش، كان سيصبح مثل هذا القائد في موقع يتيح له التعرف بصورة أفضل على الزيادة في نسب الدعارة والاتجار بالبشر عبر القرى المتأثرة، وكذا معالجة المسألة.

إضافة لذلك، نظرًا لأن القادة التشاركيين جزء من مجتمعاتهم، فإنهم غالبًا ما يلتزمون بالشفافية والمسئولية. تعتمد القيادة التشاركية على عمليات صنع قرار تعاونية وموافقة مجتمعية. وعلى ذلك، يتعاون القادة التشاركيون مع الآخرين بدايةً لوضع

استراتيجية للتغيير، ثم لمراقبة تنفيذ تلك الاستراتيجية، ويتسنَّى لأعضاء المجتمع ملاحظة جهود قادتهم، وتحميلهم مسئولية تحقيق الأهداف المعلنة. يفهم القادة التشاركيون الناجحون أنه لزام عليهم حشد أصحاب المصلحة الضروريين والتماس الدعم والتوجيه ممن سيتأثرون باستراتيجيتهم. والعمل على مشاركة المجتمع من البداية يشجع على اكتساب حس المسئولية المجتمعية؛ حيث يكرِّس أعضاء المجتمع جهودهم على قدم من المساواة من أجل ضمان نجاح القائد في دفع عملية التغيير قُدمًا. وللإصلاحات المدفوعة على هذا النحو إمكانية أن تكون أكثر استدامة وديمقراطية في الواقع من الحلول المفروضة من المستويات الأعلى للمستويات الأدنى. وقد شاهدنا بمنظمة أصوات حيوية أن هذا النمط التشاركي يعطي المرأة أفضلية قيادية.

عندما تُسأل القيادات النسائية الدولية التابعة لشبكتنا عن السبب وراء ميل النساء إلى انتهاج أساليب قيادية شمولية، فإنهن دائمًا ما يذكرن صفتي التعاطف والذكاء العاطفي، النابعتين من التصورات الجنسانية الاجتماعية والثقافية التي تشجع هاتين الصفتين لدى النساء؛ فالمرأة — بوصفها الأم والأخت والخالة والعمة والابنة — طالما امتُدحت وأُقر بقدرتها على فهم مَن حولها، وإيلائهم حق قدرهم، والتعاطف معهم. في الواقع، هاتان الصفتان — عادة ما اعتبرهما الناس «صفتين ناعمتين» — ساعدتا النساء على تقلُّد سلطة ونفوذ صنع القرار بالمنزل، ولعبتا دورًا كبيرًا في مساعدتهن على الارتقاء في الدوائر العامة. توصلت الأبحاث المبتكرة التي أجراها دانيال جولمان، الذي سكَّ مصطلح «الذكاء العاطفي»، إلى أن القادة الاستثنائيين يبدون درجة عالية من الوعي الذاتي، والانضباط والدافعية والتعاطف، والمهارات الاجتماعية.[7]

رغم المنافع المصاحبة للقيادة التشاركية، تشكل القيادة النابعة من الداخل تحديات كبيرة لنمو قيادة المرأة، والجهد الإجمالي المبذول من أجل إضفاء شرعية على قيادة المرأة في التيار المجتمعي السائد؛ ففي مقابل السلطة المركزية العامة التي تميز القادة التقليديين، في نموذج القيادة التشاركي أو «الأفقي»، يتشارك القادة سلطة صنع القرار، ويحتلون موقعًا داخل مجتمع يتسم بالسلطة الجمعية؛ فمن يتقلدون القيادة التشاركية، رجالًا كانوا أو نساءً، يصعب تمييزهم كقادة.

في الواقع، كثير من النساء اللاتي عملن مع منظمة أصوات حيوية في أيامها الأولى لم يعتبرن أنفسهن قائدات، رغم إنجازاتهن الضخمة؛ لذا تشجع المنظمة على تهيئة بيئة تساعد على تمكين القيادة النسائية، وتلقي الضوء على الجوانب التي تختلف فيها قيادة

المرأة عن نماذج القيادة التقليدية التي تميز الرجال. وكلما زاد إدراك المرأة وتقديرها لإمكاناتها القيادية، زادت الفرص التي ستُتاح لها لحمل شعلة تقدم كبير من أجل المجتمع بأكمله.

لبنى القاضي

الكويت

> دائمًا ما قيل لنا: «فلتتحلَّيْنَ بالصبر. ستحصل المرأة على حقوقها السياسية عندما يحين الوقت المناسب.» وبعدها بأربعين سنة، حان الوقت في الكويت أخيرًا.

السيدات الكويتيات من بين أرفع السيدات تعليمًا في العالم العربي، ويشكلن قرابة ٧٠ بالمائة من طلاب الجامعة بالدولة؛[8] فهن مهندسات كبريات، وطبيبات رائدات، وأكاديميات بارزات، إلا إنه حتى عام ٢٠٠٥، لم يحصلن على حق التصويت أو الترشح للمناصب السياسية.

عندما نالت الكويت استقلالها في عام ١٩٦١، وضع الشيخ عبد الله السالم الصباح؛ الحاكم الكويتي التقدمي آنذاك، دستورًا أُعلن فيه أن جميع المواطنين سواسية. لكن حينها، كان المقصود فعليًّا جميع الرجال. ومع دخول الكويت حقبة الحداثة، أدرك الأمير

أن التغيير سيحدث بصورة طبيعية؛ فتدريجيًّا ستتعلم السيدات ويصبحن عضوات بالبرلمان، لكن التقاليد ألقت بظلالها على الأمل المعقود على التقدم، ولم تحصل النساء على تلك الحقوق.

بحلول سبعينيات القرن العشرين، فاق عددُ السيدات اللاتي كن يرتدن الجامعات في الكويت وخارجها عددَ الرجال. كانت الدكتورة لبنى القاضي إحداهن، وعندما عادت إلى الكويت تقلدت منصب أستاذ علم الاجتماع بجامعة الكويت؛ حيث انضمت إلى سيدات أخريات بالمجتمع وتحدثن بصراحة وحرية. لقد شعرن بأن الوقت قد حان كي تكون لهن كلمتهن في شئون البلاد السياسية. ورغم أنهن نظمن العديد من الحملات السياسية، لم يؤخذ كلامهن على محمل الجد حتى ثمانينيات القرن العشرين، عندما سُمح لهن أخيرًا بلقاء الحاكم وأعضاء البرلمان بعد طول انتظار. بعدما قدمن الحجج على حق المرأة في الاقتراع، ابتسم أحد القادة وقال: «أتفق معكن، نعم، ينبغي أن تحصلن على حقوقكن، وستحصلن عليها عندما يحين الوقت المناسب.» فردت لُبنى بإحباط: «ماذا نحتاج لإثبات أن الأوان قد حان لإدماج المرأة؟ إن كانت النساء في حاجة إلى التعليم، فالنساء متعلمات بالفعل. إن لم تكن لديك مشكلة في عملنا إلى جانب زملائنا الذكور لتعزيز اقتصاد الكويت ومجتمعها المدني، فلماذا لديك مشكلة في عمل المرأة من أجل تعضيد حكومتنا؟»

من قبيل المفارقة أن الحرب هي التي بدأت في تغيير الاتجاهات السائدة؛ فعندما اجتاح صدام حسين الكويت في ١٩٩٠، شاركت النساء مشاركة كاملة في المقاومة. فرَّ الأمير الشيخ جابر الأحمد الصباح وحكومته إلى السعودية؛ حيث شكل حكومة بالمنفى، وهناك أعلن الشيخ جابر أن المرأة ستنال حقوقها كاملة كمواطنة كويتية بعد الحرب. وعندما وضعت الحرب أوزارها في عام ١٩٩١، حاولت السيدات إقناع هؤلاء القادة بتنفيذ وعدهم. أُعيد تأسيس البرلمان في العام التالي، وجرى الاقتراع على حق المرأة في الاقتراع. من جديد، قال المشرعون إن المرأة ليست على استعداد للممارسة السياسية. وماذا كانت ذريعتهم؟ لم تكن المرأة تمتلك خبرة سياسية.

ثم في عام ١٩٩٩، سطَّر الشيخ جابر صفحة مهمة من صفحات التاريخ بإصداره مرسومًا يقضي بتمكين النساء من التصويت والترشح للمناصب السياسية بالانتخاب. وكانت المفاجأة أن أجرى البرلمان تصويتًا على القانون وأسقطه بفارق صوتين،[9] لكن دعم الشيخ جابر الثابت لحق المرأة في التصويت غذَّى التزام لُبنى بالمثابرة. التقيتُ

لُبنى ذلك العام خلال رحلة إلى مدينة واشنطن. حينها كانت تترأس الجمعية الثقافية الاجتماعية النسائية بالكويت، وكانت الجمعية تمثل جماعة حقوق النساء الرئيسية في الكويت، فالتمست مساعدتنا لتدريب النساء على الدفاع عن حقوقهن السياسية.

أدركت لُبنى وغيرها من القيادات النسائية أنه يتعين عليهن تشكيل جبهة من المؤيدين لإجبار الحكومة على التحرك. ولِوَعْيهنَّ أن بعض نواب البرلمان يشاركونهن موقفهن بأنه ينبغي أن تحصل المرأة على حقوقها السياسية، عقدن اجتماعات ودعين هؤلاء النواب للانضمام إليهن كحلفاء لهن، كما نظمن نقاشات لتوعية الجماهير وللفْتِ انتباه الصحافة، بل وأشركن زوجات أعضاء البرلمان والقادة المحافظين.

كان على لُبنى وحلفائها أن يُثْبتنَ للجماهير الكويتية أن حرمان النساء اللاتي يمثلن نصف الشعب من حقوقهن الأساسية كمواطنات خطأ قانوني واجتماعي وسياسي. للقيام بذلك، أدركت لبنى أنه سيكون عليها دحض المفاهيم الخاطئة السائدة بين كلٍّ من الرجال والنساء، مثل أن سيدات الطبقة الراقية في منتصف العمر وحدهن هن من يسعين خلف الحقوق السياسية. أدركت أن كثيرًا من النساء أنفسهن لم يرين حاجة لاكتساب حقوق سياسية. وإذ اعتمدت لُبنى على فهمها للشئون المحلية المستقى من حياتها بالبلاد، فإنها رفعت هي وغيرها من المدافعات عن حقوق المرأة التماسًا، وجمعت التوقيعات المؤيدة من طلاب الجامعة ورجال الأعمال والبرلمانيين والزعماء الدينيين، الذين أقنعتهم أن حق الاقتراع ليس قضية دينية، ونشرن التوقيعات في الصحف لعرض تنوع التأييد لحق المرأة في الاقتراع.

ساعد في ذلك أيضًا المؤثرات الدولية والأحداث التي وقعت خارج حدود الكويت؛ ففي عام ٢٠٠٢، على سبيل المثال، حصلت النساء في البحرين على الحقوق السياسية قبل بضعة أشهر من الانتخابات الوطنية، لكن كانت الانتخابات وشيكة بحيث لم يتسنَّ لهن وقت طويل لتنظيم أنفسهن. لم تتمكن مرشحة بحرينية واحدة من إعداد حملة ناجحة. عزمت السيدات الكويتيات على أن يعددن أنفسهن على نحو أفضل من نظيراتهن البحرينيات، فسافرن إلى الولايات المتحدة لتلقي تدريبات على المهارات السياسية نظمتها أصوات حيوية وغيرها من المنظمات. كما قمنا بجَمْعهن مع برلمانيات من دول عربية أخرى لكسب الدعم واكتساب الأفكار.

تقول لُبنى: «جاءت نقطة التحوُّل في عام ٢٠٠١، عندما لاحظنا أن الوقت ينفد قبل مجيء الانتخابات التالية، فقررنا تغيير لغتنا من «حقوق المرأة» إلى «مستقبل

قوي للكويت»؛ مقنعات الناس أنه لا ينبغي أن تحتكر قلة من الصفوة مستقبل البلاد وتقرره.» هذا التغيير في لغة جهودهن الرامية للدفاع عن حقوق المرأة ساعد على إشراك الشباب، الذين بدءوا تنظيم مسيرات جماهيرية. إحدى صوري المفضلة من تلك الأيام صورة للشباب والشابات يمشون معًا مرتدين قمصانًا زرقاء متماثلة مكتوبًا عليها: «النساء كويتيات أيضًا.» كان اللون الأزرق يرمز لحق المرأة في الاقتراع. هؤلاء الشباب الذين أيدوا مشاركة المرأة الكاملة ساعدوا على إرسال الرسالة القائلة بأن حق الاقتراع سيعود بالنفع على كل الكويتيين، وليس على النساء وحدهن.

انضمت فئات صغيرة من داخل الحكومة إلى جماعة الضغط من أجل حقوق المرأة، فأصبحت الدكتورة رشا الصباح؛ وكيل وزارة التعليم العالي وإحدى مستشارات الأمير المؤتمنات، مؤيدة قوية للقضية. وبأحد المؤتمرات الأولى التي عقدتها منظمة أصوات حيوية، قالت للسيدة هيلاري كلينتون: «لا نريد ديمقراطية منقوصة في الكويت، بل نريدها ديمقراطية كاملة.»

وتسترجع لُبنى ما حدث: «عندما حصلنا في النهاية على حقوقنا السياسية من خلال تصويت برلماني أُجري في عام ٢٠٠٥، كانت لحظة سعادة غامرة بحق. لم يكن مرسومًا أصدره الأمير، بل تحقق ما تحقق عبر عملية ديمقراطية حقيقية، وانتشر الخبر كسريان النار في الهشيم. وخلال ثلاثين دقيقة، علمت الكويت كافة أن النساء حصلن على حقوقهن السياسية أخيرًا.»

بعدها ببضعة أشهر، سافرت إلى الكويت للمرة الأولى، ورغم أن منظمة أصوات حيوية دعمت ودربت النساء الكويتيات، فإننا حرصنا من جانبنا على تجنب ترك انطباع يُشعر بأن النساء الأمريكيات كن وراء حملة حق الاقتراع. علمتنا السيدات في الكويت قوة الاعتماد على المعرفة المحلية لإحداث تغيير إيجابي. صحيح أننا قدمنا لهن الاتصالات والأفكار، لكن معرفتهن بالمجتمع الكويتي أثْرَت وغذَّت دفاعهن عن القضية؛ فما كان لاستراتيجية مُستقدَمة من خارج البلاد أن تتمكن من إحداث التحوُّل الضخم الذي قاد إلى النجاح. ترى لُبنى أنك إن رفعت وعي النساء بحقوقهن، فإنهن سيستخدمنه، تقول: «هذا ما كنا نفعله طوال الفترة الماضية من خلال الوصول إلى النساء في مختلف أجزاء الكويت؛ حيث أوضحنا لهن الحقوق التي كفلها الدستور لهن. تحظى النساء في الكويت اليوم بالفرصة والمسئولية كي يكنَّ مواطنات فاعلات ومطلعات، ولَسْنَ مجرد متفرجاتٍ.»

ماريا باتشيكو

جواتيمالا

إن أصعب أمر بعد الحرب ليس إعادة تشييد البنية التحتية، وإنما إعادة بناء قلوب وعقول الناس، وإلهامهم الثقة من جديد في البشر، وليس هذا بشيء يمكن إيجاده خارج بلدنا، بل يجب غرسه في نفوس شعبنا.

طوال الثلاثين عامًا الأولى من حياة ماريا باتشيكو، كان بلدها جواتيمالا متورطًا في حرب أهلية اشتعلت شرارتها أول ما اشتعلت بين الميليشيات المسلحة اليسارية والقوات العسكرية الحكومية.[10] وبحلول الوقت الذي وُقِّعت فيه اتفاقية سلام في عام ١٩٩٦، بعد ستة وثلاثين عامًا من اندلاع الحرب، كان قد قُتل أكثر من ٢٠٠ ألف شخص، وشُرد أكثر من مليون شخص آخر.[11]

ترعرعت ماريا في مجتمع أوفر حظًّا في مدينة جواتيمالا، في وقت حدث فيه انقسام متنامٍ بين قاطني المجتمعات الريفية الذين قاسَوا وطأة العنف وقاطني المدن الذين كانوا في أغلب الأحيان بمأمن من الصراع. أكثر من ٩٠ بالمائة من انتهاكات حقوق الإنسان ارتكبتها القوات الحكومية، و٨٣ بالمائة من الضحايا كانوا من شعب المايا،

الذين كانوا يناضلون من أجل العدالة الاقتصادية والاجتماعية، ومن ذلك زيادة الحق في تملك الأراضي.[12] بعد مضي سنوات من انقضاء الصراع، استمر العنف والترويع في أنحاء البلاد. عملت عصابات الجريمة المنظمة بإفلات نسبي من العقاب، وشابَ العلاقات بين شعب المايا وغيرهم الارتياب.

في عام ١٩٩٣، وقد أعيا ماريا العنف المتصاعد في مدينة جواتيمالا، ارتحلت بأهلها إلى الجبال. ولأنها أصبحت عالمة في مجال البيولوجيا بالتدريب، عملت مُزارعة للمحاصيل العضوية. وعندما تعلَّم القرويون القريبون من خبرة ماريا، طلبوا منها مساعدتهم في جعل حقولهم الظمْأَى أكثر إثمارًا. اكتشفت ماريا أن الأرض جدباء. كانت المنطقة تعاني من الجفاف والمجاعة، وانهيار سوق البن ترك قرًى بأسرها دون دخل.

كان السكان الأصليون يتوقون لطريقة يعولون بها أسرهم. في اليوم الذي التقيت فيه ماريا، حكت لي قصة سيدة من شعب الكورتي المياوي تُدعى دونا سانتا. كان طفلها مريضًا بالحُمى، وعندما سألتها ماريا عن سبب عدم اصطحابها له إلى الطبيب، أجابتها دونا: «أملك خمسة دولارات؛ بهذا المبلغ يمكنني محاولة إنقاذ هذا الطفل أو إطعام أطفالي السبعة الآخرين لمدة شهر!»

لم يكن بمقدور ماريا تقبُّل واقع في بلدها تضطر في ظله أمٌّ من الأمهات إلى اختيار مَن سيعيش أو يموت من بين أطفالها؛ لذا شرعت في مهمة لجلب الفرص والرخاء والكرامة — وهي الأهم — إلى مجتمعات أهملها الآخرون طويلًا. أدركت أنه لا يمكن استقدام حل من الخارج، فقالت: «لا يريد شعبي إحسانًا؛ إنه يريد شراكة، فهو يتمتع بمهارات وبتراثٍ ثري، ويمكنه صنع منتجات؛ إنه لا يحتاج سوى الدعم والاستثمار والوصول إلى الأسواق لبيع تلك المنتجات.»

جواتيمالا موطن لاثنتين وعشرين مجموعة عرقية مختلفة، لكلٍّ منها ثقافتها الفريدة وتقاليدها. ولإجلال هذه التقاليد، وإتاحة السبيل للسيدات كي يحققن دخلًا، أنشأت ماريا شركة «غزال الغابة»، التي تعاملت في البداية مع مجموعات سيدات من السكان الأصليين لتوصيل منتجاتهن الفنية المحلية إلى الأسواق الوطنية والدولية. تقول ماريا: «يعتقد شعب المايا أن الغزال هو حامي الغابات. وهذا ما نحاول فعله؛ حماية أثمن تقاليدنا الثقافية في الوقت الذي نتيح فيه الفرص.»

لم يكن الهدف إغاثة آنية من الجوع وحسب، بل كان تحسين جودة الحياة، وإصلاح المجتمعات الأصلية وإعادتها إلى سابق عهدها، وصون ثقافة قديمة. بالنسبة

إلى ماريا، كان الهدف أيضًا الاستصلاح طويل الأمد لأراضي المنطقة ومواردها المائية من خلال إعادة الغابات والمحافظة على البيئة. تعلمت الأسر زراعة حدائق عضوية من أجل تحسين تغذيتهم. ومن خلال شركة «غزال الغابة»، تحسنت جودة حياة الأسر بالمجتمعات المحلية تحسنًا كبيرًا، وجذب عمل ماريا الاهتمام على المستوى الوطني. وعلى ذلك، طالبتها السيدة الأولى في جواتيمالا ببسط نطاق عملها ليشمل آلافًا آخرين.

في عام ٢٠٠٦، وتقريبًا في الوقت ذاته الذي توجهت فيه السيدة الأولى بطلبها إلى ماريا، التقت منظمة أصوات حيوية ماريا للمرة الأولى. لقد اختارت السفيرة الأمريكية في مدينة جواتيمالا ماريا لتكون من ضمن المجموعة الأولى من المتدربات المشاركات في شراكة التوجيه العالمية بين مجلة فورتشن ووزارة الخارجية الأمريكية. وهي من بنات أفكار دينا باول؛ التي كانت آنذاك تشغل منصب مساعد وزيرة الخارجية، وباتي سيلرز؛ من أبرز محرري مجلة فورتشن ورئيسة لجنة قائمة فورتشن لأكثر نساء العالم تأثيرًا. جمع البرنامج، الذي نسقته أصوات حيوية، رائدات الأعمال الصاعدات من أنحاء العالم مع التنفيذيات المتصدرات لقائمة فورتشن ٥٠٠ من أجل خبرة توجيهية استمرت شهرًا، وصفتها كثيرات من المتدربات بأنها خبرة تحويلية. كانت موجِّهة ماريا هي كاثي كالفين؛ الرئيس التنفيذي لمؤسسة يونايتد ناشنز فونديشن والمسئول التنفيذي السابق بشركة أمريكا أون لاين.

تسترجع كاثي كالفين ما حدث: «من اللحظة الأولى التي قابلت فيها ماريا، أدركت أنني كما سأُعلِّمها فإنني سأتعلم منها. تمتعت ماريا بقدر كبير من الطاقة والحماس. لقد شاهدت امرأة تحمل همَّ بلدٍ بأسْره.» طوال فترة التوجيه، حملت ماريا مفكرة صغيرة كتبت فيها اقتباسًا لهنري دافيد ثورو: «امضِ قدمًا بثقة نحو أحلامك. عش الحياة التي حلمت بها.» تؤمن ماريا إيمانًا راسخًا بقدرتها على تشكيل العالم الذي تحلم به. حملت ما اكتسبته خلال فترة تدريبها وعادت به إلى جواتيمالا؛ لبسط نطاق عمل شركة «غزال الغابة»، وللنزول على رغبة السيدة الأولى، ولجلب الرخاء إلى مزيد من المجتمعات.

سرعان ما تطور مشروع «غزال الغابة» إلى شركة تصمم وتصدر منتجات صنعتها مجموعات من السيدات الريفيات، معتمدات على مهاراتهن، ومتبعات خطوط الموضة العالمية. واعتبارًا من عام ٢٠١١، صُدِّرت تلك المنتجات إلى أكثر من خمسة عشر بلدًا تحت اسم العلامة التجارية واكامي (www.wakamiusa.com). وبالعمل مع كارين شيبمان، المدربة بمنظمة أصوات حيوية ورائدة الأعمال، تعاونت ماريا مع شركائها

وسكان أحد المجتمعات لتدشين مشروع «مايا بوتانيكا»؛ وهو خط إنتاج للمنسوجات يوظف العاملات الريفيات الماهرات من جواتيمالا. أتاحت زيادة الدخل للأسر إرسال أطفالهم للمدارس، وللمرة الأولى في كثير من المجتمعات، يصبح لدى جيل من الطلاب خيار الالتحاق بالجامعة.

نال صنيع ماريا الاستحسان والتقدير في أكثر من موضع؛ ففي عام ٢٠٠٧ كرَّمتها منظمة أصوات حيوية بإحدى الجوائز التي تُمنح في مجال القيادة العالمية الهادفة إلى التمكين الاقتصادي. سافرت سيدة جواتيمالا الأولى ويندي دي بيرجر إلى واشنطن العاصمة للانضمام إلى دينا باول في تسليم الجائزة إلى ماريا. وفي عام ٢٠٠٨، كرَّمت الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية ماريا ومجموعة من زميلاتها من جواتيمالا بمنحة لتدشين برنامج توجيه مبتكر في أمريكا الوسطى يهدف إلى تحقيق التواصل بين الشابات والموجهات المتمرسات في أنحاء المنطقة.

لم تكن هذه سوى البداية لماريا. أدركت ماريا أن هناك مجتمعات أصلية في جميع أنحاء العالم تناضل في قضايا شبيهة بقضايا مجتمعات المايا في جواتيمالا. بعد بضعة أشهر من عودتها للوطن، شكلت ماريا فريقًا مع موجهتها كاثي كالفين ومؤسسة يونايتد ناشنز فونديشن؛ لتدشين برنامج تجريبي بهدف نقل الأساليب التي استخدمتها في جواتيمالا وأثبتت نجاحها إلى أحد مواقع التراث العالمي في المكسيك. كان الغرض من البرنامج حماية البيئة والتراث والثقافة المحلية، وفي الوقت ذاته استحداث مصادر دخل مستدامة للسكان الأصليين. ترى ماريا أنه في حالة نجاح البرنامج سوف تكون هناك إمكانية لوضع نموذج عالمي سيجري من خلاله توجيه ودعم المجموعات المحلية وهم بصدد تصميم طرائقهم الخاصة لحماية الموارد الطبيعية الفريدة، والتقاليد المثمنة، وسبل عيش الشعوب التي تعتنقها.

مو سوشوا

كمبوديا

عندما أسمع طفلة تقول: «ردُّوا إليَّ روحي.» أشعر كما لو أنها قالت: «ألتمس العدل.»

في عام ١٩٧٢، عندما كانت مو سوشوا في السابعة عشرة من عمرها، وضعها أبواها على طائرة أقلعت من كمبوديا إلى فرنسا لإنقاذها من مذابح الخمير الحمر، ولم ترهما بعدها مرة أخرى.

بين عامي ١٩٧٥ و١٩٧٩، أدى النضال ضد القوى الشيوعية إلى مقتل ما يقرب من نصف سكان كمبوديا؛ أي قرابة ثلاثة ملايين شخص.[13] أُعدم كثير من أرفع مواطني البلد تعليمًا. مات الآلاف غيرهم من الجوع والمشاقّ التي كانوا يواجهونها في معسكرات الاحتجاز. وعقب اتفاقيات باريس للسلام عام ١٩٩١، وبدعم من الأمم المتحدة والمجتمع الدولي، بدا أن كمبوديا بلغت طور ديمقراطية وليدة. لكن، كما اكتشفت سوشوا عندما عادت إلى كمبوديا بعد غيابها لمدة ثمانية عشر عامًا، كان ثمة واقع شديد القسوة قابع تحت السطح مباشرة.

اتخذت سوشوا طريقًا طويلًا ومتعرجًا في عودتها إلى وطنها. وبانتقالها من باريس إلى سان فرانسيسكو، حاولت أن تبني حياةً لنفسها، وتقلدت قيادة الجالية الكمبودية التي تعيش في منطقة خليج سان فرانسيسكو، إلا أنها ما فتئت تحلم كل ليلة بالعودة إلى بلدها للبحث عن أسرتها.

في عام ١٩٨٩، اتخذت سوشوا في النهاية سبيلها إلى جنوب شرق آسيا لتعمل في معسكر للاجئين على الحدود التايلندية الكمبودية، تقول عن ذلك: «أول ما وصلت،

تفرست في كل وجه محاوِلةً العثور على والدي.» في عام ١٩٩٠، عادت إلى كمبوديا لتجد أن وطنها قد تغير. كان الشعب يعيش في فقر، وكان الريف الجميل الذي تذكرته يعج بالألغام، وأصبحت مدينة بنوم بنه، العاصمة الكمبودية، مرتعًا للمنحرفين جنسيًّا الذين يفترسون الشابات والفتيات الضعيفات. تحدثت سوشوا إلى سيدات محليات وتأثرت تأثرًا شديدًا بقصصهن المروعة عن الاعتداء والعنف الجنسي. أصبحت أصواتهن وقودًا لمعركتها.

سرعان ما أصبحت سوشوا الصوت الرائد في الحركة النسائية في كمبوديا؛ إذ تعاونت مع شبكات نسائية ومنظمات عاملة في مجال حقوق الإنسان من أجل التشجيع على السلم، وإدراج بنود صارمة في دستور ١٩٩٣ لحماية الحقوق الإنسانية للمرأة. وفي عام ١٩٩٥، حضرت سوشوا مؤتمر الأمم المتحدة العالمي الرابع المعني بالمرأة في بكين، وهناك كان قرارها بعد أن سمعت هيلاري كلينتون تردد: «حقوق المرأة هي حقوق الإنسان، وحقوق الإنسان هي حقوق المرأة.» وكان قرارها بتقلد منصب عمومي من أجل إيصال أصوات النساء.

التقيتُ سوشوا في زيارتي الأولى إلى كمبوديا. حينها كانت قد اكتسبت سمعة دولية بوصفها أول «سيدة» في كمبوديا تتولى منصب وزير شئون المرأة. لم تخفَ المفارقة على أحد؛ فقد كانت سوشوا متمردة داخل مجلس الوزراء؛ إذ كانت تضغط من أجل التغيير داخل حكومتها. كانت وزيرة نهارًا، لكن كانت تسير ليلًا متجهة إلى حي الدعارة في مدينة بنوم بنه لتنصت إلى قصص النساء. من بين الإجراءات الأولى التي اتخذتها كوزيرةٍ التفاوضَ على اتفاق مع تايلاند؛ للسماح للسيدات الكمبوديات اللاتي سقطن ضحايا الاتجار بالبشر واشتغلن بالجنس بالعودة إلى وطنهن بدلًا من احتجازهن في السجون. تقدمت بمشروع قانون للعنف الأسري ودافعت عنه بالبرلمان، وكان لها السبق في استخدام إعلانات تليفزيونية صريحة. كما أنها جالت في أنحاء البلاد لمدة خمس سنوات لرفع وعي الفتيات والصبية بشأن الاتجار بالبشر.

بالتأكيد أقضَّت سوشوا مضاجع البعض في حكومة ينصبُّ تركيزها على تصدير نجاحات كمبوديا إلى العالم الخارجي. خلال زيارتي الأولى قالت لي: «إن أردتُ استغلال هذا المنصب لإحداث تغيير، عليَّ أن أستعد للمخاطرة بكل شيء. ثمة مقولة ببلدي تقول: «الرجل كالذهب، إنما المرأة كقطعة من القماش الأبيض.» إن اتسخ الذهب يمكن تنظيفه،

لكن بمجرد أن تتلطخ قطعة القماش الأبيض تظل على وسخها للأبد. يجب أن نغير هذا التفكير.»

أدركت سوشوا أن الأمر سيستلزم أكثر من صوتها وحدَها لتغيير المعايير المجتمعية. في منصب الوزيرة، روَّجت لمقولة جديدة: «الرجل كالذهب، وأما المرأة فجوهرة ثمينة.» خلال بضع سنوات، نظمت سوشوا وأطلقت حملة مبتكرة لبلوغ مستويات مشاركة أعلى للمرأة في الحياة العامة. تعاونت مع المجتمع المدني لتشجيع النساء على ترشيح أنفسهن للانتخابات المحلية، والتي كانت الأولى من نوعها في تاريخ كمبوديا؛ ففي عام ٢٠٠٢، ترشح ٢٥ ألف سيدة لمناصب عمومية. وقد فاز ٢٢٥٠ من هؤلاء المرشحات بمقاعد؛ أي نحو ٩ بالمائة.[14]

وتقديرًا لجهودها في مجال مكافحة الاتجار بالنساء في كمبوديا وتايلاند المجاورة، رُشحت سوشوا لجائزة نوبل للسلام بالمشاركة لعام ٢٠٠٥. لكن لم يمتدح الجميع جهودها؛ فكمبوديا واحدة من أكثر البلدان فسادًا بالعالم، وكثيرون يحققون الثراء من خلال شراء وبيع البراءة. عندما عدت إلى كمبوديا في يناير ٢٠٠٥، كانت سوشوا قد أُقصيت من منصبها كوزيرة لشئون المرأة. أتذكَّر جلوسي معها في مطعم بوسط مدينة بنوم بنه. قبل ذلك ببضعة أيام، كانت قد هاجمت منظمةٌ محلية مناهضة للاتجار بالبشر أحدَ أوكار الدعارة وأنقذت عشرات الفتيات، ثم اجتاح المتاجرون بالبشر ملجأً المنظمة؛ إذ كانوا يتعاونون من كثب مع الشرطة المحلية من أجل «استرداد ممتلكاتهم». كانت سوشوا تعتقد أنه بإمكان المرء تتبع خيط الفساد وصولًا إلى السلطة العليا.

سيكون من السهل الشعور بالعجز والإحباط أمام هذا الاستغلال المنيع للسلطة، لكن لم تضعف عزيمة سوشوا ولم يفتر التزامها. تركت الحزب الحاكم وسعت للفوز بمقعد بالبرلمان كمرشحة عن المعارضة. بعد ذلك بعام كانت أول سيدة تتقلد منصب الأمين العام لحزب سياسي في كمبوديا. وبوصفها من كبار زعماء المعارضة، تواجه سوشوا ترويعًا وتهديدات مستمرة ممن بيدهم مقاليد السلطة، إلا أنها استمسكت بمطالبتها المجتمع الدولي بالانتباه إلى الفساد الحكومي وانتهاكات حقوق الإنسان التي تتغاضى عنها حكومتها.

في رحلاتي السبع إلى كمبوديا على مدار تسع سنوات، بدا أن مشكلة الاتجار بالبشر لا تزداد إلا سوءًا. وعقب الأزمة الاقتصادية العالمية عام ٢٠٠٨، خسر آلاف العاملين بصناعة الملابس وظائفهم؛ ما أدى إلى تقلص الفرص الاقتصادية المتاحة أمام النساء.

إنها حلقة مفرغة. توضح سوشوا قائلة: «تتلقى النساء أقصى الضربات في هذا الركود، وستكون شريحة جديدة من السكان عرضة للمتاجرين بالبشر.»

في كمبوديا يَسهُل سماع أصوات من في السلطة، في حين تزداد صعوبة إيجاد مساحة لمن يشعرون بالظلم. تعمل سوشوا من أجل إعداد قيادات نسائية محلية في كمبوديا لينافسن في يوم من الأيام على المستوى الوطني. وفي الوقت نفسه، نادت بحجز نسبة ٣٠ بالمائة من مقاعد البرلمان للمرشحات، تقول سوشوا: «بعد انضمامي لحزب المعارضة، كان جُلُّ تركيزي منصبًّا على الديمقراطية وحقوق الإنسان.» كما أنها تقدِّم المشورة لشبكة واسعة من جماعات المجتمع المدني والنقابات العمالية بشأن استراتيجيات توسيع المجال أمام الديمقراطية.

كانت إحدى أكثر استراتيجيات سوشوا نجاحًا تتمثل في التعاون مع مختلف المجموعات، إما على المستوى المحلي أو الوطني أو الإقليمي أو الدولي. وتركز سوشوا على التنمية الطويلة المدى، التي تشمل تنمية رأس المال البشري في بلد أُعدم فيه أغلب المعلمين والأطباء والقضاة قبل ذلك بسنوات على يد الخمير الحُمر، الذي يُعتبر أكثر الأنظمة دموية في القرن العشرين.

وترى سوشوا أنه يجب على الحكومة وضع وتنفيذ سياسات تخلق فرصًا وتدابير خاصة للنساء بحيث يمكنهن حصد جزء من تنمية كمبوديا، ولا يمكن التعامل مع قضيتي التمييز والعنف ضد المرأة إلا عندما يقدِّر المجتمع ككلٍّ المرأة بوصفها إنسانًا وشريكًا مثلها مثل الرجل.

تقضي سوشوا قرابة ٨٠ بالمائة من وقتها في عقد فعاليات دعائية، وتلتقي بجمهور ناخبيها. سألتها: لمَ تفعل هذا وهي ذائعة الصيت ومحبوبة من شعبها، وستفوز دون شك بالانتخابات؟ فردت دون تردد: «أفعل ذلك لأني أود أن أتعرف عليهم أكثر. ينبغي أن أعرف منهم مباشرة شعورهم عند فقدان طفل بسبب مرض ما، أو سوء التغذية، أو الاتجار بالبشر. أريد أن أفهم ما تمر به أسرة من الأسر عندما تصادر الحكومة أملاكها. السبيل الوحيد الذي أستطيع من خلاله تمثيل شعبي هو أن أعرف ما يشعرون به. لا أعرف سبيلًا آخر للقيادة.»

روشانا ظفر

باكستان

هذا هو الدور الذي طالما تخيلت نفسي أؤديه؛ أن أكون حلقة وصل! أشعر بالارتياح وسط جماعة تضم عملائي وفريق عملي في أي جزء من باكستان، وأتحدث بالقدر نفسه من الثقة إلى رؤساء دول العالم.

بالنسبة إلى كثير من العاملين في قطاع التنمية، الحد من الفقر هو أشق المشاق، وبالنسبة إلى البعض بدا الأمر عصيًّا. أُحبطت روشانا ظفر؛ وهي اقتصادية بمكتب البنك الدولي في إسلام آباد، جرَّاء عجز مجتمع التنمية عن إحداث تقدُّم سريع لتحسين حياة أكثر أسر العالم فقرًا. ولما أصاب الوهن عزيمتها وأخذت تبحث عن حلٍّ أفضل، وجدت نفسها ترتاد مؤتمرًا عُقد في عام ١٩٩٢، وهناك التقت الدكتور محمد يونس وأبهرها عمله المبدع في مجال الائتمان المتناهي الصغر. وباعتبار الدكتور يونس مؤسس بنك جرامين الشهير حاليًّا، وباعتباره حائزًا جائزة نوبل للسلام لعام ٢٠٠٤، فقد أوضح أنه عند إعطاء قروض صغيرة للسيدات دون ضمانات لم تحسِّن النساء من حياتهن اقتصاديًّا وحسب، بل اتضح أن معدل سداد الديون كان أعلى كثيرًا من النماذج المصرفية التقليدية.

تصف روشانا مقابلتها الأولى بدكتور يونس قائلة: «كنت غريبة تمامًا، لكنه لم يبخل عليَّ بالنصح ولم يضع عوائق بيننا. له جاذبية من ثقة هادئة يُظهر منها أقل مما يبطن تجعلك تريدين اللحاق به أينما يذهب. دعاني للمجيء إلى بنجلاديش وملاحظة النموذج الذي طبقه. كان من المستحيل رفض مثل هذا العرض.» وهكذا قبلت روشانا العرض.

في عام ١٩٩٤، سافرت روشانا إلى بنجلاديش وعملت من كثب مع بنك جرامين لتتعلم كيف كان الائتمان المتناهي الصغر يُحدث تحولًا في حياة أفقر الفقراء. بعد انقضاء عام، تساءلت كيف يمكنها مواصلة تقديم المساعدة. أخبرها يونس أن بنك جرامين بمقدوره الاستمرار في بنجلاديش. أما المكان الذي كان في أمسِّ الحاجة إليها فكان في وطنها باكستان. أعطاها ١٠ آلاف دولار كرأس مال تأسيسي وأخبرها أن تبدأ برنامجها الخاص. في عام ١٩٩٦، عادت روشانا إلى باكستان وشرعت في عملها.

أدركت أنه لن يكون من السهل جلب الائتمان المتناهي الصغر إلى باكستان؛ فمنذ حصول البلد على الاستقلال في عام ١٩٤٧، واجهت صعوبة في النمو اقتصاديًّا وسياسيًّا. يظل دور المرأة في باكستان مقصورًا في أغلب الأحيان على المنزل. تبلغ نسبة السيدات المتعلمات ٣٦ بالمائة من جملة السيدات، وهي نسبة تقل عن مثيلتها لدى الرجال بأكثر من ٢٠ بالمائة.[15] علاوة على ذلك، كانت تقاليد باكستان الثقافية ولوائحها المصرفية مختلفة عما وجدته في بنجلاديش، لكن كانت روشانا مصممة على تقديم العون. في عام ١٩٩٦، وضعت حجر أساس مؤسسة «كشف» التي حملت شعار «الائتمان المتناهي الصغر للنساء من النساء.» وإذ عُهد إلى مؤسسة «كشف» بمهمة خلق فرص العمل وتمكين المرأة اقتصاديًّا، منحت المؤسسة قروضًا متناهية الصغر إلى سيدات ولم توظِّف سوى مصرفيات بفروعها.

رغم أنني تتبعت عمل روشانا لسنوات، التقينا أول ما التقينا في عام ٢٠٠٩ من خلال إحدى شريكاتنا، وتدعى أماندا إليس، التي كانت تقود أبحاثًا متطورة في البنك الدولي لقياس تأثير استغلال الإمكانات الاقتصادية للمرأة وإعداد تقارير عنها. ما أثار إعجابي أكثر من غيره كان وعي روشانا الذاتي كقائدة؛ فلتغلغلها في المجتمعات التي تخدمها، كانت تنصت إلى السيدات المحليات وتقودهن مقدِّمةً اهتماماتهن إلى الصدارة. هذا الرسوخ والتواضع مكَّناها من التعرف على أخطائها والتعلُّم منها؛ وفي النهاية، مكَّناها لتصبح قائدة أكثر نجاحًا.

فعلى سبيل المثال، في تدشين مؤسسة «كشف»، واجهت روشانا مجموعة من التحديات؛ فعلى عكس النجاح الذي بدا مطلقًا لبنك جرامين، تخلَّف مقترضوها عن الوفاء بديونهم بنسبة مئوية أعلى كثيرًا؛ ففي أول عامين، اكتشفت أن ٢٠ بالمائة من قروض مؤسسة كشف متعثرة. أصبحت روشانا اقتصادية بالتدريب، وكانت خبيرة في التنمية الدولية. لقد عملت جنبًا إلى جنب مع محمد يونس في بنجلاديش، لكن بطريقة أو بأخرى نموذج بنك جرامين الذي ازدهر في بنجلاديش لم يكن مثمرًا في باكستان كما كانت تود.

لكي تتوصل إلى أسباب فشل المشروع، توجهت روشانا وفريقها مباشرة إلى النساء اللاتي كنَّ يحاولن مساعدتهن. تشرح روشانا ما حدث قائلة: «كان افتراضنا الأساسي أنه علينا أن نعمل مع السيدات وحدهن ولا نشرك الأسر، لكن أول عامين (١٩٩٦ إلى ١٩٩٨)، عندما لم يتمكن بعض السيدات من سداد قروضهن وحاولنا نحن إشراك الرجال في أُسرهم، وجدناهم غير مستعدين لذلك؛ قالوا إن السيدات لم يستشرنهم من البداية.» وهنا بدأت المشكلة تتكشف لروشانا.

رغم النوايا الحسنة لمؤسسة كشف، فإنها همَّشت بعض المقترضات بعدم تضمين الرجال الذين لهم صلة بهن في حياتهن كأصحاب مصلحة. ولأن الرجال لم يشتركوا في القرار، استاء البعض منهم من زوجاتهم. أدركت روشانا أنه كي تمكِّن المرأة، ينبغي لها تمكين كل شخص؛ فتقول: «راجعنا استراتيجيتنا ونظرنا إلى التمويل المتناهي الصغر من خلال السيدات لدعم الاحتياجات الاقتصادية للأسر؛ لأننا أدركنا أن الفقر يؤثر على أعضاء الأسرة كافة، ولكن بصور مختلفة. وعليه كان ينبغي لنا تطبيق نهج متعدد الجوانب.»

في حين ظلت روشانا على وفائها لمهمتها الهادفة إلى تمكين المرأة، على يد المرأة نفسها، فإنها غيَّرت من نهجها. جعلت سياستها إشراك الرجال في عملية الإقراض، والاستعانة بخدمات الرجال لجعل المشروع أكثر شمولية، وقضت ثماني سنوات تقريبًا في إدخال التغييرات الضرورية من أجل نجاح النموذج، لكن في النهاية حققت نجاحًا باهرًا؛ فعلى مدار خمسة عشر عامًا، وزَّعت مؤسسة كشف ما يزيد على ٢٢٥ مليون دولار من خلال أكثر من ١,٢ مليون قرض، وتستمر في توفير التدريب والمعرفة المالية والعمل للسيدات الباكستانيات الفقيرات.

كانت روشانا كقائدة مستعدة لإجراء تغييرات بناءً على ما يحتاجه المجتمع. فهمت كنه السياق الذي تعمل فيه، وكيفت من طرائقها، وعدَّلت من أولوياتها من أجل أن تكون

أكثر فاعلية. سمحت مرونتها بخلق نموذج جديد وناجح من الائتمان المتناهي الصغر. والآن بإمكان روشانا أن تدافع بثقة عن السيدات اللاتي تقدِّم لهن الخدمات. إن قوتها الدافعة تتمثل في «مساعدة النساء على تغيير أنفسهن وتغيير المجتمع من حولهن». هي تدرك ما ينجح ويؤتي ثماره، وتحمل معها قصص السيدات تجوب بها أنحاء العالم.

كاه والا

الكاميرون

> أومن بقدرة الناس الفطرية على النجاح. أومن بأننا مَن نُحدد معالم هذا النجاح الذي يكمن داخل كل واحد منا. إن دور القائد أو المنسق أو السياسي يتمثل في مساعدة الناس على تحديد معالم النجاح لأنفسهم، والتعرُّف على الطرق التي يمكنهم تحقيق النجاح من خلالها، وما يحتاجونه من أجل النجاح، وفي مصاحبتهم طوال الطريق المفضي إلى هذا النجاح.

الكاميرون بلد يقع في وسط أفريقيا، ويمتلك ثروة ضخمة، لكن تلك الثروة متركزة في أيدي قلة متسلطة.[16] وفي المقابل ٤٠ بالمائة من السكان يعيشون على أقل من دولار واحد

في اليوم، ونصف البلد يفتقر إلى الكهرباء أو المياه النظيفة.[17] منذ الاستقلال عام ١٩٦٠، لم تنتقل السلطة الرئاسية سوى مرة واحدة. عُقدت انتخابات دورية، لكن بلغ الأمر بالشعب الكاميروني التسليم بحقيقة أن تلك الانتخابات سيشوبها الفساد والتزوير.

في مدينة دوالا بالكاميرون، تمتلك كاه والا وتدير مكتبًا للاستشارات الإدارية يدعى «ستراتيجيز». العمل من بين أهداف كاه في الحياة؛ فقد أرادت خلق نموذج نجاح أفريقيًّا تقوده المرأة بإمكانه المنافسة في أي مكان. فمع وجود عملاء لها من خمس قارات مدرجين على قائمة فورتشن ٥٠٠، حققت هذا الهدف بالضبط.

وإذ ترعرعت كاه في أسرة ضمت نساء قويات، شعرت أنه ينبغي لها فهم الناس كي تحارب من أجلهم. بعد إتمامها دراستها في الولايات المتحدة، عادت إلى الوطن كي تساعد في جعل بلدها مكانًا أفضل. أرادت أن تعمل بالنيابة عمن لم يمتلكن صوتًا؛ من لم يبلغن المزايا التي تمتعت هي بها.

ولما كانت ناشطة تدافع عن الحقوق طوال حياتها، قررت كاه في النهاية الترشح للمجلس المحلي في مدينة دوالا. تقول كاه: «انتقلت من النشاط الحقوقي إلى السياسة لأني أدركت أنه مهما فعلت كناشط، فلا مفر من أن تواجه النظام ... صعُب عليَّ تخيل نفسي في الساحة السياسية، لكن في الوقت نفسه شعرت بضيق شديد في كل عملية انتخابية. كنت أقول لنفسي: كاه! لا يمكنك الاستمرار في الشكوى من هذا والتذمر من مدى شناعة الأمر دون أن تتحركي!»

على المستوى المحلي، أعطت السياسة كاه فرصة كي تنشئ علاقات مباشرة مع الناخبين. أنصتت إلى أفراد المجتمع كل يوم واستغلت موقعها لتمكنهم كأعضاء بالمجتمع المدني. تعاونت كاه مع مختلف الأحزاب لتمكين المرأة من تقلد أدوار قيادية، وشجعت النساء في مجتمعها على القيام بالمثل.

التقيتُ بكاه أول مرة في فبراير ٢٠٠٨ في برنامج تدريبي نظمته أصوات حيوية للمحاميات ورائدات الأعمال الأفريقيات. خلال البرنامج، وضعت المشاركات مشروعات حقوقية مصممة من أجل إزالة الحواجز القانونية التي تعترض سبيل تقدم السيدات الاقتصادي في أوطانهن. واجهت النساء في جميع بقاع القارة الأفريقية عراقيل اقتصادية مشتركة مثل فقدان حقوق الملكية، وعدم إمكانية الحصول على رأس المال. وصور عدم تكافؤ الفرص بين الرجل والمرأة هذه جعلت المنافسة العادلة غير ممكنة أمام السيدات الأفريقيات في مجال الأعمال. إن شخصية كاه الكاريزمية وصدقها وشغفها بمساعدة

الآخرين على ابتكار الأفكار الجريئة وتنفيذها هي سمات تنتقل من شخص لآخر. وبوصفها قائدة بالفطرة، عملت إلى جانب غيرها من السيدات في أنحاء أفريقيا من أجل تحديد الحواجز في مجتمعاتهن، وخلق خطط ملموسة من أجل تحرك إيجابي.

وبصفتها عضوة بالمجلس المحلي، لاحظت كاه أن التسعمائة سيدة العاملات في مارشيه سانداجا؛ أحد أكبر الأسواق في وسط أفريقيا، لم يكن لهن رأي في كيفية إدارة السوق؛ فقد شغل التجار من الرجال، الذين شكلوا نسبة صغيرة من السوق، تسعة وثلاثين منصبًا من الواحد والأربعين منصبًا بالاتحاد المنظِّم لعمل السوق. وبدعم من منظمة أصوات حيوية ومؤسسة بيل آند مليندا جيتس وبمنحة صغيرة منهما، نظمت كاه تدريبًا حقوقيًّا لسيدات السوق؛ حيث أطلعتهن على حقوقهن، وساعدتهن على تأسيس اتحادهن للمطالبة بظروف عمل أفضل. ونتيجة لذلك، حاربت النساء بنجاح الازدواج الضريبي، وتمكَّنَّ من تحسين ظروف العمل في السوق كله. أعطت كاه هؤلاء السيدات منبرًا كي يُسمع صوتهم، وشجعتهم على التحدُّث بحرية بالأصالة عن أنفسهن.

تقول كاه: «بوصفنا سيدات — وبوصفنا كما أظن سيدات أفريقيات — نميل إلى اللجوء لخيار الاستجداء، كقول: «من فضلك، إني أواجه موقفًا عصيبًا، هلا ساعدتني على الخروج منه، من فضلك قم بشيء حيال هذا الموقف. إنه لموقف بغيض».» وتوضح كاه: «لكن ما تعلمته هو أنه ينبغي لنا تغيير هذه العادة تمامًا؛ فنحن جزء جوهري من اقتصاد وطننا. وإذا كان هذا الاقتصاد بصدد النمو — إن كان هذا البلد يصبو إلى النمو — فستكون فكرة جيدة أن نجلس إلى طاولة ونبدأ الحديث بعضنا إلى بعض، ونستكشف معًا أفضل السبل لكلا الجانبين. وبهذا يمكننا تمرير تشريعات ملائمة لنا كسيدات، وفي الوقت نفسه نافعة جدًّا للوطن.»

سرعان ما أدركت كاه أنه عندما تلقت رائدات الأعمال تدريبًا على إدارة الأعمال الأساسية، زادت أرباحهن؛ فالاستثمار في النساء كان له تأثير فوري وملموس، لكنها اكتشفت أيضًا أن النظام أوجد عراقيل تمنع الاستفادة من الفرص التي سعت إلى خلقها؛ فعلى سبيل المثال، لو تمكنت رائدات الأعمال من الحصول على مزيد من رءوس الأموال، يمكن لشركاتهن أن تُحدث تقدمًا هائلًا، لكن بوصفهن سيدات، فقد عانين كي يحصلن على قروض.

أخبرتني كاه: «أدركتُ أنه عليكِ تغيير النظام برمته. عليكِ ترتيب الأمر بحيث يُتاح المزيد من الموارد على مستوى القاعدة. عندما يتخذ الناس القرارات على المستوى الذي يؤثر على حياتهم، سيحدث حينها تحوُّل أكيد في السلطة.»

في عام ٢٠١١، أعلنت كاه ترشحها لمنصب رئيس الكاميرون. في الخمسين عامًا التي أعقبت استقلال الكاميرون، لم يتولَّ المنصب سوى رئيسين، فواجهت من فورها ترويعًا وتهديدات. وفي مظاهرة نُظمت دعمًا للإصلاح الانتخابي لضمان أن صوت كل مواطن سيُسمَع، أُجبرت كاه على الوقوف بجزيرة وسط الطريق وتحمُّل القوة الكاملة لمدفع المياه الذي وجَّهتْه الشرطة إليها.

ثم في ٢٠ مايو من العام نفسه، وهو العيد الوطني للكاميرون، كانت كاه بفندق مون فيبيه بالعاصمة ياوندي عندما اعترض طريقها أربعة رجال قرب المصعد واقتادوها قسرًا إلى سيارتهم. وإذ قدَّموا أنفسهم على أنهم رجال شرطة، فقد صادروا هاتفها المحمول وأمتعتها وفتشوا متعلقاتها. طلبت منهم مرارًا وتكرارًا أن يطلقوا سراحها حتى أنزلوها أخيرًا بعد ساعات أمام منزلها في دوالا وانطلقوا بالسيارة.

رفضت كاه أن يتم ترويعها، فاستمرت في النضال، ولكن مجددًا شابت انتخابات ٢٠١١ خروقات. ورغم خيبة الأمل التي ألَمَّت بها، لم يثبط ذلك من عزيمتها. كما أنها جذبت إليها الأنظار؛ فقد اختارتها وسائل الإعلام الكاميرونية لتنال لقب «أفضل سياسية صاعدة» بعد الانتخابات.

تعلم كاه أنه رغم خسارتها فقد خلقتْ أثرًا إيجابيًّا من خلال حملتها، فتقول: «أعتقد أني تمكنت من إقناع أناس معينين، لا سيما النساء والشباب، لكنني أعتقد أن الرجال في المجتمع الكاميروني أيضًا على قناعة بأننا نستطيع النجاح. نحن نمتلك طريقتنا الخاصة في تحقيق النجاح. يمكننا النجاح بمعايير راقية، يمكننا النجاح في القضايا التي تمسنا. يمكننا مواجهة هذه المشكلات.»

ترى كاه أن الحلول لهذه القضايا توجد لدى الأشخاص الذين يشكلون هذا المجتمع. ويعكس نمط قيادتها هذه الرؤية تمامًا. عندما تتحدث كاه عن ركيزة معتقداتها، فإنها تعبر عنها بطريقة غاية في البساطة؛ إذ تقول: «أومن بالناس.»

روزانا شاك

ليبيريا

القدرة على خوض طريق المعاناة — الافتقار إلى أساسيات الحياة — وضعتني في حالة تمكنني من التعاطف مع الناس الذين أتعامل معهم ... أشعر حقًّا

بالتعاطف معهم لما مروا به ... استنادًا إلى ما بلغته من تعليم وخبرة، أستطيع الارتقاء ... من الممكن أن نتكاتف مع قطاعات مختلفة بحيث تكون لنا الغلبة في معركتنا.

عندما كانت روزانا شاك طفلة، نعِمت بحب أسرتين من خلفيتين مختلفتين اختلافًا شديدًا. وُلدت روزانا في أسرة من شعب الباسا الأصلي تعيش في ليبيريا، وشخَّص الأطباء المحليون حالتها بأنها مصابة بشلل الأطفال وهي في سن الثانية. ولعدم قدرة أسرة روزانا على الوفاء باحتياجاتها الصحية، عرضتها للتبني على أسرة تبشيرية أمريكية تعيش في مونروفيا عاصمة ليبيريا. وعندما تم تبنيها في سن السادسة، بدأت روزانا تستمتع باحتضان أسرتها البيولوجية وحب أسرتها بالتبنِّي. اليوم تشير روزانا إلى تنشئتها باعتبارها إحدى أكثر التجارب البنيوية التي شكلت طموحاتها وقدراتها القيادية؛ فهذه التجربة عززت حبها لبلدها وأكسبتها القدرة على التعامل مع الاختلافات والتنوع، إلا أن أهمية هذه التجربة لم تكن واضحةً دومًا لروزانا. لزم الأمر سلسلة من الأحداث التي وقعت خلال الحروب الأهلية في ليبيريا حتى يخرج تأثير هذه التجربة إلى النور.

في عام ١٩٨٩، اندلع الصراع في ليبيريا، ما أدى لنشوب حربين أهليتين استمرتا أربعة عشر عامًا. وباسترجاع الماضي، تتذكر روزانا مشاعر الصدمة التي انتابتها فتقول: «لم ندرك أن هذا سيحدث ... الفظائع التي مررنا بها كانت فوق التصور. كنا نشاهد

ما يحدث على شاشة التليفزيون ... لكن لم يخطر لنا قط أنه يمكن أن يحدث لنا.» مع تصاعد وتيرة العنف، أُرغم المغتربون على الرحيل من البلاد، وفيهم والدا روزانا بالتبنِّي. وعندما كانت روزانا في أوائل الثلاثينيات من عمرها وأمًّا لثلاثة أطفال، لم تملك خيارًا سوى البقاء. لم تحصل روزانا على الجنسية الأمريكية، فبقيت في مونروفيا مع أطفالها ليقاسوا الصراع الأهلي في ليبيريا.

أثناء تجولهم، محاولين الابتعاد عن مرمى النيران، واجهت الأسرة عنفًا مستمرًّا، وفي بعض الأحيان جوعًا شديد الوطأة. في صيف عام ١٩٩٠، أجبرها القتال الدائر في العاصمة على ترك منزل والديها الأمريكيين والسير ثلاثة عشر ميلًا إلى منزلها الأصلي على أطراف مونروفيا. استغرق السير من روزانا وأسرتها يومين. اضطروا إلى المرور عبر العديد من نقاط التفتيش ومواجهة عقبات عدة. تتذكر روزانا ما مرت به أثناء المسير قائلة: «وجدت نفسي قائدة لهذه المجموعة الصغيرة من النازحين؛ ثلاثة وثلاثين شخصًا! لم أودَّ أن يرى أطفالي الخوف في عيني. كان عليَّ التحلِّي بالقوة من أجلهم، ومن أجل بقية المجموعة التي كنت أقودها.» تتذكر روزانا هذه اللحظة الفاصلة قائلة: «كان لدي إحساس قوي بالواجب. لم يكن الاستسلام مطروحًا أمامي. لست بالشخص الذي يستسلم بسهولة.»

في عام ١٩٩٤، استعانت الدكتورة شانا سويس بروزانا وخمس من قريناتها لتصميم استطلاع رأي، وإجراء أبحاث ميدانية، وإدارة نقاشات لمعرفة التحديات التي فرضتها الحرب على النساء والفتيات الليبيريات. كانت هذه التجربة بمثابة بداية جهود روزانا المتعلقة بقضية العنف ضد المرأة، وكشفت لها التحديات الفريدة التي تواجهها المجندات، الأمر الذي أصبح جزءًا لا يتجزأ من عملها اليوم. وبفضل تدريبها على التمريض وقدرتها على الوصول إلى موارد ومعرفة مستقاة من المصدر عن وعثاء الحرب، أدركت روزانا أنها تملك منبرًا قويًّا للمساعدة في عملية المعافاة التي يمر بها بلدها.

عندما وضعت الحرب الأهلية الثانية أوزارها عام ٢٠٠٣، أسست روزانا منظمة غير هادفة للربح تحت اسم «بشر في حاجة إلى العطف» (منظمة ثينك)؛ للإسهام في عملية بناء السلام. تطمح المنظمة إلى أمَّة تضم مجتمعات قد حدث بها تحولٌ؛ لينال المهمشون والفقراء، لا سيما النساء والأطفال، الحماية والصحة والتعليم والاكتفاء الذاتي. منذ عام ٢٠٠٣، عملت روزانا وفريقها بالمنظمة دون كلل أو ملل لتمكين النساء والأطفال في ليبيريا. عندما قرر المجتمع الدولي التعامل مع تبعات الحرب والآثار العميقة المتخلفة،

كان هناك تشديد عظيم على البرامج المخصصة للمجندين. وتجاهل المجتمع الدولي قضية المجندات اللاتي أصبحن عرضة للمخاطر، واحتجن إلى خدمات إعادة تأهيل بالغة الدقة والتخصص. ولإدراك روزانا للصدمة العاطفية الشديدة التي تعرَّض لها هؤلاء الشابات، صمَّمت هي وفريقها برنامج تمكين مبتكرًا دام تسعة أشهر للمساعدة على إعادة إدماج الفتيات اللاتي حاربن وكنَّ بمثابة رقيق جنسي للقادة العسكريين. وتعتقد روزانا أنه كما يستغرق خلق الحياة تسعة أشهر، فإن بدء المعافاة وإعادة بناء الحياة تستغرقان المدة ذاتها.

عندما وضعت روزانا استراتيجية منظمتها، شرعت تبني جسورًا بين العملاء وفريق عملها، وأدركت أن لكل فرد منظورًا متفردًا وتأثرًا مختلفًا بالصراع. عندما وضعت الحرب أوزارها، كان الليبيريون غاضبين من المقاتلين السابقين الذين ارتكبوا جرائم ضد الإنسانية. ورغم أن الجنديات السابقات اللاتي عملت روزانا معهن كنَّ أنفسهن بمثابة ضحايا، كانت وصمة رهيبة تلاحقهن. أثناء تشكيل روزانا لفريقها في منظمة ثينك، عززت روح التسامح وذكَّرت المستشارين والممارسين أنهم يجب أن يفصلوا بين الصدمة التي عانوا منها وعملهم، وأن يمتنعوا عن الحكم على عملائهم. برزت الثقة والأمان والشفافية والمساءلة كقيم أساسية تقوم عليها المنظمة.

تعزو روزانا قاسمًا كبيرًا من نجاحها المهني إلى خبرتها في العيش كلاجئة ونازحة داخليًّا إبان حربَي ليبيريا الأهليتين، وتعتقد أنها قادرة على التعاطف مع المجتمع الذي تخدمه كمواطنة ليبيرية عايشت بنفسها الدمار الذي خلفته الحرب. تدرك روزانا أن تعليمها الرفيع إلى جانب تنشئتها المميزة أتاحا لها ضمان نجاح واستدامة منظمتها. وإذ تمتعت بقدرة فريدة على تفهُّم التنوع وقبوله، تضفي روزانا روح التواصل والتعاون على عملها مع منظمة ثينك. وفي الواقع، انضمت روزانا إلى الشراكة العالمية بين أصوات حيوية وإيفون لإنهاء العنف ضد المرأة في عام ٢٠١٠؛ من أجل التواصل والتعاون مع قادة حقوق الإنسان في جنوب أفريقيا وجمهورية الكونغو الديمقراطية وحول العالم. وعلى هذا المنهاج، تعمل روزانا وفريقها بمنظمة ثينك لتبادل التحديات وأفضل الممارسات مع الممارسين في أرجاء أفريقيا؛ من أجل التحسين الفعال لخدماتهم على أرض الوطن.

لقد ساعدت الخبرة التي اكتسبتها روزانا بمعايشتها الحرب الأهلية على تشكيل رؤيتها والتصرف باستراتيجية محسوبة، مع وضوح وقوة الهدف. ساعدها تعليمها وتفهمها وتعاطفها مع المجتمع الذي تخدمه على المضي برسالتها قُدُمًا. والأجدر بالملاحظة

أن احتكاك روزانا بمختلف المجتمعات ساعدها على توسيع مدارك تفكيرها، فاستخدمت منبرها كمهنية متعلمة لإقامة منظمة مزدهرة تمكِّن الضعاف والمعوزين. وإلى جانب حساسيتها وبصيرتها، مكَّنتها معرفتها المحلية من النجاح في جهودها الرامية لإعادة بناء بلدها من خلال الاستثمار في النساء والفتيات.

أديميمالاجا تافوناي

ساموا

> نحاول إيجاد فرص بحيث تتمكن المرأة وأسرتها من كسب دخل يُمكِّنهم من سد احتياجاتهم المعيشية اليومية.

مثل كثير من الدول الصغيرة التي تتألف من جزر في منطقة آسيا والمحيط الهادئ، كثيرًا ما يغفل العالم ساموا، لكن هذه الدولة الصغيرة وسكانها أغنياء بالموارد الطبيعية، ويفخرون بامتلاك بعضٍ من أجمل المناظر الطبيعية في العالم. تتسم ساموا بثقافتها الثرية، وبتقاليدها المسيحية القوية، وبالتركيز على العشائر الأسرية الممتدة، إلا أن الفرص الاقتصادية شحيحة لشعب ساموا ومنطقة المحيط الهادئ من حولها، والعنف الموجه ضد المرأة مستشرٍ؛ وتُصنَّف مشاركة المرأة السياسية فيها من بين الأسوأ في العالم. وحسب

تقديرات عام ٢٠٠٩، يُقدر نمو إجمالي الناتج المحلي في ساموا بسالب ٥ بالمائة؛[18] ويعاني ٤٦ بالمائة من السيدات انتهاكاتٍ من قِبل الشريك الحميم؛[19] ولا تشغل النساء سوى ٨,٢ بالمائة من مقاعد البرلمان.[20] ورغم أن الإحصاءات ترسم صورة قاتمة، فإن القيادات النسائية أمثال أديميمالاجا تافوناي (آدي) ترى مستقبلًا مبهرًا لساموا ومنطقة آسيا والمحيط الهادئ؛ مستقبلًا يتخذ من القيم الأصيلة في البلاد أساسًا له.

كرَّست آدي حياتها لخدمة الغير؛ إذ عملت على تمكين المرأة والمجتمعات الريفية الفقيرة. بدأت حياتها المهنية في عام ١٩٩١، عندما شاركت في إقامة «منظمة المشتغلات بتنمية الأعمال». أنشأت آدي في الأساس هذه المنظمة غير الربحية لجميع المشتغلات بالأعمال اللاتي يسعين إلى النهوض بالوضع الاقتصادي للمرأة في ساموا، إلا أنه بعد تأسيس المنظمة بفترة قصيرة، حلَّت بالبلاد كارثة طبيعية، فضربتها الأعاصير واحدًا تلو الآخر، وأهلكت آفة فطرية محصول القُلقاس؛ وهو الغذاء الرئيسي في ساموا ومنتج التصدير الأساسي. وفي استجابة منها إلى الظروف المتغيرة على الأرض، أدركت آدي وشركاؤها وجود حاجة ماسة لدى من يعيشون في القرى الريفية، وحوَّلوا تركيز المؤسسة لتلبية تلك الحاجة. وبالتفكير مليًّا في تلك الفترة، تقول آدي: «كان القاطنون بساموا الريفية يقاسون معاناة أشد من معاناتنا؛ ولذا قررنا العمل هناك معهم.»

عندما أُثقل كاهل الكثير من القرويين الشباب الذين يقطنون ساموا غياب الفرص الاقتصادية في مجتمعاتهم، انتقلوا إلى المراكز الحضرية أو هاجروا إلى أستراليا ونيوزيلندا والولايات المتحدة بحثًا عن سبل العيش. ولما وجد هؤلاء الشباب وظائف بعيدًا عن الوطن، أرسلوا مالًا إلى أُسرهم؛ ما خلق فعليًّا اقتصادات نقدية في القرى الريفية. ومع تدفق التحويلات النقدية إلى تلك المجتمعات، انصرف أهل القرى الريفية عن كسب دخلهم محليًّا، وانعزل العمال الشباب عن عشائرهم. كان لهذا أثر بالغ على اقتصاد ساموا وثقافتها. أدركت آدي أن هذا التحدي الفريد يتطلب حلولًا جديدة ومبتكرة، فتقول: «لن تجد أشخاصًا يموتون جوعًا في منطقة المحيط الهادئ ... عليك أن تنظر إلى الفقر بمنظور مختلف. يوجد بالتأكيد فقر في الفرص. الناس في حاجة إلى المال، لكن لا تُتاح لهم الفرص لجني هذا المال حيث يعيشون، وأعتقد أن هذا أمر بالغ الأهمية.»

للتخفيف من نقص الفرص الاقتصادية في ساموا ومنطقة المحيط الهادئ، أوصى المجتمع الدولي بتطبيق برامج التمويل المتناهي الصغر. وبمحاكاة النماذج الناجحة من جنوب شرق آسيا، أدخل برنامج الأمم المتحدة التنموي التمويل المتناهي الصغر في ساموا

في تسعينيات القرن العشرين، إلا أن منطقة المحيط الهادئ مختلفة تمام الاختلاف عن جنوب شرق آسيا، ونموذج التمويل متناهي الصغر الذي ساعد الملايين على الازدهار في ذاك الجزء من العالم كان أقل نجاحًا في ساموا. أُعطيت السيدات قروضًا لإقامة مشاريع دون إدراك لعدم وجود أسواق لمنتجاتهن؛ ولذا شرعت آدي في إيجاد استراتيجية جديدة من شأنها أن تنجح لتناسُبها مع طبيعة وواقع المنطقة. بحثت عن سُبل للحفاظ على شمل الأسر، وتقليل الاعتماد على التحويلات النقدية، وإطلاق المشاريع المحلية. وللقيام بذلك، اتجهت آدي إلى أحد موارد ساموا الطبيعية — زيت جوز الهند البكر — الذي يحمل قيمة بالسوق الدولية؛ نظرًا لاستخداماته في مجالي الصحة والجمال. في عام ١٩٩٥، دشنت آدي ومنظمة المشتغلات بتنمية الأعمال مبادرة لتوظيف سكان ساموا الريفيين في إنتاج زيت جوز الهند البكر؛ بإقامة مَعاصر الزيت بالقرى الريفية، وتدريب الأسر على إنتاج زيت جوز الهند. كما اتصلت بشركات المنتجات الصحية والتجميلية الدولية لخلق سوق لهذا المنتج. وحدثت قفزة كبرى عندما تفاوضت آدي على شراكة مع شركة ذا بودي شوب؛ ما فتح بنجاح سوقًا استوعب مئات الأسر من ساموا في إنتاج زيت جوز الهند.

إدراكًا منها لأهمية المعرفة المحلية، طبقت منظمة المشتغلات بتنمية الأعمال نموذجًا لبرنامج شجَّع على التواصل الأسبوعي المباشر بين فريقها ومنتجي زيت جوز الهند. واستجابة منها للتشديد الاجتماعي على ثقافة ساموا الأسرية، كيفت المنظمة برامجها بطريقة تُلائم الأُسرة في مقابل المجتمعات القروية ككلٍّ أو الأفراد وحدهم. وبمرور الوقت اعتبرت آدي وشريكاتها هذا النهج مفتاح نجاح المؤسسة، فتقول: «اكتشفنا أنه عندما تكسب أسرة من الأسر دخلها بنفسها، فإنهم عادة ما يتمتعون بقدر أكبر من المسئولية تجاه المشروع، ويلتزمون به لمدة أطول، ويعيدون إليه مقدارًا أكبر من المال.» إضافة إلى ذلك، لاحظت آدي وشريكاتها التأثير غير المباشر لعملهن؛ فمع بدء عملائهم من الأسر في كسب دخلٍ، استفاد المجتمع من هذه الدخول عبر الكنائس والمدارس. ومع تنامي الطلب على زيت جوز الهند، تمكنت منظمة المشتغلات بتنمية الأعمال من تصدير برنامجها ومشاركة السوق مع مجتمعات أخرى في جميع أنحاء منطقة المحيط الهادئ.

التقيتُ آدي للمرة الأولى في جمهورية فانواتو، عندما شاركتْ في برنامج قائدات المحيط الهادئ الصاعدات؛ وهو مشروع مشترك بين برامج نيوزيلندا وأستراليا للمساعدات، والبنك الدولي، ووزارة الخارجية الأمريكية، ومصرف التنمية الآسيوي،

ومنظمة أصوات حيوية؛ من أجل تعزيز الفرص القيادية والاقتصادية لدى النساء في اثنتي عشرة دولة جزرية بمنطقة المحيط الهادئ. ورغم أسلوب قيادتها المتواضع، تتحدث النساء من مختلف بقاع المنطقة عنها كأنها أحد المشاهير. واعتبارًا من يناير ٢٠١٢، مكنت آدي أكثر من ١٥٠٠ أسرة من الحصول على فرص اقتصادية لإعالة أنفسهم؛ ما عزز بفعالية اقتصاد ساموا، ووفَّر لشبابها بديلًا عن الهجرة. بانتهاج أديمامالاجا تافوناي القيادة التشاركية، مرتكزةً على المعرفة المحلية وعشق الوطن، تساعد في إحداث تحوُّل في حياة الأفراد، وخلْق مستقبل مختلف لساموا ومنطقة المحيط الهادئ الأوسع نطاقًا.

الفصل الثالث

القدرة على الوصل بين مواطن الفصل

تقدمه السيناتور كاي بيلي هتشيسون
الرئيس المشارك الشرفي، منظمة أصوات حيوية

إن تاريخ المرأة الأمريكية تاريخ من الصمود والتفاؤل الذي لا يتزعزع، وربما الأهم من ذلك، الاستعداد للتكاتف إزاء الشدائد.

إن الشجاعة والثبات على المبدأ من بين أهم سمات القيادة، لكن في مجال الخدمة العامة والأعمال الخاصة معًا، غالبًا ما أجد أن السبيل الوحيد للتغلب على المشكلات العسيرة وإحداث تغير دائم هو التعامل مع الناس الذين تختلف معهم أحيانًا.

في مجلس الشيوخ الأمريكي، أسعدني الحظ بالعمل مع كثير من الوجهاء من كلا الحزبين الجمهوري والديمقراطي، وتكوين علاقات شخصية معهم. وفي هذا السياق، كانت — ولا تزال — تجمعني بهيلاري كلينتون؛ السيناتور السابقة ووزيرة الخارجية الحالية، صداقة من نوع خاص.

تكونت علاقتنا فور أن التحقتْ بمجلس الشيوخ عام ٢٠٠٠. لم نكن حليفتين تشريعيتين متوقعتين؛ فإحدانا جمهورية من تكساس والأخرى ديمقراطية من نيويورك. كانت مواقفنا على طرفي النقيض في قضايا عديدة، لكننا اكتشفنا اشتراكنا في أهداف عدة لمساعدة النساء والأسر، وكوَّنَّا شراكة ناجحة استنادًا إلى هذا الالتزام المشترك؛ فقد تعاونَّا من أجل إحراز تقدم تشريعي كبير في التعليم وفي سياسة ضريبية صديقة للأسرة. وفي عام ٢٠٠١، شرُفت بالانضمام إلى الوزيرة كلينتون بمنظمة أصوات

حيوية باعتباري رئيسة مشاركة شرفية لمجلس إدارتها؛ لأكتسب مفهوم الشراكات على نطاق عالمي.

عندما انتُخبت أول مرة لمجلس الشيوخ في ١٩٩٣، ضم المجلس سبع عضوات. واليوم، يضم المجلس سبع عشرة عضوة، وسيزيد عددنا في السنوات القادمة، كما أنه أصبح لدينا تمثيل ملموس بالحزبين الجمهوري والديمقراطي بالكونجرس. وهذا ليس بسبب اتفاقنا على كل قضية، بل بسبب استعدادنا للتواصل من أجل إيجاد السبل والوسائل التي من شأنها أن تجعل بلدنا أفضل حالًا.

كتبت أليس في هذا الفصل أن «القائدة الحقة تفهم أنه ليس باستطاعتها التغيير وحدها؛ ففي النهاية، تُقاس القيادة بالصلاحية والقدرة على توجيه الآخرين.» ومن هنا ينشأ التضافُر. بالنسبة إلى كثيرات، تتضمن القيادة تغلبًا على عقبات الماضي، لكن الأمر لا يقف بالتأكيد عند هذا الحد؛ فمن واقع خبرتي بمجلس الشيوخ، يبحث المرء عن مواضع يمكن أن يتوصل لاتفاق بشأنها، ويستند إلى القيم المشتركة من أجل خلق شراكة حقيقية ودائمة.

برهنت زميلاتي بالكونجرس مرارًا وتكرارًا أنهن قائدات قويات؛ فعملهن معًا خلق تأثيرًا فعليًّا على المجتمع.

وكما دللت السيدات اللاتي يسلط هذا الفصل الضوء عليهن؛ وهن: إينيز ماكورماك، عائشة حجي علمي، نهى الخطيب، لطيفة جبابدي، أودا كاسينزيجوا، ريتا شايكن، أفنان الزياني. هؤلاء قيادات نسائية من جميع بلدان العالم، والتعاون هو الخيط المشترك والسبب الرئيسي وراء التقدم الكبير الذي تحقق في مجتمعاتهن.

* * *

في ١٠ أغسطس من عام ١٩٧٦، وإبَّان بعضٍ من أحلك أيام «الاضطرابات» في أيرلندا الشمالية، انحرفت فجأة سيارة تابعة للجيش الجمهوري الأيرلندي المؤقت لتعتلي أحد الأرصفة في بلفاست، لتدهس ثلاثة أطفال كانوا يسيرون بصحبة أمهم. وقعت الحادثة عندما أطلقت القوات البريطانية النار على السيارة، موقنين أنهم قد رأوا بندقية مشهرة تجاههم من داخل السيارة. أصيب السائق بطلق ناري وفقد السيطرة على سيارته.

في الأيام التي أعقبت الحادثة، كان ثمة تركيز أكبر على الطرف المسئول عما جرى من التركيز على الخسارة المأساوية لحياة ثلاثة أطفال. طفح كيل بيتي ويليامز — بروتستانتية عاشت بالمنطقة التي وقعت بها المأساة وكانت شاهدة عليها — بما أطلقت عليه «الدوامة المقززة للعنف عديم الجدوى.»[1] وبدأت تجمع توقيعات على التماس من أجل السلام، وتواصلت مع خالة الأطفال القتلى ماريد كوريجان؛ وهي كاثوليكية.

مثَّلت ماريد وبيتي معًا كثيرًا من السيدات اللاتي بلغ إحباطهن مبلغه. وقد صرحت بيتي قائلة: «إننا نؤيد الحياة والإبداع، ونعارض الحرب والدمار، وفي غضبتنا مما حدث خلال ذلك الأسبوع المروع، صرخنا بأن العنف يجب أن يتوقف.»[2] نظمت ماريد وبيتي احتجاجات ومسيرات سلمية سرعان ما أشعلت فتيل حراك ساد أنحاء البلاد، وأثبتت أنه لا يزال من الممكن السمو فوق الخلاف بالتعاون من أجل المصالحة. في العام ذاته، مُنحت ماريد كوريجان وبيتي ويليامز جائزة نوبل للسلام لجهودهما الهادفة إلى وصل ما هو مقطوع في مجتمعهما، وقد قال إيجيل آرفيك؛ نائب رئيس لجنة جائزة نوبل النرويجية في حفل تسليم الجائزة: «لقد أظهرت لنا بيتي ويليامز وماريد كوريجان ما يستطيع الناس العاديون فعله من أجل الترويج للسلام والدعوة إليه. لقد علمتنا كلٌّ منهما أن السلام الذي نناضل من أجله شيء يجب أن يتحقق داخل كل إنسان ومن خلاله.»[3]

بعد انقضاء اثنين وعشرين عامًا، وكثمرة لجهود جيلين من السيدات اللاتي تبحَّرن وتفاوضن في القضايا السياسية المعقدة؛ ليؤسسن جبهة مطالبة بالسلام ومدافعة عنه، استضاف البيت الأبيض قيادات نسائية من أيرلندا وأيرلندا الشمالية انخرطن في محادثات السلام، وأدت هذه المحادثات في النهاية إلى اتفاقية الجمعة المجيدة. كان تاريخ ذلك الاجتماع بالقيادات النسائية هو مارس من عام ١٩٩٨. قبل ذلك بعام كانت السيدة هيلاري كلينتون قد سافرت إلى أيرلندا الشمالية، وكانت قد أصبحت على دراية بالتحديات التي تواجهها النساء هناك. في ذلك الاجتماع الذي انعقد في البيت الأبيض، التقت السيدة الأولى بامرأتين: مختصة بروتستانتية الشئون الاجتماعية وأكاديمية كاثوليكية، وهاتان السيدتان هما: بيرل ساجر ومونيكا ماكويليامز. كانت بيرل ومونيكا قد أتتا من أجل التحدث إلى السيدة هيلاري حول المرحلة المقبلة من تمكين المرأة بوصفها فاعلة في عملية السلام.

في فبراير ١٩٩٦، بعد قرابة ثلاثة عقود من بدء الاضطرابات، أعلنت الحكومتان البريطانية والأيرلندية تدشين محادثات بين جميع الأحزاب لتقرير مستقبل أيرلندا

الشمالية، وكان من المفترض أن تتقرر المشاركة في المحادثات بموجب انتخابات. اقترحت الأحزاب السبعة ممثليها. صُعقت بيرل ومونيكا، إضافة إلى غيرهن من القيادات النسائية المجتمعية في أنحاء البلاد؛ لعدم وجود سيدة واحدة بين ممثلي الأحزاب؛ فعدم إشراك المرأة في المفاوضات كان يعني القبول بتسوية ومستقبل لن يكون للمرأة دور ملموس في تشكيله. لم يكن ذلك مقبولًا؛ فالسيدات هن من كنَّ في معترك الأحداث، وعملن بمنهجية على التئام نسيج المجتمع، وخلقن أساسًا داخل مجتمعاتهن المحلية من أجل دعم عملية السلام. إن المشكلة التي واجهنها في واقع الأمر لم تكن قاصرة على أيرلندا الشمالية وحدها؛ فبين عامي ١٩٩٢ و٢٠١٠ كانت هناك امرأة واحدة فقط ضمن ثلاثة عشر مشاركًا في مفاوضات السلام على مستوى العالم.[4]

قررت بيرل ومونيكا ومجموعة من السيدات يمثلن كل الأعمال والأديان والخلفيات الاجتماعية والاقتصادية والانتماءات السياسية في أيرلندا الشمالية كلها أن يضطلعن بالأمر. في غضون بضعة أشهر، دشَّنَّ حزبًا سياسيًّا جديدًا تحت اسم «ائتلاف نساء أيرلندا الشمالية». تشكل الائتلاف من سيدات من مختلف الأحزاب السياسية والخلفيات الدينية، تجمعهن قضية مشتركة تتمثل في تشكيل مستقبل أكثر سلمًا وازدهارًا لأيرلندا الشمالية، وضمان أن يكون للنساء آراء قوية في تشكيله. أدركت مونيكا وبيرل أن اتحادهن كسيدات ربما يكون الفرصة الوحيدة لسماع صوتهن، لكنهما أدركتا أيضًا أنهن يتمتعن بميزة كبيرة على الأحزاب الأخرى؛ فمعًا مثَّلن نموذجًا واقعيًّا لأيرلندا الشمالية التي أمَلَتا في خلقها؛ أيرلندا شمالية يسودها التسامح والاحترام المتبادلان، تؤدي فيها تسوية الخلافات وتقريب وجهات النظر إلى تطور دائم.

عندما وقَّعت جميع الأحزاب أخيرًا اتفاقية الجمعة المجيدة، في الساعة ٥:١٩ مساءً من يوم ١٠ أبريل عام ١٩٩٨، اتضح لبيرل ومونيكا أن النساء بتأثيرهن على الأسر والمجتمعات سيلعبن دورًا حاسمًا في تنفيذ اتفاق السلام. وحتى مع وجود صوت رسمي على طاولة المفاوضات، تعرضت بيرل ومونيكا للتهميش، بل وللتهكم أثناء ذلك. وقد أتتا إلى البيت الأبيض من أجل أن تلتمسا من السيدة هيلاري مناصرة قضيتهما. بيرل ومونيكا أدركتا الدور المهم الذي يمكن أن تلعبه السيدة كلينتون في لفت الانتباه إلى عمل القيادات النسائية. وبعد اللقاء بوقت قصير، تقرر عقد المؤتمر الثاني لأصوات حيوية في بلفاست، بأيرلندا الشمالية، للمِّ شمل القيادات النسائية من مختلف بقاع المنطقة، وتوحيدهن حول الدور الحاسم الذي سيلعبنه في بناء المستقبل.

وعلى عكس المؤتمر الأول لمنظمة أصوات حيوية الذي ركَّز على أوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتي السابق، كان تمويل حكومة الولايات المتحدة المتاح لدعم مؤتمر يهدف إلى لمِّ شمل السيدات من أيرلندا الشمالية بسيطًا، بل كان أقل فيما يتعلق بمشروعات المتابعة. وسرعان ما اتضح أنه من أجل إحداث تأثير دائم، سنحتاج إلى إشراك القطاع الخاص.

في عام ١٩٩٨، أصبحت منظمة أصوات حيوية أول شراكة بين الحكومة الأمريكية والقطاع الخاص تنتفع منها السيدات على مستوى العالم. سيدات أعمال أمثال جوديث ماكهيل، التي كانت آنذاك تشغل منصب الرئيس التنفيذي لشركة ديسكفري كوميونيكيشنز، وماري دالي يريك؛ مسئولة علاقات عامة ورائدة أعمال، إضافة إلى دونا كوكران ماكلارتي؛ مدافعة عن حقوق المرأة والطفل، وماري-لويز أوتس؛ كاتبة وناشطة، كنَّ من بين أول من تقدَّمن من أجل دعم منظمة أصوات حيوية من خارج الحكومة؛ حيث تعهدن بتقديم موارد من القطاع الخاص، وبتسخير مواهب دون مقابل لتعزيز جهودنا. قدمت الشركات والمؤسسات دعمًا ماديًّا وعينيًّا.

ما تمخض عن ضرورة التمويل سرعان ما تحوَّل إلى نموذج بالغ الفاعلية، ليس بسبب ازدياد الدعم، ولكن بسبب تنامي الوعي بين قادة القطاع المؤسسي والخاص بقيمة قيادة المرأة حول العالم. كان نموذج الشراكة بين القطاعين العام والخاص بالغ الأهمية؛ إذ عُقدت المؤتمرات اللاحقة لمنظمة أصوات حيوية في أمريكا اللاتينية ودول البلطيق وآسيا الوسطى، وجمعت المبادرات العالمية شمل النساء من الشرق الأوسط وأفريقيا وآسيا.

إضافة إلى التعاون مع القطاع الخاص، أشركنا المكاتب الإقليمية بوزارة الخارجية وغيرها من وكالات الحكومة الأمريكية، كما تواصلنا وأقمنا شراكات استراتيجية مع رؤساء الحكومات حول العالم والمؤسسات الدولية؛ مثل: البنك الدولي، ومصرف التنمية للبلدان الأمريكية، والأمم المتحدة. وتعاونت السفارات الأمريكية عبر العالم مع حكومات البلدان المضيفة من أجل التعرف على القيادات النسائية الصاعدة ودَعْمهن كمشاركات. ربما كنا نحتذي دون أن نشعر بالسلوك التواصلي والتعاوني للقائدات اللاتي قابلناهن في أيرلندا الشمالية وفي كثير من أجزاء العالم.

تناول الفصل السابق كيف أن قوة المعرفة المحلية لدى القيادات النسائية وامتداد جذورهن في مجتمعاتهن يمكنانهن من التشجيع على التغيير الإيجابي والمستدام؛ فعندما

تكون قائدة من القيادات النسائية على اتصال وثيق وارتباط عميق بمجتمعها، فإنها تكتسب فهمًا دقيقًا للنظام والمجتمع اللذين تأمل في التأثير عليهما. يكون هذا الفهم أساسًا للخيط أو السلوك الثالث المشترك الذي شهدناه لدى القيادات النسائية الناجحة؛ وهو القدرة على الوصل والتكاتف في مواطن الفصل.

القيادات النسائية حول العالم اللاتي تبنَّين مفهوم القيادة بالمعرفة المحلية يفهمن ديناميكية مختلف أصحاب المصلحة، ويبذلن جهدًا منسقًا من أجل التنبؤ بآثار إجراءاتهن في إطار الظروف المحيطة. صرح جوزيف ناي؛ المساعد السابق لوزير الدفاع الأمريكي والبروفسور بجامعة هارفرد، أن «القادة الجدد يجب أن يتمكنوا من استخدام شبكات العلاقات ومن التعاون ومن تشجيع المشاركة.» كما ألقى الضوء على «كيف أن أسلوب النساء غير الهرمي ومهاراتهن في تكوين العلاقات تسد حاجة قيادية في العالم الجديد الذي يتشكل من منظمات ومجموعات مُعتمَدَة المعلومات، وهي حاجة يكون الرجال أقل استعدادًا، في الغالب، لاستيفائها.»[5]

تُظهر الدراسات أن النساء عادة ما ينظرن إلى كل الخيارات والعلاقات قبل اتخاذ قرار أو الانتهاء من مهمة، في حين أن الرجال يركزون في الأساس على المهمة نفسها.[6] وكثيرًا ما قالت جيرالدين ليبورن؛ الموجِّهة بمنظمة أصوات حيوية وأحد مؤسسي شركة أكسجين ميديا: «نحن معشر النساء لسْنَ متعددات المهام وحسب، بل متعددات الرؤى أيضًا.»

لقد رأينا أن السيدات اللاتي تترسخ جذورهن في مجتمعاتهن المحلية يُقمن علاقات عن قصد؛ فهن يدركن أنهن لا يستطعن إحداث تغيير وتحوُّل بمفردهن؛ فالقيادة تُقاس بقوة وقدرة المرء على إرشاد الآخرين. القيادة علاقة، وجزء من كون المرء قائدًا فعالًا هو التواصل والتكاتف مع أصحاب المصلحة الذين يستطيعون دعم جهوده، ليس فقط من أجل إطلاق التغيير الإيجابي وحسب، وإنما أيضًا العمل على إنجاحه وترسيخه. وأكثر القيادات النسائية فعالية ينشئن علاقات مع أفراد ومنظمات ومؤسسات ستتأثر برؤيتهن للتغيير. والجدير بالذكر أن تلك العلاقات لا تقتصر على الذين يؤيدون مطامح القائد؛ فعلاقات القائد يجب أن تبلغ جميع المتأثرين بالتغيير، سواء هؤلاء الذين يعتبرون أنفسهم مستفيدين من التغيير، أو أولئك الذين يرون أنهم تأثروا سلبًا به.

بناء مثل هذه العلاقات يتطلب أمانة ونزاهة ومرونة وتواضعًا وشفافية، وقدرة من جانب المرء على إعادة تأطير رؤيته واستراتيجيته في سيناريو تكون فيه جميع الأطراف

رابحة، وينال الجميع نصيبًا من نجاحه. والتعاطف عامل مميز ومؤثر في هذا الصدد؛ لأنه يمكِّن القادة من التعرف على آمال ومخاوف الآخرين، والتجاوب معها، والاستجابة لها. وتتمتع النساء عادة بقدرة قوية على التعاطف، وغالبًا ما يتَّسمن بدرجة عالية من الذكاء العاطفي.[7]

صراحةً، إن خبرة السيدات كقطاع مهمش تمنحهن كذلك ميزة فريدة؛ فلدى المرأة رغبة عميقة في أن تُسمع وتُرى وتُفهم، كما أنها تدرك تلك الحاجة لدى الآخرين. وفي كثير جدًّا من بقاع العالم، يناضل المرء من أجل أن يصل صوته. والقائدات اللاتي مررنَ بمثل هذه التجارب عادة ما يكنَّ أكثر وعيًا وقبولًا بجميع أصحاب المصلحة داخل الهياكل التقليدية للسلطة وخارجها.

ومع تشكيل القائدة لشبكة من المعارف، فإنها تشرك الأفراد والمنظمات والمؤسسات في حوار مفتوح، ملتمسة التعقيبات الأمينة والصريحة، ومبدية الاستعداد لمراجعة استراتيجيتها من أجل تعظيم الجدوى والإنصاف لكل المشاركين. علاوة على ذلك، مع بناء القائدة لشبكات دعم أوسع، فإنها تبحث عن طرقٍ لخلق شراكات. إن السيدات اللاتي عملت معهن منظمة أصوات حيوية يكن في العادة أكثر شمولية في أنماط قيادتهن؛ لأنهن يعرفن من واقع تجاربهن الشعورَ الذي يتولد لدى المرء عندما يُستبعد من دائرة صنع القرار، وعندما يُحرَم من حقه في الوصول للسلطة.

كذلك تشير الدراسات إلى أن النساء أكثر ميلًا إلى نمط القيادة «التحويلي».[8] وهذا يعني أن النساء ينظرن إلى مطامحهن ومسئولياتهن المهنية من منظور إقناع الآخرين بتحويل مصلحتهم الذاتية إلى مصلحة المجموعة بالتركيز على هدف. أظهرت الأبحاث أن نمط القيادة التحويلي لدى النساء يحفِّز الأخريات على تجاوز مصالحهن الشخصية، والتركيز على مصلحة المجموعة.[9] ومع إيمان القائدة بمعرفة وخبرة وقدرة المنضمات إلى شبكتها، تخلق نوعًا من التآلف في المجتمع أو المنظمة التي تعمل بها، وبينما تستثمر عضوات الشبكة أوقاتهن وطاقاتهن في علاقتهن بقائدتهن، فإنهن يصبحن مهتمات بنجاحها. تشرح كلوديا لاجو؛ وهي قائدة عملنا معها في البرازيل، هذا النمط من القيادة قائلة: «دائمًا ما تفكر السيدات في المحيطين بهن، وفي كيفية توظيف مهاراتهم وقدراتهم؛ فهن يفكرن تفكيرًا أفقيًّا.»

تعلمنا في منظمة أصوات حيوية أن هذا النوع من التفكير الأفقي ضروري في تحفيز الآخرين لتأييد قضيتك، والسبيل الوحيد لتحقيق تغيير دائم هو العمل على المشاركة

القائمة على التعاون من جانب من تختلف معهم، الذين ينتمون إلى خلفيات مختلفة، ويعتنقون معتقدات مختلفة، ويحملون أجندات مختلفة. لقد شاهدنا القيادات النسائية اللاتي نعمل معهن يكتسبن حلفاء غير متوقعين أضافوا إلى استراتيجياتهن، ولفتوا مزيدًا من الانتباه إلى عملهن. وفي بعض الحالات، لعبوا دورًا محوريًّا في تنفيذ الاستراتيجية. لقد حاولنا إدماج هذا الدرس القيِّم في ممارساتنا ونحن نسعى إلى تحقيق شراكات تتجاوز حدود الجغرافيا والثقافة والمعتقد.

لننظر، على سبيل المثال، إلى قضية الاتجار بالبشر، التي اجتذبت انتباهًا واهتمامًا كبيرين كقضية عالمية في فترة زمنية قصيرة نسبيًّا. بالعودة إلى عام ١٩٩٧، عندما تواصلت السيدات الأوكرانيات مع ميلان، بعدما أعياهن إيجاد حل للاختفاء المتصاعد الوتيرة للشابات في بلدهن، غالبًا لم تكن تعترف الحكومات أو الجماهير بالقضية. لم يعلم أغلب الناس أن استرقاق العصر الحديث موجود حول العالم، حتى في الولايات المتحدة. ورغم أنه لا تزال هناك حاجة لجهود كبيرة لحل هذه القضية، يمتلك الكثير من الدول الآن قوانين مكتوبة بشأن هذه القضية وإن كانت بحاجة إلى تفعيل، وكثيرًا ما تسلط وسائل الإعلام الضوء عليها. هذا التقدم هو النتيجة المباشرة لتحالف شديد التنوع من الأشخاص حول العالم الذين اجتمعوا على لفت الانتباه إلى قضية الاتجار بالبشر وحلها. وفي الولايات المتحدة، تواصل الجمهوريون والديمقراطيون من أجل الاشتراك في صياغة تشريعات بشأن هذه القضية، ويحدث حاليًّا تبادل للمعلومات بين العديد من الوكالات الفيدرالية والمؤسسات الدولية. وقد قال لويس سي دي باكا؛ السفير الأمريكي لمكافحة الاتجار بالبشر: «الشراكة بالغة الأهمية. القوانين موجودة، والحكومات تبدأ في الشراكة مع المجتمع المدني من أجل ضمان تنفيذ القانون، ومسئولو العدالة الجنائية يدركون التعقيدات التي تكتنف قضية الاتجار بالبشر وهم مدربون على التعرُّف على الضحايا وحمايتهم.» إضافة إلى ذلك، يتعاون القطاع الخاص مع بلدان من أنحاء العالم من أجل وضع مواثيق سلوكية وتعقُّب سلسلة الإمداد. والقادة الدينيون يكرِّسون سلطتهم الأخلاقية من أجل خلق ثقافة تستنهض العدالة. وقد قالت أوكسانا هوربونوفا؛ الناشطة الأوكرانية المناهضة للاتجار بالبشر، التي كانت أول من تواصل مع ميلان: «يمتلك المتاجرون بالبشر شبكات عالمية قوية؛ لذا نحن نشيِّد شبكتنا المناهضة لها، متعاونين مع شركاء جدد، وأحيانًا شركاء غير متوقعين.»

بالعمل من كثب مع السيدات من كثير من البلدان والثقافات، ندرك أن ما يجمع بيننا أكثر بكثير مما يفرقنا. تجد النساء أشياء مشتركة، وفرصًا للارتباط بعضهن ببعض

— فيما يتعلق بأطفالهن وحياتهن المهنية وتحدياتهن وآمالهن — حتى عندما يأتين من خلفيات شديدة الاختلاف، أو يمتلكن رؤًى عميقة التباين. وهذا شيء لمسته بنفسي مرارًا وتكرارًا بالعودة إلى رفيقتي في السكن؛ الإيريترية والأثيوبية في هوايرو بالصين.

بحلول عام ٢٠٠٠ كانت منظمة أصوات حيوية قد استضافت خمسة مؤتمرات دولية كبرى، وعشرات من برامج المتابعة التدريبية؛ ليستفيد منها أكثر من ثلاثة آلاف قائدة من الحكومات والمجتمع المدني ومجال الأعمال. وقد زدنا من الموارد المخصصة لدعم النساء في الحكومة الأمريكية، لكن ربما الأهم من ذلك أننا لفتنا المزيد من الانتباه إلى قضايا المرأة؛ فمن كانوا ينكرون دور المرأة في البداية بدءوا يعتبرون قيمة الاستثمار في المرأة أكبر من مجرد سياسة اجتماعية. لقد كانت سياسة خارجية ناجحة بحق.

لكن مبادرة أصوات حيوية من أجل الديمقراطية، التي انطلقت من مكتب صغير بوزارة الخارجية الأمريكية، لم تعد قاصرة على الحكومة الأمريكية؛ فالنساء من أنحاء العالم كنَّ يَعُدن إلى أوطانهن وينشئن فروعًا لمنظمة أصوات حيوية في مجتمعاتهن. أرادت النساء في هاييتي التواصل مع النساء بأمريكا الجنوبية، والنساء الكويتيات أردن التماس المشورة من نساء الأرجنتين. احتاجت القائدات إلى موقع إلكتروني لتبادل الصور والرسائل بعضهن مع بعض، رغم أنه آنذاك لم يكن هناك سوى عدد قليل من الهيئات الحكومية الأمريكية التي تمتلك مواقعها الإلكترونية الخاصة بها.

في فبراير ٢٠٠٠، أقمنا اجتماعًا استراتيجيًّا لا يبعد كثيرًا عن واشنطن لنطرح على خمس وعشرين قائدة؛ من أكثر القائدات فعالية ومشاركة، سؤالًا حول أفضل طريقة لدعم جهودهن الجارية. كانت المرة الأولى التي نجمعهن معًا على مستوى العالم، وكان الجمع مثيرًا للإعجاب؛ فالنساء اللاتي جئن من بلدان مختلفة كروسيا ونيجيريا وكمبوديا تبادلن الرؤى حول الكيفية التي منحهن بها ارتباطهن بمنظمة أصوات حيوية القوة والتأثير، وكم جعلهن هذا الارتباط يشعرن بأنهن جزء من شيء أكبر يتجاوز نضالهن الخاص؛ شيء وصلهن بالنساء حول العالم.

شعرت القائدات اللاتي دُعين إلى الاجتماع أن منظمة أصوات حيوية تمتلك الإمكانات التي تؤهلها كي تصبح حركة عالمية، ولكن لتحقيق ذلك، رأين أنه يجب أن تصبح المنظمة كيانًا مستقلًّا؛ ما يمنحها الحرية لتكوين شراكات مع قطاعات المجتمع كافة، واتفقنا على ذلك؛ فالخبرة التي اكتسبناها في أيرلندا الشمالية وغيرها من البقاع حول العالم أظهرت لنا أننا سنحتاج إلى استقطاب المزيد من دعم القطاع الخاص لتعزيز الدعم المالي

لهذا العمل. وفَّرت شركة ماكينزي آند كومباني؛ وهي شركة رائدة في مجال الاستشارات الإدارية شاركت في مؤتمرات منظمة أصوات حيوية، فريقًا من المستشارين العالميين الذين قدموا خدماتهم بالمجان على مدار العامين اللاحقين للارتقاء بالمنظمة؛ من كونها مبادرة أمريكية إلى منظمة غير حكومية لا تهدف للربح.

وبالرغم من أن أصوات حيوية خرجت في البداية كمبادرة طرحتها إدارة كلينتون في ظل القيادة القوية لهيلاري كلينتون ومادلين أولبرايت، فدائمًا ما جمعت المنظمة شمل النساء من مختلف الأطياف السياسية بالولايات المتحدة، وكذا حول العالم. حضرت ماري دالي يريك؛ وهي رائدة أعمال تنتمي للحزب الجمهوري، أول مؤتمر لمنظمة أصوات حيوية في فيينا بالنمسا، من أجل تدريب وتوجيه رائدات الأعمال الصاعدات، وانخرطت في العمل مع المنظمة منذ ذلك الحين، وعملت جنبًا إلى جنب مع دونا كوكران ماكلارت؛ الديمقراطية والحقوقية البارزة التي شاركت بفعالية في جهود منظمة أصوات حيوية بأمريكا اللاتينية، باعتبارهما نائبتين لمجلسنا من أجل تسجيل أصوات حيوية كمنظمة غير هادفة للربح، وبهدف تأسيس مكاتبنا الجديدة في يوليو من عام ٢٠٠٠.

غادرت ميلان فرفير البيت الأبيض في يناير ٢٠٠١ لبناء منظمة أصوات حيوية باعتبارها منظمة غير حكومية لا تهدف للربح، وتولت منصب رئيس مجلس إدارتها للثماني سنوات اللاحقة، وبعدها منصب الرئيس التنفيذي. ولولا رؤيتها وجهدها والتزامها طوال تلك السنين ما كانت لتصل منظمة أصوات حيوية لما وصلت إليه اليوم. في الوقت نفسه، غادرت تيريزا لور وزارة الخارجية لتصبح أول رئيس للمنظمة. وعندما آن أوان اختيار اسم المنظمة الجديدة غير الهادفة للربح، أردناه أن يحمل قيم التواصل والتعاون، فانتقلنا من اسم «مبادرة أصوات حيوية من أجل الديمقراطية» إلى «الشراكة العالمية للأصوات الحيوية».

ونحن في طور تأسيس المنظمة، كانت السيدة هيلاري كلينتون قد شغلت لتوِّها الدور الجديد بصفتها عضوة بمجلس الشيوخ الأمريكي عن ولاية نيويورك. وكنموذج مثالي يُحتذى به في التواصل والتكاتف، تواصلت السيدة هيلاري مع النواب الجمهوريين، وطلبت من كاي بيلي هتشيسون؛ السيناتور الجمهورية البارزة من تكساس، ونانسي كسباوم؛ السيناتور الجمهورية السابقة، الانضمام إليها باعتبارهما رئيستين شرفيتين لمنظمة أصوات حيوية الجديدة غير الهادفة للربح. أدركت كلٌّ منهما أن المنظمة لن تنجح إلا إذا نحَّينا خلافاتنا السياسية في أمريكا جانبًا؛ وهو مسعًى تعاونيٌّ استمر على

نفس قوته مع احتفال المنظمة بمرور أول عِقد على تأسيسها. ومنذ تأسيسها والمنظمة تمتلك مجلسًا إداريًّا قويًّا من كلا الحزبين الجمهوري والديمقراطي. ومع ذلك، دائمًا ما ننحِّي جانبًا انتماءاتنا الحزبية؛ فهدف التنمية الاقتصادية والحكم الرشيد وحقوق الإنسان شيء بإمكاننا جميعًا العمل من أجل تحقيقه، مهما كانت انتماءاتنا السياسية.

إبان الأيام الأولى لإدارة بوش، عقب هجمات ١١ سبتمبر، كانت السيدة الأولى لورا بوش ومساعدتها أنيتا ماكبرايد، من أوائل من تواصلن مع منظمة أصوات حيوية الوليدة غير الهادفة للربح لبحث الآلية التي يمكننا بها العمل معًا من أجل دعم النساء الأفغانيات، اللاتي كن في طور الخروج من سنين القهر التي عاشوها في ظل حكم طالبان. كان من أوائل مشروعاتنا الالتفاف حول هدف يتمثل في إعادة النساء الأفغانيات، لا سيما الأرامل منهن، إلى العمل لصنع أزياء المدارس، التي ستساعد الفتيات الأفغانيات على العودة إلى المدرسة بكبرياء بعد سنين من الحبس بمنازلهن. ساعدت السيدة لورا بوش، بتعاونها مع النساء من خلال الإدارة الأمريكية، في إبقاء التركيز منصبًّا على قضايا المرأة، لا سيما في أفغانستان.

في عام ٢٠٠٩، سلَّمت ميلان فرفير وماري دالي يريك زمام المسئولية إلى الرئيسة الحالية للمجلس سوزان ديفيز؛ وهي سيدة أعمال ناجحة، وإلى نائبتها بوبي جرين ماكارثي؛ التي تولت منصب النائب المساعد للسيدة الأولى سابقًا هيلاري كلينتون. كانت كلٌّ من سوزان وبوبي عضوةً بمجلس إدارة أصوات حيوية منذ تأسيسها، ويعود إليهما فضل كبير في النمو الاستراتيجي للمنظمة مع اكتساب قضايا المرأة اهتمامًا عالميًّا أكبر.

كذلك سعت منظمة أصوات حيوية إلى تكوين شراكات مع المنظمات التي تتبنى نفس الأفكار، من منطلق إدراكنا أننا لا نستطيع بمفردنا تحقيق التحول المنشود في شئون المرأة؛ فبالتعاون مع جامعة نيويورك، وشركة بوز آند كومباني، ومؤسسة تكنوسيرف الرائدة غير الهادفة للربح، ومؤسسة بول إي سينجر فاميلي، والكثير من الشركات والمنظمات غير الحكومية ورؤساء الحكومات، نظمنا حملة الثلاثة مليارات التابعة لائتلاف لا بيترا. وقطعت الحملة، التي تقودها ساندرا تايلور؛ المسئولة التنفيذية البارزة في سلسلة ستاربكس سابقًا، التزامًا جسورًا بتمكين مليار سيدة حول العالم لمشاركة أكثر فعالية في الاقتصاد العالمي. كما أقمنا شراكة مع جامعة نيويورك لتصميم دورة حول نشاط وأهداف منظمة أصوات حيوية. بالمثل أقمنا شراكة مع جامعة جورج تاون وجامعة أركانساس لتصميم برامج تدريب عملي للقيادات النسائية الناشئة ورائدات

الأعمال الصاعدات. كما تعاونا مع وحدة الاستخبارات الاقتصادية التابعة لمجموعة ذي إيكونومست، وحكومتي نيوزيلندا وأستراليا، وائتلاف لا بيترا، وشركة إكسون موبيل؛ لوضع مؤشر فرص المرأة الاقتصادية، الذي يضع ترتيبًا للبلدان حول العالم، مقيِّمًا مدى تقدمهم في استغلال إمكانات المرأة بوصفها محركة للنمو الاقتصادي.

لقد رأينا قوة التكاتف وهو يتكرر خلال شبكتنا المكوَّنة من قيادات نسائية صاعدة. وحديثًا، بالتعاون مع رائدات الأعمال الصاعدات ومعاونتهن على تقريب رؤيتهن المتعلقة بالنمو المستدام من الواقع، بدأنا ملاحظة أن التغير الاقتصادي المستدام نادرًا ما يحدث بمعزل عن الواقع. في عام ٢٠١١، انضمت «شبكة سيدات أعمال الكاميرون»، المنظمة الشريكة لأصوات حيوية، إلى الغرفة التجارية الكاميرونية لخلق فرصٍ تحتاج السوق بشدة إليها من أجل النساء اللاتي يزرعن المنيهوت (الكاسافا)، وهو جزء من قطاع منتجات الجذور والدرنات الذي يشكل قرابة نصف إجمالي إنتاج المحاصيل في الكاميرون. ومن خلال هذه المبادرة المتعددة القطاعات البالغة قيمتها ٢ مليون دولار، وافقت الغرفة التجارية على شراء المنيهوت غير المعالج من المزارعات المنتسبات إلى شبكة سيدات أعمال الكاميرون لتوريده لمصنع معالجة المنيهوت الحكومي في دوالا. وبالعمل معًا، انضم أكثر من ١٥٠ مُزارِعة للمبادرة؛ ما خلق وظائف لأكثر من ثلاثة آلاف عامل مؤقت، وأكثر من أربعة ملايين دولار كعائد إضافي للمَزارع التي تتولاها سيدات. وعلى نحو أعمَّ، مع تحويل ٥ بالمائة من العائدات إلى شبكة سيدات أعمال الكاميرون، تحصَّل الاتحاد على دخل متدفق من أجل صندوق الكفالة ونادي الاستثمار التابعين لها؛ ما خلق فرصًا لسيدات أعمال محليات أخريات من أجل بلوغ رأس المال التوسعي وتنمية مشاريعهن، وخلق وظائف أكثر، وإجمالي دخل أسري أعلى للأسر المحلية.

أدت عشرات الشراكات التي ترعاها منظمة أصوات حيوية بين القطاعين العام والخاص إلى برامج جمعت الأفضل لدى الحكومات والمجتمع المدني والشركات على حد سواء. تذكِّرنا آشلي مادوكس؛ رائدة الأعمال التي ساعدت بالوساطة في الشراكة المعقودة بين أصوات حيوية وشركة ماكينزي وشركاه؛ إذ تقول: «إن الضيف غير المتوقع على مائدة الغداء يفتح أكثر الحوارات إثارة للاهتمام.» والمقصود بالعبارة أنه كلما زاد تنوع واستثنائية الشركاء المنضمين، زادت درجة الابتكار والتجديد في المنتج.

إينيز ماكورماك

أيرلندا الشمالية

عندما تتمكن من التوفيق بين طريقة فهمك لحقوق الإنسان مع طريقة فهم مَن تختلف معهم لها، يحق لك حينها أن تصف نفسك بأنك ناشط حقوقي ... عليك أن تثق بشجاعتك، وتثق بإنسانيتك، وتثق بقدرتك على أن تكون أفضل مما أنت عليه.

بعد مرور بضعة أسابيع على لقاء السيدة كلينتون بمونيكا ماكويليامز وبيرل ساجر في ربيع عام ١٩٩٨، سافرتُ أنا وتيريزا لور إلى أيرلندا الشمالية؛ حيث قضينا أغلب العام اللاحق نتحدث إلى السيدات في أنحاء البلاد تمهيدًا لمؤتمر أصوات حيوية في بلفاست.

إحدى أفضل النساء اللاتي قابلناهن أثناء ذلك كانت إينيز ماكورماك. يذهب البعض إلى أنها إحدى أكثر القيادات النسائية تأثيرًا في مجال حقوق الإنسان بأيرلندا الشمالية؛ فقد لعبت دورًا بالغ الأهمية في تشكيل نصوص المساواة الكاملة وحقوق الإنسان الواردة في اتفاقية الجمعة المجيدة عام ١٩٩٨، التي أسدلت الستار على عقود من العنف الطائفي. كانت أول امرأة تتولى منصب رئيس الاتحاد الأيرلندي للنقابات العمالية، وقد دعت منذ

ذاك الحين إلى تفعيل تلك الحقوق بوصفها السبيل لفهم كيفية حل الصراع استنادًا إلى ممارسة العدالة. ويسهم عملها في زيادة الوعي بأن القدرة على المشاركة جزء لا يتجزأ من تعميق الممارسة الديمقراطية، والربط بين النمو الاقتصادي والتطور الاجتماعي مجددًا على المستويين العالمي والمحلي.

صارت إينيز ناشطة ضمن حركة الحقوق المدنية في أيرلندا الشمالية في نهاية ستينيات القرن العشرين، ثم أصبحت ناشطة في قضايا النقابات العمالية والمساواة، ودشنت حملات من أجل تنظيم وإعادة تقييم العمال «المهمَلين» الذين تُمثل النساء أغلبهن. ولاضطلاعها بالعمل الاجتماعي في مطلع سبعينيات القرن العشرين، دعمت النساء في المجتمعات المحرومة؛ حيث صادفت نساء قويات لديهن أطفال ولا يملكن مالًا، ويخشين حربًا أهلية دموية تستعر على مقربة منهن. لم يجلس التياران السياسيان الرئيسيان — القومي والوحدوي — في غرفة واحدة معًا، ولم يتواصلوا إلا بالصراخ والوعيد والعنف. بين عامي ١٩٦٩ و١٩٩٨، أودى الصراع المعروف باسم «الاضطرابات» بحياة ٣٦٠٠ شخص.[10]

بدأت النساء العمل في مطلع سبعينيات القرن العشرين في بناء بنية تحتية مجتمعية لدعم السلام. كانت القاعدة الوحيدة أنه سيتم دمج أية مجموعات من أي خلفية، وأنه يتعين معاملتها باحترام بغض النظر عن آرائها. وقبل بدء محادثات السلام الرسمية التي أفضت إلى اتفاقية الجمعة المجيدة بسنوات، كانت النساء يعملن داخل المجتمع من أجل تنظيم حوارات حول المساواة وحقوق الإنسان. لم يتعين على أي منهن نبذ هويتها أو انتماءاتها من أجل المشاركة. والسلوك الذي كن يسلكنه بغرفة الاجتماع أملته القواعد الأخلاقية واستماع كلٍّ منهن للأخرى، ما أرسى الأساس للتعاون من أجل قضية مشتركة. ورغم قوتهن الفطرية، كان هؤلاء النسوة يفتقرن إلى الفاعلية والمقدرة على إحداث التغيير. كان يُعبَّر عن المساواة في أيرلندا الشمالية في ستينيات القرن العشرين بأنها الحاجة إلى «صوت لكل مواطن».

اضطلعت مجموعة صغيرة من القائدات المجتمعيات، بينهن إينيز ماكورماك، بمبادرة عامة تحت اسم «النساء تُرى وتُسمَع»؛ لنقل قصص حياة النساء بحيث يمكن تحويل احتياجاتهن إلى حقوق. كانت مبادرة استثنائية ومتنوعة، جمعت النساء من مختلف التيارات. وفي كل منطقة، سأل المنظمون سؤالًا: «من الذي لا يزال محجوبًا؟ من الذي ليس بالقاعة؟» وأوكلن إلى أنفسهن مهمة الإجابة عن السؤالين. وخلال قيامهن

بذلك، واجهن مشكلة الانقسام الطائفي، وأحدثن تغييرًا بشأنها شيئًا فشيئًا. لقد حشدن النساء حول القضايا التي تؤثر على الجميع، مهما كان دين أو عرق المجتمع؛ قضايا على شاكلة رعاية الأطفال والتعليم والرعاية الصحية والعنف. لقيت قيمة المبادرة تأييدًا قويًّا من المفوضة الأوروبية مونيكا وولف ماثيس، والسيدة الأولى هيلاري كلينتون، والسفيرة جين كينيدي سميث، ومو ماولام؛ وزيرة خارجية أيرلندا الشمالية.

هذا الدعم رفيع المستوى منحهن المصداقية عندما أسسن، بالتعاون مع المنظمات الحقوقية المحلية غير الحكومية، ائتلاف المساواة للمِّ شمل مختلف جماعات المجتمع المدني، ومنها الجماعات التي تعرضت للتمييز على أساس الدين، أو السياسة، أو النوع، أو الخلفية العرقية، أو المكانة الاجتماعية والاقتصادية، أو الإعاقة. وفي نضالهن من أجل إيجاد هدف يجمعهن، أرسين فهمًا مشتركًا لما يسبب الألم لدى «الآخر». أدركن أنه من المهم جدًّا ربط المساواة بالارتقاء بالفرص الاقتصادية؛ فقد عانى اقتصاد أيرلندا الشمالية أشد المعاناة إبان «الاضطرابات». وأردن إظهار أن العنف والإقصاء قلَّصا من فرص بناء مستقبل مزدهر.

رغم كل الجهود التي بذلتها النساء داخل المجتمع من أجل حشد مزيد من الدعم لعملية السلام، فإن الفترة السابقة على مفاوضات اتفاقية الجمعة المجيدة أقصت الصوت النسائي. كان التركيز الرئيسي للمحادثات على الإطار الدستوري الجديد، ووقف إطلاق النار، ونزع السلاح. تواصل ائتلاف المساواة مع النساء وغيرهن من المجموعات المُقصاة في أيرلندا الشمالية، ساعيًا إلى دمج لغة المساواة وحقوق الإنسان لجميع الناس في اتفاقية الجمعة المجيدة. وأقنعن الآخرين بصياغة الاتفاق على نحو يكفل الاحترام والحوار، وعندما بدأت عملية السلام ضربن مثالًا على الكيفية التي يمكن بها لمجموعات شتى أن تتعاون فيما بينها.

تعاون ائتلاف المساواة الذي أسسته إينيز، والمعني بالمجتمع المدني مع الأحزاب السياسية، ومنها ائتلاف نساء أيرلندا الشمالية الذي تقوده بيرل ومونيكا؛ لاستحداث عرف وقواعد جديدة لحقوق الإنسان تقتضي مشاركة المجموعة المتأثرة في كل مرحلة من صنع القرار بوصفه تعريفًا عمليًّا للنهوض بالمساواة. وشرحت إينيز المسعى قائلة: «غالبًا ما تُعنى محادثات السلام بإرضاء مختلف الأحزاب السياسية والتعامل مع أجنداتهم، ولا تُعنى بتناول القضايا التي تخلق الإقصاء. يتعين تهيئة مناخ ينحي فيه الناس الأجندة الحزبية جانبًا ويتكاتفون كأشخاص مؤمنين أن لهم دورًا اقتصاديًّا ودورًا اجتماعيًّا

في المجتمع.» عقد ائتلاف المساواة تسعة وثلاثين اجتماعًا منفصلًا مع كبار المسئولين وصانعي القرار من أجل ترجمة اللغة البسيطة التي نالوها في اتفاقية الجمعة المجيدة إلى قوانين وآليات لقياس التأثير.

تؤمن إينيز أنه بعد مرور مائة عام من اليوم، عندما يُكتَب تاريخ أيرلندا الشمالية، سيُنسب إلى النساء أنهن لعبن دورًا كبيرًا، ليس في وقف العنف وحسب، وإنما في تشكيل الممارسات المستدامة لتحقيق السلام. وتقول إينيز: «لقد حققت انتصارات عديدة، ومن السهل أن أنسب النصر لنفسي. لكن السؤال هنا: هل تُرجم هذا النصر إلى تغيير لمن هم في أمسِّ الحاجة إليه؟ وهذا بدوره يقودنا إلى سؤال آخر: من يجلس إلى مائدة المفاوضات؟ هذه هي قوتي الدافعة. إنها لا تتعلق بكون المرء منصفًا أو قويمًا من الناحية الأخلاقية، وإنما تؤكد على أن هذا هو الاقتصاد الذكي، وتلك هي الديمقراطية الذكية لعالم الغد. ينبغي أن تكون هناك عملية نشطة؛ عملية ديمقراطية تخلق فرصة لمن تعرضوا لأقصى درجات الإقصاء.»

عائشة حجي علمي

الصومال

> لقد عَبَرت نساء الصومال جسرًا ولا سبيل إلى العودة. نحن شركاء كاملون فيما يجري ... للمرة الأولى في تاريخ الصومال تحصل النساء على حصتهن ... وأنا أسمِّي هذا ثورة شاملة.

لطالما كانت الصومال واحدة من أشد البلدان فقرًا وخطورة في العالم. بعد أن قبعت البلاد لعقود تحت حكم ديكتاتور عسكري؛ وهو الجنرال محمد سياد بري، انهارت الحكومة عندما أُطيح بسياد بري في عام ١٩٩١، وتبعت ذلك حرب أهلية، واعتبارًا من يناير ٢٠١٢، ما فتئ المجتمع الصومالي يتعرض للخراب بسبب الحرب القاصمة بين العشائر؛ وبسبب المجاعة والمرض فقد عشرات الآلاف من الصوماليين حياتهم جرَّاء الجوع، وأكثر منهم بكثير جرَّاء العنف. وفي هذا السياق، أخذ موقف السيدات والفتيات يزداد ضعفًا، إلا أنه مع قوة وإصرار عائشة حجي علمي، قطعت النساء خطوات عظيمة في سبيل التمكين والتمثيل السياسي.

البُنى القبلية في الصومال جانب مهم من السياسة والحياة اليومية. إنه مجتمع أبوي، فيه يتلقى الفرد هويته الثقافية حسب تراث أبيه. وغالبًا ما يُستخدم الزواج لبناء تحالف بين العشائر. وهذا ما حدث مع عائشة حجي علمي. وُلدت عائشة عام ١٩٦٢ في محافظة جلجدود بالصومال، وتزوجت من رجل من خارج عشيرة والدها. ومثل كثيرات من الصوماليات، لم تعد عائشة مقبولة قبولًا تامًّا لدى العشيرة التي وُلدت فيها ولا لدى عشيرة زوجها. القطيعة بين تراثها وزواجها أكسبتها ولاءً مزدوجًا، وعندما اندلع القتال وجدت نفسها في موقف مهلك.

رأت عائشة أن النساء عادة يكنَّ أول ضحايا الصراع؛ إذ يُغتصبن ويُعذبن ويترملن ويُقصَين نتيجة انقسامات العشائر، كما أنهن يشاهِدن دون حولٍ منهن ولا قوةٍ آباءهن وإخوانهن وهم يقاتلون أزواجَهن وأبناءَهن، فتقول عائشة: «شعرت أني لا أنتمي بالكامل إلى أي عشيرة؛ لأنه لم يثق فيَّ أيُّ شخص ثقة كاملة. جعلتني هذه اللحظة المؤلمة أدرك أن الحرب لا تحمل في جعبتها شيئًا للنساء سوى الموت والدمار والخراب. ومن هنا أتى دافعي للمخاطرة والعمل من أجل السلام. ولأن كثيرات من النساء مررن بفقدان الهوية بين عالمين مختلفين متناحرين، اكتشفت أنه يتعين عليَّ أن أخلق مكانًا جديدًا ومختلفًا يمكن فيه لهؤلاء «المستبعَدات» الانتماء إليه.» تنبهت عائشة إلى أن النساء يمكن أن يكُنَّ حلًّا للجمود الثقافي العميق الذي يزيد زخم الحرب بين العشائر. ولأن كثيرًا من النساء

لم يكنَّ ينتسبن لأي عشيرة، اعتقدت عائشة أن هؤلاء النساء يمكن أن يكُنَّ الجسر الذي يصل بين الغرماء.

وهكذا في عام ١٩٩٢، في محاولة لتحقيق رؤيتها لإقامة صومال موحدة وديمقراطية يعمها السلام وتُعلي من القيم الإنسانية، بدأت في تنظيم وتأسيس منظمة إنقاذ النساء والأطفال الصوماليين؛ وهي منظمة لا تهدف للربح، مقرُّها مقديشيو ولها حضور في كل أنحاء البلاد. ولعزمها على إشراك النساء في مفاوضات حفظ السلام، دعت عائشة مع منظمة إنقاذ النساء والأطفال الصوماليين إلى الاعتراف الرسمي بهويات وحقوق كل سيدة من سيدات الصومال، وهي فكرة ثورية في الصومال. ولما رأت عائشة وزميلاتها الناشطات أن العشائر الوطنية الخمس تمتعت بشرعية لم تتمتع بها النساء مجتمعات، شكَّلن «العشيرة السادسة»، من أجل النساء الصوماليات وحدهن. نتج عن هذا المسعى عاصفة نارية من النقد والتهديدات بالقتل، لكن عائشة تمسكت بالفكرة وقول: «لولا تلك الهوية … لما أُتيحت فرصة للصوماليات أن يكنَّ جزءًا لا يتجزأ من العملية السياسية الصومالية. انتبهت إلى تلك الهوية وإلى تلك الاستراتيجية، وأخذت في التفكير في طرق مبتكرة من أجل خلق وتشكيل هويتنا كنساء.»

لم يكن الطريق معبَّدًا، لكن عائشة آمنت بمهمتها إيمانًا راسخًا لدرجة أنها كانت على استعداد للمخاطرة بحياتها في سبيل مستقبل بلدها، تقول عن ذلك: «أُدرك أنني سأُقتل يومًا ما، لكن من الأفضل أن أموت وقد صنعت تغييرًا. إنني أقوم بما أقوم به من أجل بناتي، من أجل صومال جديدة.» وقد تكللت جهودها بالنجاح؛ إذ تم الاعتراف بالعشيرة السادسة عام ٢٠٠٠، وأصبحت عائشة أول امرأة تنال مقعدًا في مفاوضات حفظ السلام إبان محادثات آرتا للسلام في العام ذاته. وفي ٢٩ أغسطس من عام ٢٠٠٤، اختيرت عائشة حجي علمي لتصبح عضوة في البرلمان الفيدرالي الانتقالي الذي يمثل الهيئة التشريعية الصومالية، التي تنتخب الرئيس ورئيس الوزراء، ولها سلطة اقتراح القوانين والموافقة عليها. وعلى صعيد جهودها من أجل بناء السلام وإعلاء صوت المرأة إلى الصدارة، فازت عائشة بجائزة رايت لايفيلهود (جائزة نوبل البديلة)، وأصبحت واحدة ممن تلقوا جائزة المواطن العالمي التي تمنحها مؤسسة كلينتون، وذلك في عام ٢٠٠٩.

رغم أن أمَّتها لا تزال في فقر مدقع واضطراب لا يهمد، شهدت عائشة تقدمًا؛ فاعتبارًا من عام ٢٠١١ أصبحت عائشة واحدة من ضمن خمس وعشرين سيدة بالبرلمان الوطني، ومن خلال عملها مشرِّعة ورئيسة لمنظمة إنقاذ النساء والأطفال الصوماليين،

تسهم في إحداث تحول في المفاهيم الاجتماعية والسياسية التي طالما حكمت وطنها، كما أنها تشجع على المشاركة السياسية والتنمية الاقتصادية وتعليم للمرأة. لا يزال الوضع الصومالي مروِّعًا، لكن لا تزال عائشة يحدوها الأمل، ولا يزال اهتمامها بالعمل متقدًا؛ تقول: «إن الحل الصومالي بالغ الوضوح؛ فنحن في حاجة إلى حل سياسي شامل، والوسيلة المناسبة لهذا هي المصالحة؛ مصالحة حقيقية، جادة، شاملة، والحوار وبناء الثقة بين العشائر ... نحن في حاجة إلى كل هذه الحلول الإيجابية والعملية.» ومن خلال عملها، تُظهر عائشة كل يوم أن النساء عملة نفيسة في عملية بناء السلام.

نهى الخطيب

إسرائيل

> أعتقد أن المعجزة حدثت عندما رأيت حجرة الدراسة حافلة بالتلاميذ العرب واليهود، والوضع بينهم طبيعي، وبإمكانهم الجلوس على البساط نفسه واللعب معًا. لم يكن عليَّ سوى أن أقدِّم لهم الدعم والحب حتى يفهم ويدرك كل طرف الطرف الآخر.

إن الصراع بين الإسرائيليين والفلسطينيين من أكثر مشكلات العالم تسببًا في الاستقطاب وعصيانًا على الحل. ورغم الجهود المكرَّسة من الزعماء المؤثرين على مدار نصف القرن

المنصرم، لم يتحقق تقدم ملموس نحو السلام. نشأت أجيال من الفلسطينيين تحت وطأة الاحتلال، ونشأ إسرائيليون في خوف من الإرهابيين والهجمات الصاروخية.

حتى في الوقت الذي تصدرت فيه التوترات بين الإسرائيليين المقيمين في إسرائيل والفلسطينيين المقيمين في غزة والضفة الغربية عناوين الصحف، يعيش مليون ونصف المليون عربي داخل حدود إسرائيل، كمواطنين إسرائيليين.[11] ورغم مشاركتهم الأرض نفسها، تفصل بين هؤلاء الإسرائيليين العرب والإسرائيليين اليهود خطوط غير مرئية تحدِث انقسامًا في المدارس والمجتمعات. ومع ضعف التواصل الحقيقي ومرور سنوات من الاستياء المتنامي، من الشائع أن تجد كلًّا منهما ينظر إلى الآخر باعتباره عدوًّا له.

في عام ١٩٩٨، تناهى إلى مسامع نهى الخطيب؛ وهي إسرائيلية من أصل عربي، أن ثمة مقابلات تُجرى مع المعلمين من أجل إنشاء مدرسة ابتدائية متكاملة جديدة أُطلق عليها «يدًا بيد». وهو مسعًى ثوري نال قدرًا بسيطًا من الدعم بين الإسرائيليين التقدميين. كان النموذج قائمًا على أساس المدارس المتكاملة التي نجحت في توحيد المجتمعات في بلدان أخرى مثل أيرلندا الشمالية، وانتاب نهى شعور عارم بأنها لا بد وأن تشارك في هذا المسعى.

تقول نُهى: «نشأت كعربية فلسطينية في مدينة يهودية. نشأت وأنا أعرف اليهود وأتحدث لغتهم وأقول لهم إنني فلسطينية، وإنني طبيعية مثل سائر البشر. طوال حياتي ظللت أقول للناس إنني أتمتع بالشرعية. وعندما سمعت عن هذه المدرسة المتكاملة، أدركت أنني أعرف ما ينتابهم من مشاعر، وفكرت أن بوسعي تقديم المساعدة.»

طلبت نهى فرصة لمقابلة شخصية، وعُرضت عليها في نهايتها وظيفة، إلا أنه عشية أول يوم لها كمعلمة، بدأت نُهى تتكهن بما سيحدث. هل ينبغي لها التحدث بالعبرية أم بالعربية؟ ماذا لو نشب خلاف؟ هل ستتحول التجربة إلى كارثة على الفور؟ عندما دلفت إلى حجرة الدراسة في اليوم الأول تبددت هواجسها؛ فقد شاهدت الأطفال العرب واليهود يتفاعلون كمجرد أطفال غير متأثرين بقرون من الصراع بين أسلافهم.

كان المنهج الذي أقرته الحكومة للمدارس الإسرائيلية لا يتناول سوى تاريخ إسرائيل، لكن نُهى أدمجت التاريخ الفلسطيني في المنهج بحيث يستطيع كلٌّ من العرب واليهود فهم خلفية الآخر، وكذا أدخلت التعليم ثنائي اللغة بحيث يتعلم كلٌّ من اليهود والعرب تحدُّث لغة الآخر بطلاقة. كانت موقنة أن مدرسة «يدًا بيد» ستبني جسورًا من التعاون والتفاهم بين الأطفال العرب والإسرائيليين، وأن مستقبل الجميع سيكون باهرًا، فتقول:

«سيشعر اليهود بحرية دخول القُرى العربية والسير هناك بدون قيد والتحدث بالعبرية. كما ينبغي أن أشعر أنا أيضًا بالأمان عندما أتحدث العربية في كل مكان.»

التقينا بنهى أول ما التقينا بها في عام ٢٠٠٧، عندما جمعت منظمة أصوات حيوية شمل الإسرائيليات العرب واليهود معًا في ديري، بشمال أيرلندا؛ ليتعلمن من سيدات شمال أيرلندا كيف يتسنَّى لبلد أن يتغلب على الخلافات العميقة ليصبح مجتمعًا موحَّدًا. وعلى مدار العقد الذي أعقب توقيع اتفاقية الجمعة المجيدة للسلام، كانت نساء أيرلندا الشمالية جزءًا أساسيًّا في عملية نشر السلام في المجتمع.

وجدت نُهى نفسها تسأل السيدات من أيرلندا الشمالية أسئلة أساسية حول الصراع البروتستانتي الكاثوليكي: «ماذا كان سبب تقاتلكم؟» اعترفت لي فيما بعدُ قائلة: «قلت لنفسي: «ما هذا الذي أقول؟ لقد سمعت هذا السؤال مرات كثيرة جدًّا.» إنه لشعور عجيب أن تفكر في صراعات الآخرين، لأنك تعلم حينها الكثير جدًّا عن نفسك. نظرتُ إلى المناظر الجميلة وقلت: «ألا يمكنهم السمو فوق ذلك؟ ألا يمكنهم تجاوز ذلك؟» لكننا نحظى أيضًا ببلد بديع، ونتمتع بمنظر خلاب، ولا يمكننا السمو فوق الخلاف. لا يمكنني تجاوز الخلاف؛ ولذلك أحمل هذه الأفكار معي.»

بعد ست سنوات من افتتاح مدرسة «يدًا بيد» عام ١٩٩٨، شاركت نُهى في إدارة واحدة من مدارس «يدًا بيد» الأربع في إسرائيل. في عام ٢٠٠٩، تقلدت منصب مديرة التعليم المدني والتعليم المتعدد الثقافات بوزارة التعليم الإسرائيلية. تساعد نُهى كلًّا من المدارس العربية واليهودية على وضع المناهج التي تتضمن القيم التي غرستها في مدرسة «يدًا بيد»، والتي تتمثل في روح الجماعة والتفاهم والتعاون والتشارك في وطن واحد.

ترى نُهى أن طلابها هم مستقبل إسرائيل، وتعترف قائلة: «دائمًا ما يقولون إنهم لا يريدون منا أن نُثقل كاهلهم بالمسئولية. لكن تحدوني تطلعات عظيمة إلى أن بعضهم سيكونون قادة في مجتمعنا، وأنهم سيقودوننا إلى سبيل مختلف، إلى شيء جديد، بحيث يستطيع كلٌّ منا قبول الآخر على ذات الأرض.»

يثبت عمل نُهى أن إحراز التقدم ممكن حتى في واحدة من أكثر بقاع العالم إقصاءً. لقد رأبت الصدع بين العرب واليهود بتقديم رؤية جديدة عن الآخر إلى الجيل القادم. ربما لا ينبغي لهم أن يكونوا أعداءً. ورغم أن هؤلاء الأطفال عاشوا منقسمين في وقت من الأوقات، هم اليوم يرتادون المدرسة معًا، ويتحدثون اللغة نفسها، ويحاول كلٌّ منهم النظر إلى الآخر ليس كعربي أو يهودي، وإنما باعتباره أخًا له في الإنسانية.

لطيفة جبابدي

المغرب

لأكثر من خمسة وثلاثين عامًا، أخذت أنا ورفيقاتي في المغرب نغرس بذور الديمقراطية والعدالة والسلام. والآن، بدأت تلك البذور تُنبت ثمار التمكين الكامل للمرأة.

منذ ثمانينيات القرن العشرين، عملت المؤسسة التي أسستها لطيفة جبابدي، والتي تُعرف باسم اتحاد العمل النسائي، على الارتقاء بحقوق المرأة في المغرب. ومنهجها في إصلاح «المدونة»؛ وهي قانون الأسرة الذي أقصى المرأة المغربية لتصبح مواطنة من الدرجة الثانية، كان علمانيًّا دائمًا، حتى جاء اليوم عندما تعرَّض لها ولزميلاتها أصولي ديني واصفًا إياهن بالكافرات. تقول لطيفة: «أتذكر أنني كنت أتساءل: هل الإسلام حقًّا ضد حقوق المرأة والفتاة؟»

بدأت لطيفة وزميلاتها دراسة القرآن، وأخذن يقرأن النص من منظور امرأة. بعد اكتشاف لطيفة للكثير من الآيات القرآنية التي تؤكد على المساواة وحقوق الإنسان، أدركت أن الشريعة الإسلامية تقوم على مجموعة من المبادئ التوجيهية، وليست أحكامًا جامدة غير قابلة للتغيير. أقامت لطيفة وزميلاتها حججهن المؤيدة لحقوق المرأة على أساس

جوهر الإسلام، وتعمقن في دراسة القرآن، الذي اكتشفن أنه يمكن أن يكون قوة مؤثرة من أجل تمكين المرأة.

في عام ١٩٩٢، دشنت منظمة الدكتورة لطيفة حملة لجمع مليون توقيع من أجل إصلاح المدونة. أردن أن يُظهرن للناس أن المدونة ليست مقدسة، بل هي قانون مدني ينبغي أن يُطرح للنقاش. كان هدفهن زيادة الوعي بشأن المساواة بين الجنسين، والارتقاء بحقوق المرأة، ووقف العنف ضد المرأة.

في العام ذاته، أصدر الزعماء الأصوليون الدينيون فتوى، أو حكمًا دينيًّا، ضد لطيفة وغيرها من المشاركات بالحملة. وعليه، نظمت لطيفة حملة مناهضة في المساجد بالمدن النائية بالمغرب؛ مما أثار ردود فعل عنيفة ضد جميع من شاركن في الحملة. كانت هذه المعارضة العنيفة بمثابة صدمة للمغرب، الذي طالما اعتُبر واحدًا من أكثر البلدان اعتدالًا في العالم العربي. ولم تكن لطيفة، التي قاست السجن والتعذيب كمنشقة يسارية في سبعينيات القرن العشرين، لتستسلم.

تستدعي لطيفة اللحظات التي منحتها القوة والشجاعة والمثابرة قائلة: «أتذكَّر أنه ذات يوم حضرت سيدة فقيرة أمية لا تفقه شيئًا عن المدونة أحد اجتماعاتنا. بعد تحدُّثها إلينا، اقتنعت أن إصلاح المدونة قضيتها هي الأخرى، وسرعان ما أصبحت إحدى أقوى المدافعات عن قضيتنا؛ تطرق الأبواب وتبلِّغ الدعوة.»

طوال نشاط لطيفة الحقوقي اعتمدت على نصوص إسلامية من القرآن، إضافة إلى مبادئ حقوق الإنسان الجامعة. وفي النهاية، نالت سنوات النشاط الحقوقي من جانب الحركة النسائية والمجتمع المدني بالمغرب انتباه صاحب الجلالة الملك محمد السادس.

في فبراير ٢٠٠٤، تبنَّى الملك إصلاحات تاريخية على المدونة، تدعم المرأة والطفل، وتؤكد على المساواة والعدالة وحرية الاختيار فيما يخص الزواج والطلاق والتعليم والوصاية والمسئولية. كفل القانون الجديد حقوقًا وواجبات متساوية للرجال والنساء في رباط الزواج، وخاطبهما باعتبارهما شركاء. كان هذا القانون يمثل تغيرًا هيكليًّا ومؤسسيًّا لم يقتصر تأثيره على المجتمع المغربي وحسب، وإنما في طريقه للتأثير على العالم الإسلامي.

لقد جعل المغرب الديمقراطية والحداثة خيارًا استراتيجيًّا لا رجعة فيه؛ فعن طريق تعديل قانون الأسرة، بفضل جهود لطيفة، أخذ بلدها يخطو خطوات حثيثة نحو ثورة سلمية من أجل النساء. في عام ٢٠٠٧، ترشحت لطيفة للبرلمان ونالت مقعدًا به. وبصفتها

قائدة منتخبة، عملت داخل الحكومة على تفعيل القانون، وتعاونت مع الناس من أجل نشر الوعي ليصل إلى أبعد بقاع المغرب. إنها تسعى إلى تعليم الأميين من الرجال والنساء، الذين لا يُتاح لهم سوى قدر ضئيل من المعلومات الموضوعية حول إصلاحات المدونة، ولا يملكون من المقدرة ما يمكِّنهم من الحصول على مساعدة قانونية. تريد لطيفة من شعب المغرب أن يعرف أن: «القانون ليس نصرًا للمرأة وحدها، وإنما للأسرة والمجتمع والأجيال القادمة، وأن الاستثمار في تمكين المرأة هو بمنزلة استثمار في مستقبل المغرب.»

أودا كاسينزيجوا

رواندا

> في رواندا اليوم، لا توجد نساء من الهوتو أو نساء من التوتسي، بل نساء وحسب. الأمر المهم هو وحدة نساء رواندا من أجل تحقيق الاستقرار والازدهار لعائلاتنا.

في الوقت الذي عُقد فيه مؤتمر الأمم المتحدة المعني بالمرأة عام ١٩٩٥ في بكين، كان بلد أودا كاسينزيجوا يشرع في الخروج من أهوال الإبادة الجماعية. في غضون مائة يوم، قُتل أكثر من مليون شخص في الإبادة الجماعية برواندا؛ ما جعل النساء الغالبية العظمى من السكان. يتحملن مسئولية إعادة بناء الأمة، واستئناف الإنتاج الزراعي، وإعادة بناء منازلهن، ودفن موتاهن، وإطعام أطفال بلدهن الذين يُتِّمَ كثيرٌ منهم.

في أعقاب المأساة، أدركت نساء رواندا، سواء من الهوتو أو التوتسي، أن ثمة الكثير من الأشياء التي تجمع بينهن، فكن يحاولن إعالة أسرهن على ما ندر من ماء وغذاء. عانت السيدات من مشكلات صحية وصدمات وعبء عدوى فيروس نقص المناعة البشرية/الإيدز، التي انتقلت إلى عدد لا حصر له من السيدات اللاتي تعرَّضن للاغتصاب باعتباره استراتيجية من استراتيجيات الحرب.

تسترجع أودا ما حدث إذ تقول: «عندما حلَّ الدمار بحياة الناس وأصبحت حياتهم في خطر، عندما كان الأطفال يموتون والكثيرون بلا مأوى، لم تتردد نساء رواندا في التماس المساعدة.» في عام ١٩٩٥، تعهدت أودا وغيرها من النساء من مختلف أرجاء رواندا — من الهوتو والتوتسي على السواء — بعدم خضوعهن مرة أخرى للعنف. أدركت أودا أنه إن كانت النساء سيضطلعن بإعادة بناء أمتهن، فإنهن في حاجة إلى توحيد

أنفسهن وتنظيم صفوفهن. في عام ٢٠٠١، أسست النساء من مختلف أرجاء رواندا المجلس الوطني للمرأة؛ وهو أكبر منظمة نسائية في رواندا. انتُخبت أودا من قبل النساء على المستوى الشعبي لتكون أمينة المجلس، وفي عام ٢٠٠٤ انتُخبت رئيسة له.

أرادت أودا والقيادات النسائية بالمجلس، بدعم من رئاسة الوزارة الجديدة، القيام بأكثر من استعادة الوضع الذي كان قائمًا من قبل. كن يردن رواندا جديدة، يُسمع فيها صوت كل مواطن ويُحترم؛ ومن ذلك أصوات النساء. وإدراكًا منهن أن ثمة ضرورة حتمية لأن يتضمن الدستور الجديد هذه القيم، صُغن التماسًا يحدد الخطوط العريضة لحقوق المرأة، وسافرن من قرية لقرية من أجل حشد الدعم.

توضح أودا الموقف قائلة: «في كثير من البلدان حول العالم، أسمع قصصًا مشابهة. يَعِد القادة السياسيون بحماية حقوق المرأة ودعم الجهود الرامية إلى النهوض بالمرأة، وتوقع الحكومات على معاهدات حقوق الإنسان أو التشريعات الجديدة، لكن دون الإرادة السياسية لتفعيل أو تنفيذ هذه القوانين، لن يتحقق تقدم حقيقي.» كانت هي وغيرها من عضوات المجلس عازمات على مواصلة مناصرة قياداتهن ودعمهن والتعاون معهن؛ فالسبيل الوحيد لضمان مستقبل سلمي ومزدهر لرواندا كان يتمثل في حماية حقوق النساء، ودعم ارتقائهن كقائدات في الحكومة وقطاع الأعمال والمجتمع المدني.

إن المبادرة الشعبية لناشطات رواندا الهادفة إلى تنظيم النساء وتعزيز مهاراتهن، إضافة إلى الإرادة السياسية للحكومة الرامية إلى إشراك أصوات نسائية في الدستور الجديد، مكنتهن من الفوز بمكان على طاولة صنع القرار. في عام ٢٠٠٣، ضغطن من أجل انضمام قيادات نسائية إلى لجنة صياغة الدستور، واستغلت السيدات اللاتي كن عضوات بتلك اللجنة تأثيرهن في إدماج قوانين تحمي المرأة والأسرة وحقوق الإنسان بالدستور. شملت نجاحاتهن وضع قانون زواج يحقق المساواة، واستحداث حقوق المرأة في الميراث. تضمنت السياسة الجنسانية الوطنية في رواندا حصة نسبتها ٣٠ بالمائة كحد أدنى لضمان تمثيل المرأة على المستويات كافة بالحكومة.[12] في الواقع، اعتبارًا من عام ٢٠١٢، شكلت النساء نسبة ٥٦ بالمائة من المجلس الأدنى بالبرلمان الثنائي التمثيل، وهي أعلى نسبة مئوية لتمثيل المرأة في العالم؛[13] وقد تقلدن أيضًا عددًا من المناصب المهمة بالحكومة.[14]

تضم الشعبة النسائية بالبرلمان سيدات من كل الخلفيات يدافعن معًا عن حقوق المرأة. وعلى المستوى الاقتصادي، أنشأن برامج الإقراض بنظام التمويل المتناهي الصغر والمزارع الجماعية. وتفتخر رواندا بأن إجمالي الناتج المحلي لديها من أسرع إجماليات الناتج المحلي نموًّا في أفريقيا.[15] إنهن يستخدمن وسائل الإعلام، لا سيما الإذاعة؛ لتثقيف السكان بشأن قضايا عدة مثل فيروس نقص المناعة البشرية/الإيدز، والعنف الموجه ضد المرأة، ويضعن برامج للتعامل مع تحديات فيروس نقص المناعة البشرية/الإيدز والملاريا وسوء التغذية، كما يحفزن النساء والفتيات على التعلم.[16] وفي عام ٢٠٠٨، عينت الحكومة أودا رئيسة لمراقبة الشئون الجنسانية بمكتب الرقابة على الشئون الجنسانية.

اعتبارًا من عام ٢٠١١، مثلت نساء رواندا البرلمان الوحيد ذا الأغلبية النسائية في العالم؛ ليثبتن بأفعالهن وبوجودهن أن المرأة في الحكومة يمكن أن تكون قائدة عملية التعافي وراعية الأمة. إن أودا وبنات بلدها عازمات على ألا تتكرر الإبادة الجماعية أبدًا، ويفخرن بأنهن نموذج — لأفريقيا والعالم — يُظهر كيف تصل النساء ما يُقطَع لتحقيق الإنجازات، حتى في ظل أشد الظروف صعوبة.

ريتا شايكن

إسرائيل

صادفتُ في إسرائيل الكثيرات من الروسيات اللاتي خُدعن وأصبحن ضحايا. في ذلك الوقت لم يكن هناك من يدافع عن حقوقهن، أو يأخذ المشكلة على

محمل الجد. أما الآن فقد بدأ الناس يدركون أننا نتعامل مع ظاهرة، لا مجرد مجموعة من الحالات الفردية. كنا بحاجة إلى حلفاء من كثير من القطاعات لإحداث التغيير.

بينما نشأت ريتا في إسرائيل، إلا أنها من أصل أوكراني وتتحدث الروسية والأوكرانية بطلاقة. في عام ٢٠٠١، عندما كانت تعمل بمركز أزمات الاغتصاب في مدنية كريات شمونة بشمال إسرائيل، طُلب منها تقديم النصح والإرشاد للسجينات. وإذ أذهلها عدد الروسيات السجينات، سرعان ما أدركت أن هؤلاء النساء لسن مجرمات. كن ضحايا الاتجار بالبشر، والبعض منهن كن في الخامسة عشرة من العمر.

بعد ذلك بوقت قصير، بدأت ريتا في التطوع لدى منظمة «امرأة لامرأة»، التي كانت قد بدأت مشروعًا في شمال إسرائيل لمساعدة السيدات من الاتحاد السوفييتي السابق، اللاتي خلال بحثهن عن فرص عمل بالخارج سقطن فريسة للاتجار بهن، وأُجبرن على امتهان الدعارة. قدَّمت ريتا لهن المشورة معتمدة على الخبرة التي اكتسبتها من العمل في كريات شمونة. وفي عام ٢٠٠٢، استعانت المنظمة بخدماتها للإشراف على المشروع الجديد، الذي تضمن توفير الدعم العملي والعاطفي والقانوني لضحايا الاتجار بالبشر، وكذا تخصيص خط ساخن لضحايا السجون أو أوكار الدعارة.

واجهت ريتا ثلاثة تحديات رئيسية؛ أولها: أنه كان من الصعب بناء علاقات عمل مع الشرطة وإقناعها بأخذ القضية على محمل الجد، وثانيها: أن الحكومة لم تكن على

استعداد في بادئ الأمر للمشاركة في القضية، وأما التحدي الثالث فيتمثل في قلة المعلومات التي تمتلكها الشرطة الإسرائيلية بشأن الاتجار في النساء. أدركت ريتا أنها ستحتاج حلفاء من قطاعات المجتمع كافة لمحاربة المشكلة.

لإشراك الشرطة في القضية، اعتادت ريتا على تقديم شكاوى رسمية، وفي كل شكوى كانت تعرض على الشرطة تدريب أفرادها على كيفية التعامل مع ضحايا العنف والاتجار بالبشر؛ ما يوفر فرصة للتعاون. كما حاولت التأثير على الإدارة الشُّرَطيَّة؛ إذ كانت على بينة أنه بمجرد أن تشترك الإدارة الشرطية في القضية ستنتقل الاهتمام بها تنازليًّا عبر الرتب.

وفي النهاية، شعرت الشرطة نفسها بعدم قدرتها على التعامل مع العدد المتنامي بسرعة لحالات الاتجار بالبشر، فاتجهت إلى منظمة امرأة لامرأة لالتماس المشورة والمساعدة بشأن الناجيات. تعاونت ريتا من كثب مع أفراد الشرطة من أجل مساعدتهم على إدراك أن الاتجار بالبشر يُعد جريمة، والتعامل مع من تعرضن للاتجار كضحايا لا كمجرمات. كما ساعدت على التأكد من حضور كل أفراد الشرطة محاضرة حول الاتجار بالبشر كجزء من تدريبهم الأساسي.

من رحم هذا التعاون خرج برنامج العودة الآمنة. قبل مغادرة أي سيدة إسرائيل، يُجرى الاتصال بالمنظمات غير الحكومية الشريكة في موطنها الأصلي، وكذلك في مدينة الترانزيت، بحيث يمكن للمنظمات غير الحكومية المحلية إيفاد ممثل للقاء هذه السيدة، وضمان وصولها إلى موطنها الأصلي أو ملجئها بأمان. ويمكن آنذاك للمنظمة غير الحكومية أن تقدم للسيدة أي صورة من صور الدعم، أو المساعدة، أو إعادة التأهيل التي تُتاح لها. ولولا هذا الدعم، كثيرًا ما تعود الناجيات من الاتجار بالبشر إلى نفس الظروف التي أوقعتهن فريسة للاتجار بالبشر في البداية.

ومثلما يمتلك المتاجرون بالبشر شبكات قوية، يجب أن يمتلك من يكافحونهم شبكات قوية في المقابل. تشارك ريتا في مؤتمرات مكافحة الاتجار بالبشر في روسيا وأوكرانيا، وغيرهما من بلدان الاتحاد السوفييتي السابق؛ حيث تستغل هذه الفرص من أجل تقوية العلاقات، وإقامة شراكات جديدة، وتبادل المعلومات.

كما تتعاون ريتا من كثب مع اللجنة البرلمانية المناهضة للاتجار بالبشر. ذات مرة قالت لها إحدى عضوات الكنيست الإسرائيلي: «عندما شكَّلنا اللجنة، لم يكن أغلب النواب يدركون — وأنا شخصيًّا من بينهم — أننا نتعامل مع ظاهرة، لا مجرد مجموعة من

الحالات الفردية.» أمضت ريتا وقتًا طويلًا تلتقي بأعضاء البرلمان وغيرهم من المسئولين الحكوميين؛ لتشرح لهم حقائق الاتجار بالبشر، مؤكدة على ضرورة فعل المزيد، ومقدمة لهم اقتراحات واقعية في هذا الصدد. وكجزء من الائتلاف الإسرائيلي المناهض للاتجار بالبشر، تعاونت ريتا مع الحكومة من أجل إقامة ملجأ للناجيات اللاتي يرغبن في الشهادة في الملاحقات القضائية بحق المتاجرين بالبشر.

إن تقرير الاتجار بالبشر الصادر عن وزارة الخارجية الأمريكية — أول من أعدته آمي أونيل ريتشارد، ويتولى مارك تايلور الإشراف عليه حاليًّا — قد ساعد ريتا على الضغط على الحكومة الإسرائيلية وكثير من الحكومات حول العالم من أجل فعل المزيد لمكافحة الاتجار بالبشر. لم تسنَّ الحكومة قانونًا لمكافحة الاتجار بالنساء بغرض الدعارة إلا بعد أن جاءت إسرائيل في المرتبة الثالثة بالتقرير. في واقع الأمر، سُن القانون بعد صدور التصنيف بثلاثة أيام فقط. وفي عام ٢٠٠٦، بفضل الجهود التي لم تتوقف للمنظمات غير الحكومية، والتي لعبت فيها ريتا دورًا نشطًا، جرت الموافقة على قانون جديد لمكافحة الاتجار بالبشر.

ثمة إنجازات تحققت على طول الطريق؛ فالشرطة الآن تعتبر ريتا وزميلاتها ثقات في قضايا الاتجار بالبشر، وتعهد إليهن بمهمة التعرف على الضحايا. وبفضل عملهن، لا يوجد ضابط شرطة في إسرائيل يجهل قضية الاتجار بالبشر، وتستجيب الشرطة على الفور عندما تبلغهم ريتا عن سيدة بحاجة إلى مساعدتهم. كما لمست ريتا تغيرًا إيجابيًّا في طريقة تعامل وكلاء النيابة العامة مع الضحايا. وبالنسبة إلى الضحايا اللاتي يدلين بشهادتهن بحق من تاجر فيهن يحصلن على الحماية في ملاجئ، ويُسمح لهن بالمكوث في الدولة لمدة عام على الأقل. وفي النهاية، حظيت ريتا ومنظمتها بثقة الناجيات من الاتجار، واليوم ينقلنَ رقمَ الخط الساخن إلى أخريات.

في عام ٢٠١٠، دُعيت ريتا للشهادة في موسكو بحق أحد أكثر المتاجرين بالبشر نشاطًا في أوروبا. وقد استُدعيت كشاهدة خبيرة لشرح التبعات التي مرَّ بها ضحايا المدعى عليه. أُدين المتاجر بالبشر وحُكم عليه بالسجن تسعة عشر عامًا، ونال شركاؤه أحكامًا تراوحت بين عشر سنوات واثنتي عشرة سنة. ولا تزال المعركة ضد استرقاق البشر مستمرة، وتخوض ريتا وزميلاتها غمار هذه المعركة كل يوم.

أفنان الزياني

البحرين

جئنا إلى هنا كي نجعل العالم مكانًا أفضل؛ من واجب كل واحدة منا وبمقدورها أن تشارك.

أفنان الزياني واحدة من أبرز وأنشط سيدات الأعمال في البحرين؛ فهي المديرة التنفيذية لشركة تبلغ قيمتها عدة ملايين من الدولارات، وناشطة من ناشطات المجتمع المدني، وصاحبة كتاب في فن الطهي، وتقدم برنامجها التليفزيوني عن الطهي. ربما ليس من السهل إحراز النجاح كسيدة أعمال في الشرق الأوسط، لكن أفنان دليل حي على قوة الإرادة؛ فما من أمر تقرره إلا وتنفذه.

مع ذلك، لم يكن النجاح الشخصي كافيًا بالنسبة إلى أفنان؛ فقد شعرت بمسئولية تمهيد السبيل أمام نساء أخريات. في عام ٢٠٠٢، اضطلعت بقيادة جمعية سيدات الأعمال البحرينية كوسيلة للتواصل مع رائدات الأعمال الصاعدات ومد يد العون لهن، وفي عام ٢٠٠٦، قررت هي وغيرها من كبريات سيدات الأعمال بالمنطقة أنهن يُردن التواصل فيما بينهن لتبادل استراتيجيات الأعمال وتكوين شراكات جديدة. تقول أفنان عن ذلك: «نحن سيدات الأعمال بالبحرين أدركنا أنه لا بد أن هناك سيدات أعمال ناجحات

في تونس أو الكويت، لكن لم تُتح لنا أية وسيلة للتواصل معهن.» في شراكة مبتكرة بين القطاعين العام والخاص جمعت بين وزارة الخارجية الأمريكية، وشركة إكسون موبيل، ومنظمة أصوات حيوية، وجمعيات سيدات الأعمال من عشر دول بالمنطقة، ساعدت أفنان على تأسيس شبكة سيدات أعمال الشرق الأوسط وشمال أفريقيا؛ المخصصة للتواصل مع آلاف سيدات الأعمال الصاعدات وتدريبهن وتوجيههن. وقد عملت كبريات القيادات النسائية والتنفيذية من الولايات المتحدة وأوروبا سفيرات مؤسسيات، فسافرن إلى المنطقة من أجل الندوات التدريبية. ونتيجة لدعم الشبكة، أُنشئ ما يقرب من خمسمائة شركة جديدة في أنحاء المنطقة فيما بين عامي ٢٠٠٧ و٢٠١١. في الواقع، ثبت أن نموذج شبكة سيدات أعمال الشرق الأوسط وشمال أفريقيا الذي قادته أفنان وشريكاتها على درجة عالية من الفعالية؛ لدرجة أن منظمة أصوات حيوية تتعاون حاليًّا مع جمعيات سيدات الأعمال المحلية والشركاء، ومنهم إكسون موبيل؛ من أجل تطبيق هذا النموذج في أفريقيا وأمريكا اللاتينية ومنطقة الكاريبي وآسيا.

تُعجَب الشابات في جميع أنحاء البحرين بأفنان لدورها الريادي؛ فإلى جانب حملها شعلة تهتدي بها كثيرات من سيدات الأعمال الناشئات، فقد استغلت مصداقيتها وشهرتها والشبكات الضخمة في السعي إلى تغيير القوانين الجائرة المؤثرة على المرأة بالبحرين. ظلت المنظمات غير الحكومية تضغط دون تحقيق نجاح على الحكومة من أجل وضع قانون يحمي المرأة البحرينية في حالات الطلاق، لا سيما فيما يتعلق بحضانة الطفل. وفي عام ٢٠٠٦، خاضت أفنان غمار الجدل من خلال عملها مع جمعية سيدات الأعمال البحرينية. وباشتراكها في الحوار الوطني، تمكنت من إعادة تأطير النقاش بحيث يكون مثمرًا. واستنادًا إلى منصة أعمال قوية والشبكة التي شكلتها مع الاتحاد البحريني النسائي وشخصيتها الكاريزمية، وضعت أفنان المشكلة في سياقها الصحيح واقترحت حلًّا وطنيًّا، وبلغة تناسب الزعماء الدينيين والمسئولين الحكوميين. في عام ٢٠٠٩، أُقر الجزء الأول من قانون الأسرة الخاص بأبناء الطائفة السنية. واعتبارًا من عام ٢٠١٢، استؤنفت الجهود من أجل منح الحقوق القانونية نفسها للطائفة الجعفرية (الشيعية)، بحيث يمكن لجميع الأسر البحرينية التمتع بسبل الحماية ذاتها تحت مظلة القانون. أصبحت سيدات الأعمال القويات بطلاتٍ في مجتمع المنظمات غير الحكومية؛ إذ أثبتن أن التكاتف بين القطاعات يمكن أن يعود بالنفع على الجميع، ويثمر نتائج أسرع وأكثر تطورًا مما يمكن لأي طرف أن يحققه منفردًا.

استُنسخت منهجية أفنان في كثير من البلدان بالمنطقة؛ واعتبارًا من عام ٢٠١١ اضطلعت عضوات شبكة سيدات أعمال الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بسبع مبادرات حقوقية ومشاريع إصلاحات قانونية. أثبت النموذج أن سيدات الأعمال بوسعهن رأب الصدع بين المجتمع المدني والحكومة، ويمكنهن أن يلعبن دورًا مؤثرًا في الدعوة إلى التغيير.

ترى أفنان أنه «يتعين علينا أن نكون مؤثرين»، جاعلة من ذلك قوة دافعة لها، وتضيف: «لا يهم إن كنتِ في منزلك أو قريتك أو تديرين شركة؛ بإمكان الجميع أن يصبح مؤثرًا ويحدث فارقًا في مجتمعه.»

الفصل الرابع

أفكار جريئة وأفعال جسورة

تقدمه دايان فون فيرستنبيرج
مصممة أزياء وعضوة بمجلس إدارة منظمة أصوات حيوية

لم أصادف في حياتي امرأة ضعيفة.

أعتقد أن هناك قوة كامنة في كل امرأة؛ شخصية جسورة، قائدة. لكن نظرًا للمجتمع أو الظروف، كثيرًا جدًّا ما يتطلب الأمر مأساة كي تدرك المرأة قوتها، كي تستوعب بحق ما يمكنها إنجازه، وكثيرًا جدًّا ما يتطلب الأمر محنة تنزل بها كي تكشف عما تتمتع به من مواهب وقدرات.

قامت على تربيتي سيدة تتمتع بإرادة لا تلين؛ فقبل كل شيء، كانت ناجية، مثلما تكتشف كل امرأة نفسها في لحظة أو أخرى. لقد قاست أمي ظلم وبشاعة المحرقة بجَلَد وصمود، وعلمتني أن «الخوف ليس خيارًا».

في اللحظة التي تقرر فيها امرأة أنها لن تهاب شيئًا، يحدث تحول في شخصيتها، وعندما تدرك قوتها وإمكاناتها، وتُخضع كل خوف من مخاوفها لتلك القوة، فإنها تصبح في أفضل حالاتها، وتدب الروح في كلٍّ من شخصيتها وحماسها وهويتها.

إن القيادات النسائية اللاتي التقيت بهن في فترة عضويتي بمجلس إدارة منظمة أصوات حيوية؛ وهن: ريبيكا لولوسولي، وبانميلا كاسترو، وسوهيني تشاكربورتي وغيرهن ممن أسلط عليهن الضوء في هذا الفصل، يتحدين القيود التي تحاول احتواءهن. إنهن بطلات، وكلٌّ منهن عازمة على الاستفادة من أقصى إمكاناتها القيادية. وقراءة قصص حياتهن ملهمة

أيما إلهام؛ فهن لم يتغلبن على معاناتهن وحسب، بل استخدمنها في مساعدة الأخريات، وفي أن يصبحن قائدات.

لا تتردد القائدة في المخاطرة بنفسها أو حريتها أو سلامتها في سبيل إخلاصها لمُثُلٍ عليا. إنها تدرك أن المخاطرة التي تخوض غمارها لا تساوي شيئًا مقارنةً بالقيمة التي تراها في الحفاظ على قيم المساواة والرحمة والسلام. إنها تنظر لما هو وراء المخاطرة؛ لأنها تعلم أن العوالم القائمة على الظلم لن تدوم.

هي تدرك أنه لا توجد قواعد أو توجيهات، ولا توجد نقطة نهاية. ببساطة هي ترى أن كل يوم بمثابة فرصة، وقد قررت اغتنامها.

* * *

في ٧ أكتوبر من عام ٢٠١١، سرت أنباء أنه جرى اختيار ثلاث قيادات نسائية لنيل جائزة نوبل تقديرًا «لكفاحهن السلمي من أجل سلامة المرأة وحقوقها في المشاركة الكاملة في جهود صنع السلام». ليما جبوي؛ ناشطة من نشطاء السلام الذائعي الصيت، التي صُورت قصة صمودها في فيلم «ليعد الشيطان إلى الجحيم» من إنتاج أبيجيل ديزني، وكانت قد شكلت حركة نسائية من أجل السلام في ليبيريا. تحت قيادة ليما، توحدت النساء المسيحيات والمسلمات في ليبيريا — في تحدٍّ لتشارليز تايلور؛ القائد العسكري الذي غدا رئيسًا — لوضع نهاية لاستخدام الاغتصاب باعتباره «تكتيكًا حربيًّا»، ووقف العنف الذي يُمارس بحق المرأة. تتذكر ليما ما وقع قائلة: «خلال عملنا اليومي واجهنا قادة عسكريين، وقابلنا ديكتاتوريين، ورفضنا السكوت أمام بنادق الكلاشينكوف ومدافع الآر بي جي. سرنا عندما لم تكن لدينا وسيلة انتقال، وصُمنا عندما لم نجد ماءً، وتكاتفنا أمام الخطر وقلنا الحقيقة في وجه أصحاب السلطة في الوقت الذي التزم فيه الآخرون الدبلوماسية، ووقفنا تحت الشمس والمطر مع أطفالنا لنروي للعالم قصص الجانب الآخر من الصراع. لم نعبأ بخلفياتنا التعليمية وتجارب أسفارنا ومعتقداتنا وطبقاتنا الاجتماعية. كان لدينا هدف مشترك: السلام من أجل ليبيريا الآن.»[1] ساعدت جهود ليما على الوصول لاتفاق السلام الشامل من أجل ليبيريا عام ٢٠٠٣، الذي مهَّد السبيل للديمقراطية والاستقرار.

ثمة سيدة ليبيرية ملهِمة أخرى دَرَست الاقتصاد بجامعة هارفرد؛ وهي إلين جونسون سيرليف التي تخطت سنين السجن والمنفى، وأصبحت في عام ٢٠٠٥ أول

امرأة تُنتخب ديمقراطيًّا لتترأس بلدًا أفريقيًّا. في تعليق سيرليف على قبولها المنصب، صرحت قائلة: «أحثُّ أخواتي وإخواني على ألا يهابوا شيئًا. لا تخشوا التنديد بالظلم، حتى وإن كنتم قلة. لا تخشوا السعي وراء السلام، حتى وإن كان صوتكم خافتًا. لا تخشوا المطالبة بالسلام. لو أُتيح لي التحدث إلى كل فتاة وامرأة في كل مكان لوجهت لهن هذه الدعوة البسيطة: أخواتي، بناتي، صديقاتي؛ اكتشفن أنفسكن.»[2] وفي ظل إدارتها، شهدت ليبيريا تراجعًا كبيرًا في معدل العنف ونموًّا اقتصاديًّا غير مسبوق.[3] ولما كان صوتها بهذه القوة، فقد أطلقنا جائزة أصوات حيوية للريادة العالمية على شرفها في العام اللاحق. وفي عام ٢٠١١، أُعيد انتخابها لفترة رئاسية ثانية.

أما القائدة الثالثة التي حصلت على هذه الجائزة فهي توكُّل كرمان؛ «أم الثورة اليمنية». كانت توكل كرمان صحافية مفوَّهة، نظَّمت حملة للمطالبة بحرية التعبير والصحافة في اليمن؛ ذلك البلد المحافظ قبل الاحتجاجات التي هزت الدولة في عام ٢٠١١ بوقت طويل. تقول توكُّل: «عندما وصلتني أخبار حصولي على جائزة نوبل للسلام، كنت في خيمتي في ساحة التغيير في العاصمة صنعاء. كنت واحدة من ملايين الشباب الثوري. هناك لم نكن حتى قادرين على ضمان أماننا من قمع وطغيان نظام علي عبد الله صالح. في تلك اللحظة، تأملت الفارق بين معاني السلام التي تحتفي بها جائزة نوبل ومأساة العدوان الذي شُن ضد قوى التغيير السلمي، إلا أن فرحتنا بأننا على الجانب الصواب من التاريخ سهلت علينا تحمل المفارقة المدمرة.»[4] بعد أن اكتسبت الإلهام من ثورة الياسمين في تونس، قادت توكل آلاف الشباب في احتجاجات ساحة التغيير باليمن، مواجهين الغاز المسيِّل للدموع ومدافع الهاون ونيران الأسلحة.

تشترك هؤلاء السيدات الثلاث في السمة الرابعة التي تتصف بها القائدات اللاتي يُغيِّرن العالم: عندما تجابههن تحديات صعبة، فإنهن يطرحن أفكارًا جديدة جريئة، ويخاطرن مخاطرة كبيرة من أجل تحسين حياة الآخرين. لا تتردد القائدات في التعبير عن معارضتهن دفاعًا عن القيم أو المبادئ الجوهرية، حتى عندما يحدق الخطر بأمانهن وسُمعتهن. المخاطرة ضرورية من أجل التغيير الذي يتضمن تحولًا جذريًّا، والقائدات يقبلن المخاطرة ليس من غير خوف، لكن ما يطمئنهن أنهن يدركن أهمية دورهن في إحداث التغيير الإيجابي المنشود.

اكتشفنا بمنظمة أصوات حيوية أنه على عكس ما يشاع عن النساء، فإن لديهن قدرة مذهلة على التعامل مع المخاطر، إلا إنه تجدر الإشارة إلى أنهن يُقدِمْنَ على المخاطر بطرق

مختلفة عن الرجال. ومن واقع خبرتنا، تقبل السيدات مخاطرات محسوبة استجابة منهن لحاجة معينة، ولا يقدمن على مخاطرات متهورة استجابة لفرصة ما. في الواقع ليست المسألة امتلاك أحد الجنسين الشجاعة دون الآخر، بل المسألة تتعلق بمتى يختار أفراد كلٍّ من الجنسين تعريض نفسه لمواقف شديدة الخطورة. وبالمثل، توصلت دارسة أجريت عام ٢٠١٠ إلى أن «القدرة على إحداث تأثير» تحفز السيدات على الإقدام بجسارة على المخاطرة.[5]

أحيانًا يسهل كثيرًا ملاحظة هذه السمة القيادية في أوقات الاضطرابات أو الأزمات. تأمَّل الحركة التي قادتها النساء في الأرجنتين إبان ما يُعرف بالحرب القذرة التي استمرت من عام ١٩٧٦ إلى عام ١٩٨٣، وأدى خلالها الإرهاب الذي مارسته الدولة إلى اختفاء آلاف من النشطاء اليساريين ومؤيديهم.[6] وفي ٣٠ أبريل من عام ١٩٧٧، نظمت أربع عشرة سيدةً عجوزًا فقدن أبناءهن مظاهرة في ساحة مايو الأرجنتينية أمام قصر كاسا روسادا الرئاسي.[7] تحول احتجاجهن إلى حركة عُرفت باسم حركة أمهات ساحة مايو؛ وهي جماعة من ناشطات في مجال حقوق الإنسان ناضلن من أجل لَمِّ شملهن مع مَن فقدنَ من ذويهنَّ.

ارتدت أمهات ساحة مايو أغطية رأس بيضاء مزدانة بأسماء أطفالهن — كرمز إلى بطاطين أطفالهن — وهي التي أصبحت رمزًا قويًّا في إشعار الديكتاتورية العسكرية بالخزي والعار. إن منظمة أمهات ساحة مايو رأبت الصدوع الاقتصادية والاجتماعية والانقسامات بين المدينة وضواحيها. وقد ساعد تنوع عضويتها على لمِّ شمل كثير من المجتمعات المختلفة؛ ما كسر حاجز الصمت الذي طالما اتصفت به الحرب القذرة.

تأمَّل أيضًا الشجاعة وسعة الحيلة اللتين أظهرتهما نساء عاديات في صقلية بإيطاليا في تسعينيات القرن العشرين في ذروة عنف المافيا والترويع اللذين تغلغلا في المنطقة. واجه الشعب معضلة: كيف يمكن مقاومة المافيا واستعادة سيادة القانون مع الحفاظ على سلامة أفراد المجتمع؟ خرجت نساء صقلية بفكرة بسيطة: بدلًا من نشر الملابس المغسولة لتجف في الفناء الخلفي من منازلهن كما جرت العادة، بدأن في نشر ملاءات بيضاء على واجهات منازلهن للتعبير عن غضبهن من المافيا، ورغبتهن في نظام حكم ديمقراطي شفاف.

ومن خلال شبكاتهن، نشرت السيدات المغزى من الملاءات البيضاء، وبدأت المنازل في كل أنحاء الإقليم تحذو حذوهن، بل وكتب بعضهن كلمة «كفى» بالإيطالية على الملاءات

البيضاء. أسعدني الحظ بأن زرت باليرمو إبان تلك الفترة، وكنت شاهدة على مظاهر النشاط الحقوقي الرائعة على المستوى الشعبي. أتذكر قيادتي السيارة في أرجاء المدينة، وذهولي من مشهد مئات الملاءات البيضاء المنشورة على الشرفات، وكيف أني كنت أتأثر عندما كنت أصادف عددًا قليلًا من المنازل التي لم تُعلق ملاءات بيضاء على واجهاتها. فبعمل بسيط، نجحت سيدات صقلية في فضح أعضاء المافيا ومؤيديهم، وكانت تلك خطوة أولى حاسمة في مساءلة عصابات المافيا ومن يقفون وراءهم عما اقترفوه.

وحديثًا، شهدنا سيدات يُقدِمن بجسارة على مخاطرات استثنائية للنضال من أجل الديمقراطية في الثورة البرتقالية بأوكرانيا عام ٢٠٠٤، وكانت شرارتها انتخابات الإعادة الرئاسية التي جرت في ٢١ نوفمبر من ذلك العام. أشارت نتائج مسح اقتراع الناخبين إلى أن مرشح المعارضة فيكتور يوشتشينكو حقق فوزًا سهلًا، لكن في الساعات والأيام اللاحقة، حاول النظام القائم بوقاحةٍ سرقةَ الانتخابات، معلنًا أن رئيس الوزراء فيكتور يانوكوفيتش قد فاز بالانتخابات. ملأ عشرات الألوف من شعب أوكرانيا الشوارع المتجمدة حول ساحة الاستقلال في العاصمة كييف للمطالبة باستعادة ديمقراطيتهم المسلوبة، وكانوا المنتصرين في النهاية؛ إذ اقتنصوا انتخابات جديدة في ٢٦ ديسمبر، وتم تسليم السلطة الرئاسية إلى يوشتشينكو.

كانت النساء في طليعة تلك الحركة، ومنهن كثيرات سبق وشاركن في تدريبات القيادة التي تقدمها منظمة أصوات حيوية، وكان من بين أشجع الناشطات سيدة تُدعى ناتاليا دميتروك؛ وهي مترجمة لغة الإشارة للصم بقناة تليفزيونية أوكرانية مملوكة للدولة. كانت ناتاليا تقف وأطفالها جنبًا إلى جنب مع المتظاهرين في ميدان الاستقلال، ثم عند عودتها إلى عملها كان يُطلَب منها ومن وزملائها أن يعلنوا أن المرشح الرئاسي المدعوم من الحكومة هو الفائز.

صرحت ناتاليا، في وقت لاحق، إلى نورا بستاني؛ مراسلة صحيفة واشنطن بوست قائلة: «كنت أراقب الموقف من كلا الجانبين، وانتابتني مشاعر سلبية. بعد كل بثٍّ كان عليَّ ترجمته إلى لغة الإشارة، كنت أشعر بالاشمئزاز من نفسي. أردت أن أتطهر من هذا.»[8]

ولاشمئزازها من الخداع، قررت ناتاليا أن عليها أن تقول الحقيقة. في نهاية بثِّها في ٢٤ نوفمبر من عام ٢٠٠٤، ارتدت وشاحًا برتقاليًّا على كمِّها وصرحت للجمهور بلغة الإشارة: «كل ما سمعتموه حتى الآن بالأخبار كذب. إنني أخجل من أن أترجم هذه

الأكاذيب. يوشتشينكو هو الرئيس. وداعًا؛ فأغلب الظن أنكم لن تشاهدوني ثانية.»[9] إلا أنهم شاهدوها مجددًا، فسرعان ما استعانت بها محطة تليفزيونية مستقلة في كييف.

في كل موقف من هذه المواقف المتنوعة — الأرجنتين وإيطاليا وأوكرانيا — لاحظنا أن العامل المحفز للتغيير جاء بدرجة كبيرة من سيدات ابتكرن حلولًا إبداعية وبرزن كقائدات في أوقات الأزمات. في عام ٢٠١١، شهد العالم حركة مشابهة اجتاحت الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. لم تقف النساء إلى جانب رجال بلادهن من أجل تنظيم حملات للمطالبة بالديمقراطية والسلام ومزيد من الرخاء وحسب، بل إن أعمالهن الباسلة ساعدت كذلك على إشعال شرارة الإطاحة بأنظمة استبدادية.

لنتناول مثلًا الناشطة المصرية إسراء عبد الفتاح. في أوائل عام ٢٠٠٨، وقبل أن يعم الربيع العربي أرجاء المنطقة بوقت طويل، كونت إسراء مجموعة على موقع فيسبوك للدعوة إلى يوم عصيان مدني؛ إضراب عام واحتجاج على تدنِّي أجور العمال بمصنع للمنسوجات في المحلة الكبرى؛ وهي مدينة صناعية شمالي القاهرة.

تواصلت إسراء مع أصدقائها وزملائها وشجعتهم على إظهار تضامنهم مع العمال. تنامى بسرعة عدد مؤيدي حركتها التي أطلق عليها «حركة ٦ أبريل» على الإنترنت من بضع مئات إلى أكثر من ٧٧ ألفًا. وفي ٦ أبريل من عام ٢٠٠٨، مع إضراب آلاف العمال في أنحاء متفرقة من مصر، قمعت الشرطة المظاهرات وقتلت أربعة، وأُلقي القبض على إسراء، التي لُقبت باسم «فتاة فيسبوك»، وأُودعت سجن النساء بالقناطر.

كان وزير الداخلية المصري هو من أصدر أمر الاعتقال الذي أُودعت إسراء السجن بموجبه، وكانت إسراء أول امرأة يُصدر بحقها هذا الأمر، وأكسبها هذا التفرد شهرة بوصفها قائدة لحركة صاعدة تطالب بحرية التعبير، والمشاركة المدنية في القرار، ومكافحة الفساد، وحقوق العمال. واستعاضت مجموعة فيسبوك — وهي منصة التواصل الاجتماعي لما يُطلق عليه الآن حركة شباب ٦ أبريل — عن صورتها بإحدى صور إسراء، مع دعوة للتحرك تحت شعار «الحرية لإسراء».

أثناء الفترة التي قضتها إسراء بالسجن، وعقب إطلاق سراحها بعدها بأسابيع قلائل، أصبحت أيقونة ذائعة الصيت بين الناشطين السياسيين وناشطي حقوق الإنسان الذين أسقطوا لاحقًا حكومة مبارك، مستعينين في جزء من عملهم بأدوات التنظيم الإلكترونية التي مكَّنت المصريين البسطاء من المشاركة في الثورة.

كانت إسراء جزءًا من تلك الثورة، وانضمت لآخرين من نساء ورجال في ميدان التحرير للمطالبة بوضع نهاية لنظام غير ديمقراطي، لكن من المهم الإشارة إلى أن قبول مخاطرة مكافئة لمخاطرة الرجال في زمن الاحتجاجات لم يُترجَم إلى تمثيل متكافئ في وقت النصر. في العام التالي لانتفاضة الربيع العربي، أطلعتنا النساء في أنحاء مصر على مخاوفهن من أن تظل أصواتهن غائبة عن الأدوار القيادية في السلطة القضائية والمجتمع الأكاديمي والمناصب الوزارية المهمة. والحكومة العسكرية التي تشكلت بعد الإطاحة بمبارك سرعان ما أبطلت الحصة التي تقتضي حجز أربعة وستين مقعدًا بالبرلمان للنساء.[10]

تجد النساء في أنحاء الشرق الأوسط وشمال أفريقيا أنفسهن في مواقف مشابهة؛ فمثل إسراء، وقفت النساء في تونس واليمن والبحرين وليبيا جنبًا إلى جنب مع الرجال للمطالبة بحق جميع المواطنين رجالًا ونساءً في الاقتراع. لعبت النساء دورًا أساسيًّا في الثورة الليبية؛ فقد خدمن على سبيل المثال في صفوف التغيير الأولى، ودعمن الجنود المتمردين وقوات الناتو بطرق متعددة؛ مثل: التمريض، وإخفاء المقاتلين، وتهريب الأسلحة، إلا أن النساء الآن يجدن صعوبة ما تفتأ تزداد في الحصول على مقعد على الطاولة؛ حيث يناضلن من أجل الحفاظ على التأثير الذي اكتسبنه إبان الثورة. بعد حصولهن على التمكين إبان المعارك ضد العقيد معمر القذافي، تزداد وتيرة بحث النساء عن فرص القيادة والتأثير في الحكومة والسياسة والأعمال والمجتمع المدني. بلا شك تمتلك النساء الاستعداد للتقدم وقيادة التغيير؛ فلكونهن قادرات على تنظيم أنفسهن جيدًا، ولأنه من السهل قيادتهن، فإن النساء إذا قُدم لهن الدعم الجيد فسيضمنَّ أن التحوُّل، سواء كان تطوريًّا أو ثوريًّا، سيفضي إلى تغيير دائم وذي قيمة.

إن القائدات اللاتي ثرن في أرجاء المنطقة يمثلن تحولات استثنائية صاعدة؛ تحولات في المشاركة المدنية في القرار، وفي السياسة، وفي الإدراك الثقافي والتفاعل الاجتماعي، تحولات في اللغة والطرائق التي نستخدمها في التواصل. في السعودية، تحدَّت الناشطة الإلكترونية منال الشريف علانيةً حظرًا يحْرم المرأة من حقها في قيادة السيارة، فسجلت فيديو لنفسها وهي تقود سيارة ونشرته على موقع يوتيوب؛ حيث أحدثت ضجة تناقلها الناس وأشعلت شرارة حركة حقوقية وطنية تطالب بحق المرأة في القيادة، وأيضًا بالكرامة والحرية اللتين يرمز إليهما هذا الحق. سُجنت منال بسبب أفعالها. ورغم إطلاق سراحها، لا تزال تواجه التخويف. وفي تونس، استغلت أميرة اليحياوي المُتابَعة

لمدوَّنتها وتحدت الرقابة، وحشدت الكتلة السياسية المستقلة للتعبير عن مشكلات شباب أمتها. وفي مصر، تخلق ماريان إبراهيم مساحة مهمة للحوار بين الأديان من أجل إدماج المرأة ومنبرها المطالب بالحقوق في الحكومة الانتقالية، وفي كل أركان المجتمع المنقسم على نفسه. وفي ليبيا، استقالت سلوى بوقعيقيص احتجاجًا على المجلس الوطني الانتقالي؛ إذ كانت تصر على أن وجود المرأة اسميٌّ وحسب، ولا يحقق الإدماج أو الاحترام المنشود لها. لقد اختارت الحشد من أجل الإصلاح من الخارج، وأعدت قائمة بمجموعة من المرشحات السياسيات للانتخابات. وفي اليمن، عندما استُدعيت شذى الحرازي للقاء الرئيس بعد أن لفتت تغريداتها انتباه الإدارة لم تبدِ أي خوف، بل دافعت عن دعواتها إلى إصلاح تقدمي، واثقة بأنها تمثل حركة شبابية صاعدة. عقب اللقاء، عُينت في وظيفة تدريس بالجامعة. ورغم أن الإصلاح يستغرق وقتًا، فإن كل واحدة من هؤلاء النساء، والكثير غيرهن من النساء اللاتي يمثلنهن، حققن طفرة بطرق حاسمة سيسجلها التاريخ.

بعد أحد عشر يومًا فقط من الانتفاضة في مصر، استجابت منظمة أصوات حيوية لطلبات النساء من مختلف أنحاء المنطقة، وجمعت القائدات من عشرة بلدان من الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في الأردن. كنا نريد أن نعرف كيف يمكن لنا مساعدتهن، وكيف يمكن لكلٍّ منهن مساعدة الأخريات. وأجرينا معًا جلسات لتبادل خبراتهن وآمالهن ومخاوفهن وخططهن.

سافرت إسراء إلى عَمان بصفتها عضوًا في الوفد المصري؛ حيث قالت: «ينبغي لنا تغيير الطريقة التي ينظر بها الناس في مجتمعنا إلى المرأة. ستعم الفائدة على المجتمع بأسره، وليس على النساء وحدهن. يجب أن أشارك في بناء بلدي.» عادت إلى وطنها وفي جعبتها دعم من شبكة من الأقران من مختلف أنحاء المنطقة. وقد نمت الشبكة وتحولت إلى فريق حقوقي صاغ بمهارة برنامجًا معنيًّا بالقضايا الجنسانية، ونظم حملات من أجله. وهو برنامج قابل للإدماج في الحكومة الانتقالية الجديدة.

قبلت إسراء منذ ذلك الحين منصب مديرة المشروعات بالمعهد المصري الديمقراطي؛ وهو منظمة غير حكومية تشجع على استخدام وسائل الإعلام الجديدة لتعزيز قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان، لا سيما من أجل الجماعات المهمشة. كان هدف إسراء وضع جدول أعمال نسائي تُسهم فيه السيدات المصريات من مختلف الأعمار والمناطق والأديان والخلفيات. وفي ذات الأثناء، تستمر حركة شباب ٦ أبريل في النمو بقوة مع تجاوز عدد أعضائها الناشطين ١٠٠ ألف شخص. وترى إسراء أن مصر يجب أن تظل

على وفائها للمبادئ والقيم التي قادت الثورة: العدالة والحرية والديمقراطية. تقول إسراء: «إن المبادئ الرئيسية الثلاثة التي نعمل من أجل تحقيقها، نأمل أن نشعر بها كل يوم، ليس على الورق أو في الدستور وحسب، بل نريد أن نشعر بها على أرض الواقع. بإمكاننا أن نمارس هذه القيم كل يوم في حياتنا.»

إن إسراء والنساء من مختلف أنحاء الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، والنساء الحائزات جائزة نوبل، ونساء الأرجنتين وصقلية وأوكرانيا ما هن إلا قلة من نساء كثيرات حول العالم تقدَّمن بجسارة من أجل إحداث التغيير. إن التغيير الشجاع هو من أكثر المهارات القيادية التي يستدعي إتقانها جرأة وإقدامًا على المخاطر. كي تنجح القائدات ينبغي لهن أيضًا استحضار المهارات القيادية الثلاث الأولى وجعلها جزءًا من جهودهن. في كلٍّ من الأمثلة السابقة، تمتعت كلُّ قائدة بإحساس واضح بالواجب، وبرؤية متفردة لما تريد تحقيقه. وفي إطار جهودهن لتفعيل التغيير، اعتمدن على السمات الثقافية في حشد المجتمع، وطبقن منهجًا تشاركيًّا في جهودهن. وفي تنفيذهن لاستراتيجياتهن، أشركن أعضاء المجتمع كالأمهات والمسنين، ونجحن في رأب الصدوع الاجتماعية والاقتصادية والجغرافية التي كان من الممكن، لولا جهودهن، أن تقوِّض الاحتجاجات.

في كل حالة، تكبدت السيدات أيضًا مخاطر جمة وخضن غمارها بطرق فريدة من نوعها. طرح أليكس هاسلام وميشيل رايان نظرية «المنحدر الزجاجي» لوصف اتجاه تنزع المرأة في ظله إلى أن تُختار للمناصب القيادية عندما يزداد احتمال الفشل.[11] وكما ذُكر في مقدمة هذا الكتاب، اختيرت يوهانا سيجوردادوتير؛ رئيسة وزراء أيسلندا، وسيدات شركة آيدور كابيتال من أجل انتشال أيسلندا من الدمار المالي، لكن عقب الأزمة المالية العالمية في عام ٢٠٠٨، لم تكن أيسلندا هي الوحيدة التي استعانت بالنساء من أجل إنقاذ البلاد من الانهيار الاقتصادي. عندما تحدثت كريستين لاجارد؛ وزيرة المالية الفرنسية السابقة وأول سيدة تترأس مؤسسة التمويل الدولية، قالت: «عندما تُستدعى المرأة من أجل التصرف في أوقات الأزمات، غالبًا ما يكون ذلك بسبب رباطة جأشهن، وإحساسهن بالمسئولية، وتمتعهن بدرجة عالية من البرجماتية في المواقف الدقيقة.» وحسب دراسة أُجريت في عام ٢٠١٠، تزداد قدرة النساء على التواصل والتجاوب في أوقات الأزمات.[12]

ينطبق الأمر نفسه على عالم الأعمال. آن مولكاي؛ المديرة التنفيذية السابقة لشركة زيروكس، مجرد مثال من بين أمثلة كثيرة على القائدة التي استُعين بخدماتها من أجل

تغيير وجهة شركة هددها الإفلاس والفضائح، وخمسة فصول متعاقبة من الخسائر، ومديونية تبلغ ١٧ مليار دولار. ومثل السيدات في أيسلندا، تمكنت آن من تغيير مسار الشركة بنجاح.

رغم أن هذا الأمر قد يبدو كما لو أن النساء بمثابة الملاذ الأخير — إذ تُمنح لهن الفرصة عندما لا يرغب أي شخص آخر في الاضطلاع بمهمة مستحيلة — فإنه يحمل الكثير من الدلالات؛ ففي أوقات التغيير الكبير أو الأزمات الشديدة، عادة ما يتجاوز الناس بنظرتهم الوضع الراهن للبحث عن حل جديد ومختلف. إبان الأزمة السياسية في كوسوفو في عام ٢٠١٠، اجتمعت ثلاثة أحزاب مختلفة على انتخاب عاطفة يحيى آغا رئيسة للبلاد. ولما كانت قائدة سابقة للشرطة كرَّست جهودها لبناء جسور بين المجموعات الإثنية واقتلاع الفساد من جذوره. لم يكن قد سبق لها أن نظمت حملات سياسية، ولم يخطر ببالها أنها ستخدم بلدها في أعلى منصب سياسي.

بالعمل ضمن المجتمع المدني، في كثير من الحالات، تحتل النساء موقعًا يؤهلن للاضطلاع بأنماط معينة من المخاطر؛ لأنهن قادرات على العمل بعيدًا عن الأضواء داخل مجتمعاتهن. بحلول الوقت الذي تستحوذ فيه قضيتهن على اهتمام الجماهير، يكنَّ قد حشدن بالفعل مجموعة ضخمة من المؤيدين، كما في حالة سيدات صقلية، أو إسراء في مصر. وغالبًا ما يؤدي حجم وتنوع هذه الشبكات إلى شكل من أشكال الحماية خلال سعي النساء إلى إحداث التغيير.

وكذا اكتشفنا بمنظمة أصوات حيوية أن تكاتفنا مع قيادات نسائية يُكسبنا اهتمامًا وظهورًا بوسائل الإعلام، ويعزز من المصداقية خلال اتصالات رفيعة المستوى مع قائدات دوليات أخريات. ويمكن أن يكون هذا شكلًا آخر من أشكال الوقاية. منذ عام ٢٠٠٢، تعاونت منظمة أصوات حيوية مع أنابيلا دي ليون؛ عضوة بالكونجرس من جواتيمالا؛ التي كانت جهودها لمكافحة الفساد شوكة في ظهر حكومتها. نشأت أنابيلا في ظروف معيشية فقيرة. وترى أن الفساد والعنف مسببان للفقر وانتهاكات حقوق الإنسان في بلدها. كثيرات من زميلاتها تعرضن للتعذيب بل وللقتل. وتؤمن أن انتسابها لشبكة القائدات العالمية برعاية منظمة أصوات حيوية، إضافة إلى صورتها مع الوزيرة كلينتون المعلقة على حائط مكتبها، توفر شكلًا من الحماية؛ إذ تُطلع أيًّا ممن سيهاجمونها في المستقبل أنها ليست وحدها؛ فثمة من يقدِّر خدماتها ويدعمها على المستوى الدولي.

التمتع بالجسارة ينطوي على التفكير فيما يتجاوز الوضع الراهن، والشجاعة في التحدث على الملأ في الوقت الذي يؤثر فيه الآخرون الصمت. توصلت الدراسات إلى أن

الزيادة في نسب مشاركة السيدات في المناصب القيادية بالقطاع الحكومي وقطاع الأعمال يسهم في مزيد من الإبداع، لكنه يعمل أيضًا على تخفيض نسب الفساد.[13] ويرجع ذلك إلى أن السيدات لسنَ جزءًا من الشبكات التي تنتفع عادة من الفساد؛ فعلى سبيل المثال، القائدة النيجيرية د/نجوزي أوكونجو-إيويالا هي أول سيدة على الإطلاق تتولى زمام وزارة المالية، التي كانت مركز الفساد في الحكومة النيجيرية. وقد خطت خطوة غير مسبوقة بأن ألزمت الوزارة بإعلان المبالغ المالية التي تخصصها لحكومات الولايات والحكومات المحلية في أنحاء البلد. وبفضل هذا التغيير، بدأ النيجيريون يدركون أن الأموال العامة ترجع إلى الجماهير، وليس إلى مسئولي الحكومة. وبعد أن أصبح الشعب النيجيري مطلعًا على بيانات المخصصات المالية، وأدركوا أن المبالغ المالية هدفها دعم الأهداف الإنمائية للألفية، يطالبون الآن بأن يستخدم حكامهم ومسئولوهم المحليون الموارد من أجل توفير الخدمات لهم. إن تغيير عقود من الممارسات الفاسدة عملية بطيئة، لكن مع جهود د/نجوزي أوكونجو-إيويالا تتغير العلاقة بين الحاكم والمحكوم إلى الأفضل. وبالمثل في المكسيك، أقدمت السياسية البارزة روث زافاليتا على ما لا يخطر على بالٍ، من أجل كسر دائرة المحسوبية التي تقصي النساء؛ إذ ضحت بمقعدها في موقع السلطة احتجاجًا منها على الفساد المزمن الذي اكتشفته داخل حزبها.

تتجلى قدرة القيادات النسائية على التفكير والتصرف بجسارة حتى في أحلك اللحظات؛ فمن أفغانستان إلى زيمبابوي، شاهدتُ النساء حول العالم ينهضن من كبوتهن بعد أن عانين عنفًا لا يمكن تصوره، ولكَم تعجبت من صمودهن وعزمهن على تحويل تجاربهن المأساوية إلى جهود لإنقاذ نساء وفتيات أخريات من مواجهة المصير ذاته! عندما التقيت سونيتا كريشنان أول مرة؛ وهي التي أسست منظمة براجوالا في الهند، أخبرتني أنها تتذكر فترة شعرت فيها أن العالم كله يتآمر عليها، لكنها اليوم، رغم أنها لا تزال تواجه تحديات مهولة بصفة يومية، تشعر أن العالم يحتشد دعمًا لها. من بين عشرات النساء المدهشات اللاتي دعمتهن منظمة أصوات حيوية على مر السنين، يقفز إلى ذهني اثنان بفضل ما قاما به من جهود في سبيل تحدي مصائرهما وإعادة تشكيل مستقبلهما. في عام ٢٠٠٢، عندما كانت مختاران ماي من قرية ميروالا بباكستان، في الثلاثين من عمرها، ضُبط شقيقها الأصغر وهو يمسك بيد فتاة من طبقة اجتماعية أعلى. ولاستعادة الشرف القائم على أساس الطبقية الاجتماعية، أمر مجلس قضائي عقدته القرية باغتصاب مجموعة من رجال القرية لمختاران ماي جرَّاء إثم

أخيها. ونُفذ الحكم! وتركوها تعود إلى منزلها شبه عارية سيرًا على الأقدام أمام عيون مئات القرويين. تُملي التقاليد في مثل هذه الحالات أنه على الفتاة أن تقتل نفسها جرَّاء ما لحق بها من عار، لكن بدلًا من الانتحار، أبلغت مختاران عن الاغتصاب، وناضلت من أجل تقديم مغتصبيها إلى العدالة. وفي حكم تاريخي هزَّ الأمَّة، أُدين المغتصبون، وتلقت مختاران تعويضًا ماليًّا من خلال نظام العدالة الجنائية.

كانت قصة لا تُصدق، لكن إليكم الجزء الأكثر إثارة للإعجاب: استخدمت مختاران الأموال التي تلقتها في بناء مدرستين ابتدائيتين في قريتها؛ واحدة للفتيان وأخرى للفتيات. رأت مختاران أن التعليم هو أفضل سبيل للتغلُّب على نوع الوحشية الذي قاسته. ولما كانت مختاران أُمِّيَّة، فقد التحقت بمدرستها لتتعلم كيف تقرأ وتكتب.

لا تزال مختاران تتلقى تهديدات بقتلها، لكنها ترفض ترك مجتمعها. ونتيجة لشجاعتها ونضالها من أجل العدالة الاجتماعية، أصبح التقدم ملموسًا في كثير من القرى غير قريتها. في عام ٢٠٠٦، كرَّمت منظمة أصوات حيوية مختاران ماي بمنحها جائزة فيرن هولاند، التي تخلد ذكرى سيدة أمريكية شابة ذهبت إلى العراق أثناء بعض من أصعب الأيام التي مرت بها البلاد لتثقيف النساء الشيعيات بشأن حقوقهن، ولإدماجهن في العملية السياسية. في عام ٢٠٠٤، أُطلق الرصاص على فيرن هولاند لتلقى حتفها وهي في سن الثالثة والثلاثين بالقرب من كربلاء. وكل عام نتذكر بسالة فيرن والمخاطر الجريئة التي أقدمت عليها في معركتها من أجل ما آمنت بأنه الصواب؛ تمامًا مثل مختاران ماي.

أما السيدة الثانية فهي سومالي مام. كانت سومالي يتيمة وُلدت في خضم الفقر والفوضى اللذين شاعا في ريف كمبوديا في سبعينيات القرن العشرين. ذات يوم اقترب منها رجل قدَّم نفسه على أنه جدها. طار قلبها فرحًا لعثورها على أسرتها الحقيقية، وهو الحلم الذي راودها طيلة طفولتها، لكن الرجل خان ثقتها وباعها لتعمل في الاسترقاق الجنسي. نشأت سومالي وهي تعمل في بيت دعارة، لتقاسي يوميًّا الضرب والتعذيب والاغتصاب والهوان على أيدي رؤسائها أو عملائها. وعندما قتل أحد القوادين صديقة مقربة منها أمام عينيها، استجمعت سومالي شجاعتها وفرَّت.

أغلب النساء اللاتي فررن من أوكار الدعارة لم ينظرن خلفهن، لكن سومالي جعلت إنقاذ الفتيات والشابات الأخريات شغلها الشاغل؛ ففي عام ١٩٩٧ أنشأت المنظمة غير الحكومية التي تحمل اسم «التحرك من أجل النساء المستضعفات»، والتي كرَّست

جهودها لإنقاذ الفتيات اللاتي أُجبرن على العمل بالدعارة، وإعادة تأهيلهن، وإعادة دمجهن بالمجتمع. نظمت سومالي غارات على أوكار الدعارة وأحضرت فتيات بلغن من الصغر سن الرابعة إلى ملاجئها؛ حيث تُقدم لهن الرعاية والتعليم والتدريب الذي يحتجنه لإعادة بناء حياتهن. ورغم التهديدات المستمرة لحياتها ولأحبائها، ثابرت سومالي ملتمسة الضغط الدولي من أجل تقديم مرتكبي هذه الجرائم إلى العدالة.

التقيتُ سومالي أولَ ما التقيتها في عام ٢٠٠٣، وسافرتُ إلى كمبوديا عدة مرات منذ ذلك الحين لدعم عملها وفتح قنوات اتصال بينها وبين المانحين وغيرها من القائدات. في إحدى هذه الرحلات، اصطحبتنا سومالي إلى أحد ملاجئها خارج العاصمة الكمبودية بنوم بنه، وهناك استُقبِلنا بالابتسام والضحك وسومالي تقدِّمنا إلى مجموعة مشكَّلة من ثمانين فتاة كلهن عشن بالملجأ، لكن بمجرد أن بدأت الفتيات يروين قصصهن أخذت الابتسامات تتلاشى ابتسامة تلو الأخرى وتتحول إلى نحيب، وكل فتاة منهن تعيش مجددًا الرعب الذي قاسته وهي تستمع إلى تجارب الأخريات. روت لنا فتاة كيف أنها حُبست في حفرة كالقبر ولم تُخرج منها إلا من أجل خدمة ما يصل إلى عشرين رجلًا في اليوم، وأخرى روت لنا أنها في الرابعة عشرة من عمرها وتحمل في أحشائها جنينًا، ومصابة بفيروس نقص المناعة البشرية، ويتملكها الذعر.

كان الاستماع إلى تجاربهن مؤلمًا ألمًا مبرحًا، إلا أن ألم الاستماع أقل كثيرًا من ألم مقاساة تلك التجارب. قبل أن تعود مجموعتنا إلى الولايات المتحدة، سألتُ سومالي عن المصدر الذي تستمد منه القوة للاستمرار، فأجابتني: «الأمر بسيط: إنه الحب.» الحب الذي لم تنعم به كطفلة تقدِّمه الآن بلا مقابل للفتيات اللاتي تنقذهن.

تسير هؤلاء القائدات بيننا دون أن نعرفهن، وهذا يزيدهن تميزًا على تميز. فلكم تأثرت على مر السنين كل عضوة بمنظمة أصوات حيوية والتمست الإلهام، واكتسبت التواضع من هؤلاء النساء اللاتي يغيرن وجه العالم ويكملن المسيرة إلى النهاية، حتى عندما يعني ذلك الإقدام على مخاطر استثنائية!

في عام ٢٠٠٥، وعشية الذكرى العاشرة لمؤتمر الأمم المتحدة العالمي الرابع المعني بالمرأة في بكين بالصين، قررنا أن نعقد لقاءً يجمع خمسًا وعشرين من أكثر القيادات النسائية نشاطًا بشبكتنا. لقد مرت خمس سنوات منذ أن جمعناهن أول مرة في شبكة عالمية. ومنذ ذلك الحين — واستنادًا إلى نصيحتهن — تحولنا إلى منظمة غير حكومية لا

تهدف للربح، وعقدنا عشرات البرامج التدريبية في أربع قارات في مجالات حقوق الإنسان والمشاركة السياسية والتنمية الاقتصادية. لكن مع اقترابنا من ذكرى مؤتمر الأمم المتحدة هذا، ترسخ لدينا الوعي بأنه لا تزال هناك عقبات جوهرية تعوق سبيل تقدم المرأة في جميع بلدان العالم تقريبًا. لقد أمكننا رؤية التغيير الذي كانت تحققه النساء اللاتي قمنا بدعمهن في مجتمعاتهن، لكنها كانت معركة تجمعت فيها كل العوامل ضدهن؛ لأنهن كن يكافحن في عالم يفتقر إلى تكافؤ الفرص.

جمعنا شمل المجموعة لنتأمَّل الإنجازات التي حققناها بالفعل، والأشياء التي لا نزال بحاجة إلى تحقيقها. كان اجتماعنا أيضًا يهدف إلى التفكير على نحو غير تقليدي. لقد ظللنا نستخدم الاستراتيجيات نفسها واللغة ذاتها، وكان التقدم على مستوى العالم بطيئًا. ربما كان الوقت قد حان لخلق استراتيجيات جديدة ومبتكرة وتوضيحها والاستثمار فيها. ولجعل التغيير التحويلي من أجل النساء عالميًّا، ينبغي لنا أن نحذو حذو القائدات اللاتي أثرن إعجابنا حول العالم، وأقدمن على مخاطر جريئة، وتركن بصمة في أوطانهن. وأدركنا على أرض الواقع أننا كمنظمة ينبغي لنا — نحن أنفسنا — أن نتمتع بجرأة الإقدام على مزيد من المخاطر كي نحقق تقدمًا حقيقيًّا للمرأة.

على مدار أربعة أيام من النقاش والمداولة، اتفقت إحدى وعشرون قائدة من مختلف البلدان النامية على أنه مهما كانت المشكلات الخاصة التي تواجه النساء، أو تؤثر عليهن سلبًا، أو على نحو غير متكافئ — بما يشمل الفقر والجوع، وعدم توافر الوظائف المناسبة والفرص الاقتصادية، وعدم التمكين سياسيًّا، وفيروس نقص المناعة البشرية/الإيدز، ووفيات الأمهات، والعنف، وتغير المناخ — فإنها تنبع من نفس الأسباب الهيكلية والنظامية المترسخة. ويمكن أن تُعزى إلى عقبتين أساسيتين؛ الأولى: هي غياب الإرادة السياسية. اكتشفت هؤلاء القائدات أن ثمة حاجة كبيرة إلى تعضيد عزم الحكومات حول العالم من أجل وضع سياسات وتشريعات، وتخصيص موارد للنهوض بحقوق المرأة في بلدانهن. تنبع الإرادة السياسية من الناس في أي مجتمع من المجتمعات ومما يطلبونه من الحكومة. فلا يطلب عدد كافٍ من الناس، وخاصة أصحاب النفوذ أو التأثير، أن تتخذ الحكومة إجراءات من أجل الارتقاء بوضع المرأة؛ ولذا بينما توجد قوانين مكتوبة تهدف إلى حماية المرأة أو النهوض بها لا تُنفذ هذه القوانين ولا تلقى التمويل الكافي، وكثيرًا ما لا تؤخذ على محمل الجد.

التحدي الثاني أو العقبة الثانية التي اكتشفتها القائدات كانت أكثر تعقيدًا، وهي تتمثل في أن النساء تُبخس قيمتهن داخل مجتمعاتهن؛ ففي بقاع كثيرة بالعالم، تختلف

مكانة النساء بالمجتمع عن مكانة الرجال، وغالبًا ما يعتبرن أقل قيمة. نتيجة لذلك، تحرص مؤسسات المجتمع — القانونية والاجتماعية والعرفية والتقاليدية والمواقفية — على أن تكون النساء في مرتبة أقل، ويظللن كذلك. يقود تدنِّي المكانة هذا إلى العنف ضد المرأة. وهذا هو الجزء الأكبر من العمل غير المكتمل لمؤتمر الأمم المتحدة العالمي الرابع المعني بالمرأة.

منذ عام ٢٠٠٥، صممنا، بالتعاون مع القائدات، منهجيات جديدة مبتكرة لمجابهة بعض من هذه التحديات العتيقة. بداية، لاستحضار الإرادة السياسية، عملنا من أجل توسيع قاعدة أصحاب المصلحة الذين يعتبرون تمكين المرأة من مصلحتهم ومصلحة مجتمعهم. والقادة في القطاع الخاص والزعماء الدينيون من بين مَن ندرك أن بإمكانهم استمالة الإرادة السياسية. ولإشراك الرجال، لا سيما في القطاع المؤسسي، سيتعين علينا التحدث بلغتهم؛ لذا انتقلنا من مرحلة لغة الإنصاف أو الحقوق إلى مرحلة بناء حجة اقتصادية لتمكين المرأة. بدأنا في نشر هذه الرسالة استراتيجيًّا واستباقيًّا من خلال كل برنامج تدريبي وكل حدث جماهيري، لتتغلغل في شبكتنا؛ فكل عام ينظر عدد متزايد من الشركات والحكومات حول العالم إلى الارتقاء بالمرأة بوصفه مسألة برجماتية اقتصادية. كما نعمل على استخدام الحجة الاقتصادية في قضية العنف ضد المرأة؛ فوفق مراكز مكافحة الأمراض والوقاية منها، يكلف العنف الأسري الاقتصاد الأمريكي خلال عام واحد فاتورة تبلغ قيمتها ثمانية مليارات دولار نتيجة نقص الإنتاجية، ونتيجة خدمات الرعاية النفسية والطبية.[14]

تُعَد التقاليد الثقافية العميقة الجذور من أصعب التحديات التي تواجهها النساء؛ لأن التغيير من هذه الأفكار الراسخة صعب للغاية، ولا يمكن التغلب على مثل هذه التحديات من خارج سياق المجتمع. وتساءلنا ربما تكون تلك العوامل ذاتها المسئولة عن تشكيل الثقافة — لا سيما عادة الحكي — بمثابة أداة قوية في المجتمعات حول العالم. وإضافة إلى تدريب السيدات وتوجيههن والتواصل معهن، بادرنا بحكي قصصهن المثيرة عن التغيير من خلال فيلم أو صورة أو برنامج إذاعي. وفي الوقت نفسه، حضرت كارول ماك؛ وهي كاتبة مسرحية رائدة، فعالية نظَّمها مجلس داعمي منظمة أصوات حيوية في كونيتيكت؛ حيث كانت تخطب الناشطة الأفغانية فريدة عزيزي. ألهب الحماس مشاعر كارول وسألت إن كان بإمكانها لقاء نساء أخريات يعملن مع أصوات حيوية، مثل فريدة، لديهن قصص حياتية عن التغلُّب على المآسي. كنا همزة الوصل بين كارول وست سيدات

أخريات من مختلف بقاع العالم، وتواصلت هي مع ست كاتبات مسرحيات أخريات. وعلى مدار السنوات القليلة اللاحقة، ألَّفن مسرحية مستوحاة من عمل وثائقي وأطلقن عليها اسم «سبعة»، نشرتها دار دراماتيستس بلاي سيرفس. تصوِّر المسرحية وتربط بين حياة سبع سيدات رائعات في شبكتنا. واعتبارًا من عام ٢٠١٢، تُرجمت المسرحية إلى اثنتي عشرة لغة وعُرضت في مختلف أنحاء العالم. تركز المسرحية بلا مواربة على موضوعات كثيرًا ما تعد من المحرمات، مثل العنف ضد المرأة، وكانت المسرحية بمثابة أداة قوية في المجتمعات لتفتيح الأذهان، وبدء الحوار حول قضايا مهمة كثيرًا ما تُغفل.

رغم أننا أصبحنا منظمة عالمية، لم ننسَ أن أصوات حيوية نفسها كانت فكرة جريئة، على عكس الأفكار التقليدية المقبولة آنذاك. في البداية كان من الصعب تحديد مقدار تأثير إعداد قائدة ودعمها، لكننا أدركنا أننا على الطريق الصحيح.

كانت استراتيجيتنا منذ البداية تعزيز ودعم القائدات اللاتي لهن وجود راسخ بالفعل في مجتمعاتهن. ندرك أننا عندما نُعدُّ قائدة ونُطلق العنان لإمكاناتها البشرية — مزودين إياها بمهارات جديدة، وبشبكة من القرينات والمرشدات، وبالثقة في تحقيق أحلامها — لا يمكن لأحد أيًّا كان أن يسلبها ذلك. الاستثمار في إعداد قائدات له مردود جيد، غالبًا ما يتسارع ويتضاعف بمرور الوقت من خلال تواصل هذه القائدة مع أخريات والتأثير فيهن. وقد أمكننا رؤية التغييرات التي صنعتها القائدات داخل مجتمعاتهن، وأدركنا أن قدرتهن الجمعية على إحداث التغيير تفوق قدرتنا نحن بكثير. ألهمتنا هذه الفكرة وحفَّزتنا للمثابرة واستكمال المسيرة. قوتنا الدافعة في ذلك هي «استثمر في النساء لتحسن أوضاع العالم.» وهي فكرة ابتكرتها منذ البداية دايان فون فيرستنبيرج؛ إحدى عضوات مجلس الإدارة.

ريبيكا لولوسولي

كينيا

> لستَ بحاجة إلى أن تكون متعلمًا أو ثريًّا كي تكون شخصًا ذا شأن في العالم، وكي تُحدث تغييرًا.

يمكنك سماع ريبيكا لولوسولي قبل أن تراها؛ فصوت اصطكاك الخرزات ورنين القطع المعدنية المتدلية من رداء الشوكا الأحمر لديها تُنبئ بقدومها. زارت ريبيكا منظمة أصوات

حيوية لأول مرة في ٢٠٠٨ كمشاركة في أحد برامجنا الاقتصادية؛ وهو برنامج رائدات الأعمال في الصناعات اليدوية في كيب تاون بجنوب أفريقيا. وبصفتها مؤسسة قرية أوموجا ياسو؛ وهي قرية مخصصة لنساء شعب السامبورو اللاتي عانين من الانتهاكات أو أُقصين من مجتمعاتهن، أتت ريبيكا تبحث عن سبل جديدة لتسويق منتجاتها؛ فنساء أوموجا يَعُلْنَ أنفسهن ببيع الحلي التي يصنعنها اقتداءً بمشغولات الخرز التي يصنعها شعب السامبورو حسب تقاليده.

التقيت شخصيًّا بريبيكا بعدها بأشهر عندما سافرت هي إلى واشنطن العاصمة، لحضور برنامج آخر من برامجنا؛ وهي حلقة عمل عن المشاركة السياسية استضفناها من أجل القائدات الأفريقيات. ورغم صوتها العذب وابتسامتها الدافئة المتواضعة، فلريبيكا حضور كحضور الملكات؛ فالطريق الذي سلكته إلى الزعامة كان عليها أن تنيره لنفسها؛ لأن النساء في ثقافة شعب السامبورو ينشَأْن على خدمة الرجال. حقيقةً عندما سمعتْ أول مرة عن مفهوم حقوق الإنسان طرحته جانبًا؛ لأنها افترضتْ أنه ببساطة لا ينطبق عليها باعتبارها امرأة من شعب السامبورو.

عندما كانت في التاسعة من عمرها، شهدت ريبيكا واقعة ضرب امرأة، ولم تنجُ المرأة التي كانت تعطف على أطفال القرية واعتادت الغناء واللعب مع ريبيكا. كان ذلك

أول احتكاك لريبيكا بالعنف الأسري. في سن التاسعة، لم يكن في وسعها شيء، لكن ظلت الذكرى محفورة في ذاكرتها وهي تشرع في أن تكون مدافعة عن السلم والمجتمع، وحقوقية ملتزمة بقضايا المرأة.

في ثقافة السامبورو، تُربى الفتاة لتصبح زوجة وأمًّا. تغض الأعراف الطرف عن الزواج القسري وختان الإناث والعنف الأسري. شاهدت ريبيكا النساء يقاسين هذه التقاليد، أحيانًا في خزي، ودائمًا في صمت. كثيرًا ما شاهدت نساء ينجونَ من الضرب الوحشي، ثم يُطردن من منازلهن، ويُتجاهَلْنَ مِن قِبل أسرهن ومجتمعهن. لاحظت ريبيكا أن هؤلاء السيدات لا يملكن مكانًا يذهبن إليه، وكثيرات منهن قضين نحبهن وحدهن. وهنا فاض كيل ريبيكا وقررت أن تتحدث.

عندما دافع الأقارب عن العنف واصفين إياه بأنه من التقاليد، احتجت ريبيكا. تحدثتْ إلى كبراء القوم وإلى غيرهم من القرويين، وإلى أي أحد يستمع إليها، بل وإلى كثير ممن رفضوا الاستماع إليها. شرحت لي الموقف قائلة: «إننا نحب ثقافتنا، لكن الجانب السيئ من ثقافتنا دائمًا ما يعادي المرأة.»

شعر كثيرون في مجتمع ريبيكا أن صوتها علا أكثر من اللازم، وأنها تمتعت بحرية فاقت الحدود المسموح بها. كانت جرأتها هجمة على التراتب الهرمي الراسخ. شعرت عائلة زوجها بالمهانة، وكثيرًا ما تعرضت للضرب بقسوة، إلا أن هذه الاعتداءات القاسية لم تزدها إلا صلابة في معركتها، وقررت أنها إن لم تتمكن من تغيير وضع المرأة في قريتها فستهجرها. وقررت تأسيس قرية جديدة تصبح ملاذًا للنساء اللاتي نُبذن أو أردن الهروب. وعلى قطعة أرض جدباء في شمالي كينيا، أسست ريبيكا مع ست عشرة سيدة شاركنها رؤيتها مساحة آمنة لنساء السامبورو ليعشن بالكرامة التي يستحققنها، وأطلقن على مشروعهن التشاركي المكتفي ذاتيًّا أوموجا ياسو؛ أي «نساء متحدات».

في عام ٢٠٠٨، زرتُ القرية بصحبة وفد من داعمي أصوات حيوية، وتأثرنا أيما تأثر بما شاهدناه. في ظل ثقافة لا تُقال فيها كلمة من أجل الحماية من العنف الأسري، خلقت ريبيكا مساحة آمنة للنساء ولأطفالهن.

أوموجا ياسو أكبر من مجرد ملاذ من العنف؛ إنها دليل على تطور في ثقافة عتيقة. في أوموجا ياسو تجري لغة تمكين المرأة على الألسن بثقة، وتتضافر حقوق الإنسان والتنمية الاقتصادية من أجل تشكيل مجتمع يسوده السلام وينعم بالتقدم. يعول المجتمع نفسه من خلال منظومة المشاركة في الموارد. فالسيدات يصنعن ويبعن

الحلي والمشغولات اليدوية المتقنة الصنع الباهرة الألوان، ويجمعن الدخل الذي تدرُّه هذه الأعمال ليوجِّهْنَه في أوجه كثيرة. يقدم صندوق المرض والإعاقة إعانات لأكثر النساء والفتيات ضعفًا، وتقدم المدرسة تعليمًا لأطفال أوموجا ياسو وكذا القرى المحيطة، بل وبدأت ريبيكا في تقديم تدريب للرجال حول الكيفية التي يمكنهم من خلالها حماية حقوق المرأة. أصبحت القرية رمزًا للتنمية وأملًا وليدًا. إنها رؤيتها وقد تحققت.

في عام ٢٠١٠، كرمت دايان فون فيرستنبيرج؛ مصممة الأزياء وعضوة مجلس إدارة منظمة أصوات حيوية، ريبيكا بجائزة فيرن هولاند مكافأةً لها على التزامها الثابت تجاه نساء أوموجا ياسو. في العام ذاته عرضت المصممة عقودًا صنعتها قرية أوموجا ياسو في مجموعتها الصيفية ومتاجرها. أرَتْني ريبيكا بعدها أن العائد الذي جنته أوموجا ياسو من هذه الشراكة أنقذ حياة القاطنين بالقرية؛ لأن إقليم سامبورو بكينيا عانى من جفاف شديد ذلك العام. واعتبارًا من عام ٢٠١٢ نما تعداد القرية ليربو على خمسين سيدة وطفلًا. تدرك ريبيكا أن بناتها يصرن سيدات يراعين التقاليد، لكنهن يفهمنها من منظور المساواة. وبفضل أوموجا ياسو، وبفضل ريبيكا، تسنَّت لهن الفرصة كي يعشن حياتهن كنساء ينتمين إلى شعب السامبورو، وكي يحافظن بكرامة على الجانب المشرق من تقاليد جميلة.

بانميلا كاسترو

البرازيل

يمتلك الناس القوة والحق اللازمين لتغيير الثقافة.

في عام ١٩٨٣ تعرضت امرأة برازيلية تُدعى ماريا دا بينيا للضرب الوحشي على يد زوجها الذي هجرها بعد ذلك. نجَم عن الاعتداء إصابة ماريا بشلل في نصفها السفلي، لكنه أيضًا حولها إلى مدافعة شرسة عن حقوق المرأة وأمانها. في فترة الثلاثين عامًا تقريبًا التي انقضت منذ الاعتداء، أصبحت ماريا لسانًا بليغًا يعبر عن آلاف السيدات اللاتي أسكتهن خزي العنف الأسري. فتحت تجربتها عيون كثيرات من البرازيليات على الانتهاك البدني للمرأة المتفشي في أنحاء البلاد؛ وهو بمثابة ظاهرة متغلغلة في الثقافة لدرجة أن كثيرين يتجاهلونها، ويرون أنها من الأمور الطبيعية المسلَّم بها.

كانت بانميلا كاسترو واحدة ممن ينتمون إلى هذه الثقافة. تلقت بانميلا تعليمًا فنيًّا رسميًّا؛ إذ درست بكلية الفنون الجميلة بجامعة ريو دي جانيرو الفيدرالية، وحصلت على شهادة الماجستير من جامعة ريو دي جانيرو الحكومية، ثم واصلت مسيرتها لتعمل مصممة، إلا أن شكلًا آخر من الفن استدعاها في ساعات متأخرة من الليل إلى شوارع ريو دي جانيرو. إنه فن الجرافيتي.

من حيث التخصص، تغلب على فن الجرافيتي منافسة شرسة؛ وهو قاصر على مناطق بعينها ويهيمن عليه الرجال، لكن موهبة بانميلا سريعًا ما نالت الاحترام؛ فعلى عكس كثير من المجتمعات التي يُعتبر فيها الجرافيتي تخريبًا للممتلكات، يعد في البرازيل شكلًا محترمًا من أشكال الفن الجماهيري غير التقليدي. وجدت بانميلا أن الجرافيتي يتيح مساحة مرئية لبعض من أكثر أعمالها خصوصية، والتي تتمثل في صور مثيرة للاهتمام لسيدات جريئات وجميلات وفتيات واثقات من أنفسهن. وقد أدركت أن بإمكانها استخدام مساحة الرؤية الواسعة التي ينالها الجرافيتي كمنتدًى جماهيري ثوري من أجل التغيير.

وجاءت الفرصة في عام ٢٠٠٦، بعد قرابة ثلاثين عامًا من النشاط الحقوقي المحلي والضغط الدولي الكبير، عندما أصدر الرئيس البرازيلي لويس إيناسيو لولا دا سيلفا قانون «ماريا دا بينيا». ولأول مرة يصنِّف العنفُ الأسريُّ انتهاكًا لحقوق الإنسان المكفولة للمرأة

قانونًا، واقتضى سياسات عامة لمنع وقوع مزيد من الضحايا، وعقاب المعتدين. وكما رأينا في مختلف أنحاء العالم، تمرير قانون من القوانين ليس ضمانة لتنفيذه. أرادت بانميلا، التي لم تكن تجاوزت سن الخامسة والعشرين آنذاك، جذب الانتباه إلى القانون التاريخي الذي حاربت ماريا دا بينيا بشراسة من أجل خروجه إلى النور؛ قانون غيَّر حقوق المرأة في البرازيل تغييرًا جذريًّا، لكن لم تكن تعلم به سوى قلة من النساء. ارتادت الشوارع مكوِّنة شراكات مع منظمات حقوق الإنسان لتحويل فن الجرافيتي إلى رسائل تشجب العنف الأسري في أجزاء من المدينة كانت موطنًا لأفقر النساء.

أرادت بانميلا أن تعلم السيدات اللاتي عانين من الاعتداء عليهن أنهن يتمتعن بحقوق، وأن هناك سبل حماية قانونية لهن تحت مظلة القانون الجديد. وبعد أن تعرفنا إلى بانميلا من خلال جيمي بريجز — مؤسس منظمة «مان أب» التي تستخدم الرياضة وثقافة الهيب هوب لإشراك الشباب في مكافحة العنف ضد المرأة في مجتمعاتهم — سافرنا إلى ريو دي جانيرو لنرى عملها بأنفسنا. وجدنا بانميلا إنسانة هادئة، بل ومتحفظة نوعًا ما، إلا أنها يغمرها الشغف ويتملكها التركيز. أطلعتنا بانميلا على مقابلاتها مع السيدات اللاتي تعرَّضن لانتهاك: «اعتدتُ الاستماع إلى حديثهن، وأدركت أنه باستطاعتي استخدام فني كوسيلة لنقل الرسالة التي أومن إيمانًا قويًّا بها: العنف غير مبرَّر أبدًا وغير صحيح. رأيت أنه بإمكاني مساعدة الأخريات على رؤية أنهن يمتلكن القوة اللازمة لتغيير الوضع.» صوَّرت جدارياتها المتألقة النابضة بالحياة سيدات قويات يتحررن من الظلم. أرادت أن تشعر النساء بالتمكين كي يخرجن عن صمتهن. وأعمالها الضخمة على جنبات البنايات والطرق السريعة كان من المستحيل تجاهلها. وتشرح بانميلا: «تقول رسوماتي: «حياتي ليست مجرد ما تشاهده على حائط. تعلَّم أن تحترمني وتسمع صوتي. لا أخشى التحدُّث».»

بانميلا دليل على أنه مهما كنت حديث السن، فلديك القوة على إحداث تغيير؛ فمن خلال منظمة ريدي نامي، التي شاركت بانميلا في تأسيسها وتستخدم الفن في تنفيذ مشروعات اجتماعية بهدف تغيير الثقافة، فإنها تتجاوز برسالتها حدود البرازيل لتصل إلى النساء في أرجاء العالم. وتواصل التعاون مع غيرها من الفنانين في ريو دي جانيرو، وتعقد ورش عمل للفتيات لمنحهن فرصة التعبير عن أنفسهن. سار ستوديو أرتفيتو على خطاها وأصبح منبرًا لتمكين الفتيات من التحدث بحرية ضد صور القهر التي يتعرضن لها، وليدركن ما يمتلكن من قوة.

تقول بانميلا: «نناقش القانون ونتحدث عن المساواة وعن حقوقهن. نتحدث عما تمثِّله الجداريات، ودائمًا أقول لهن إنهن لسن مضطرات للوقوع ضحية للقهر. يصوِّر الفن ما أومن به. بإمكان المرأة فعل ما تريده وهي تفعل ذلك. أنا أمثل هذه الفكرة، وأعتقد أن للجدران بَصْمَتها؛ بل إنها أنقذت كثيرًا من الأنفس.»

كارمليتا جوبيز نوكوي

الفلبين

عندما فشلت جهودنا الهادفة إلى التعاون مع حكومتنا من أجل وقف مشكلة الاتجار بالبشر، اتجهنا إلى المسئولين اليابانيين عوضًا عن الحكومة. أردنا أن نسألهم عن سبب احتياجهم إلى ثمانين ألف مغنية وراقصة كل عام.

منذ أوائل تسعينيات القرن العشرين، تعاونت كارمليتا جوبيز نوكوي مع السيدات الفلبينيات اللاتي يتم تهريبهن إلى اليابان، لا سيما بغرض الدعارة القسرية. تعود جذور مشكلة الاتجار بالبشر إلى أوائل سبعينيات القرن العشرين، عندما بدأت حكومة الفلبين في اعتماد النساء كمغنيات وراقصات؛ ما أهَّلهن للحصول على «تأشيرات مؤديات» من اليابان. وكل عام كان عدد النساء اللاتي يُرسَلن كمؤديات لليابان في ازدياد؛ أغلبهن لم يعملن مؤديات، بل انتهى بهن الحال أن يعملن «مضيفات» أو عاهرات. كثيرات حمَلن من رجال يابانيين كثيرًا ما كانوا يهجرونهن وأطفالهن. لسنوات لم تعترف الحكومة

الفلبينية بوجود المشكلة من الأساس؛ لذا سافرت كارمليتا إلى اليابان ست مرات في العام الواحد لتزور النوادي وتلتقي بالسيدات اللاتي تم تهريبهن، ورأت الانتهاكات رأي العين.

في فبراير عام ١٩٩٦، أسست كارمليتا منظمة «دون» التي كانت لها الريادة في تبنِّي منهج شامل لمواجهة الاتجار بالبشر من الفلبين إلى اليابان، ولدعم الضحايا في إعادة بناء حياتهن. بادئ ذي بدء، التزمت منظمة دون بدعم النساء اللاتي تم الاتجار فيهن بالفعل، فتأتي الضحايا إلى المنظمة في حالة من الصدمة. لقد هُجرن وغالبًا ما يكنَّ مريضات. هن في حاجة إلى إرشاد نفسي، ومساعدة قانونية، ورعاية صحية ومساعدة كي يَعُدن إلى مجتمعاتهن. تنسِّق المنظمة عودتهن من اليابان ولمَّ شملهن مع أسرهن، أو توفير ملاذٍ مؤقت لهن، أو غير ذلك من الخدمات النفسية والاجتماعية. بعد أن تقدِّم منظمة دون التوجيه لهن، توفر لهن التدريب على سبل بديلة لكسب العيش، مثل الحياكة والغزل اليدوي وصباغة الأقمشة. ومن خلال عملهن، تستعيد النساء كرامتهن المفقودة، وبمرور الوقت ينتقلن من فئة الضحايا إلى فئة الناجيات. كما توفر منظمة دون ورش عمل للتنمية الشخصية حول موضوعات عدة مثل مهارات الأمومة للأمهات العازبات. وبعد المشاركة في البرنامج، تمتلك السيدات اللاتي قاسين الاتجار من قبل الأدوات التي تمكنهن من أن يصبحن ناشطات وحقوقيات.

الأسلوب الثاني الذي تتبعه منظمة دون هو منع الاتجار بالبشر من خلال النشاط الحقوقي. لمدة عشر سنوات، ضغطت المنظمة من أجل سنِّ قانون لمكافحة الاتجار بالبشر في الفلبين بحضور جلسات اللجان البرلمانية، وتقديم بيانات مطلعة، واستقدام سيدات لعرض قصصهن على المشرعين. عندما تمت الموافقة على القانون في مايو ٢٠٠٣، تعاونت منظمة دون مع اللجنة المشتركة بين الوكالات المعنية بالقانون لتمثيل النساء اللاتي قاسين الاتجار.

كانت المشكلة أن الفلبين بلد فقير، وقد وفَّر الاتجار بالبشر مصدر دخل كبير. وعلى هذا، قررت كارمليتا التفكير على نحو أكثر إبداعًا؛ فبدلًا من الاستمرار في الضغط على المسئولين الفلبينيين، تواصلت مع الحكومة اليابانية، متوجهة بالسؤال إلى المشرِّعين اليابانيين مباشرةً حول سبب احتياجهم سنويًّا إلى ثمانين ألف راقصة ومغنية فلبينية. واجهت الحكومة اليابانية كذلك ضغطًا من المجتمع الدولي لاتخاذ تدابير من أجل مواجهة هذا الصنف من استرقاق العصر الحديث، وتخوفت من أن التقرير الوشيك المعني بالاتجار بالبشر والصادر عن وزارة الخارجية الأمريكية سيلقي الضوء على

أوجه القصور في منظومة مكافحة الاتجار بالبشر لديهم، فتجاوب المشرِّعون مع تواصل كارمليتا معهم.

في عام ٢٠٠٤، سافرتُ إلى اليابان والتقيت كارمليتا. كانت من بين المشاركات في برنامج صممته منظمة أصوات حيوية لحث الحكومة اليابانية على التعاون مع السيدات اللاتي يكافحن الاتجار بالبشر في أرجاء المنطقة. وفي ذلك الحين، كانت منظمة دون تجري أبحاثًا بأحدث التقنيات، وتستكشف استراتيجيات جديدة غير تقليدية. أخبرتني كارمليتا كيف كانت بصدد البدء في اصطحاب المشرعين اليابانيين والفلبينيين إلى النوادي لرؤية الموقف بأنفسهم. كما دعتهم كارمليتا إلى مانيلا للقاء الضحايا من النساء العائدات من اليابان والمنظمات غير الحكومية الأخرى المناهضة للاتجار بالبشر، وأطلعتهم على البيانات والوثائق المتعلقة بانتهاكات اليابان في قضية الاتجار بالبشر. قصت الناجيات من الاتجار قصصهن على أسماع المسئولين اليابانيين، فشعرت كارمليتا أنها أخيرًا تحقق نجاحًا.

مع استمرار محادثاتها مع اليابان، تمكنت من لفت انتباه المسئولين والمشرِّعين اليابانيين أخيرًا، وتعاونت معهم من أجل تغيير معايير الحصول على «تأشيرات المؤديات». شمل التعديل، الذي أُقر في مارس ٢٠٠٥، شروطًا تفيد بأن أي شخص يطلب الحصول على هذه التأشيرة يجب أن يثبت تلقِّيه تعليمًا، أو امتلاكه خبرة كمؤدٍّ في المجال الترفيهي. لم يعد تصديق حكومة أخرى كافيًا. أدى هذا إلى انخفاض حادٍّ في عدد المؤديات اللاتي ترسلهن الفلبين، من نحو ٨٠ ألفًا في عام ٢٠٠٤ إلى نحو ٣٨ ألفًا في عام ٢٠٠٥. وفي عام ٢٠١٠ لم يتجاوز عدد النساء الفلبينيات اللاتي أُرسلن إلى اليابان كمؤديات الألف.

كثيرًا ما تسمع كارمليتا نساءً يقلن: «بفضل منظمة دون، استعدت حياتي أنا وأطفالي. لدي سبيل الآن لكسب العيش من أجل أسرتي، وأنا الآن أدافع عن الأخريات.» تواصل كارمليتا دعم النساء اللاتي تدنَّى تقديرهن لذواتهن وامتُهنت كرامتهن في بحثهن عن حياة أفضل لأسرهن. بسطت كارمليتا ومنظمتها من نطاق عملهما بالتواصل مع الفلبينيات الأخريات اللاتي يعملن خادمات في الخارج.

لورا ألونسو

الأرجنتين

أعتقد أن أسوأ شيء يمكن أن تفعله مع بيئة فاسدة هو أن تتصرف بشفافية؛ فأنت تُظهر للناس أن بإمكانك أن تؤدي الأشياء بشفافية، ومن خلال ذلك تخبرهم أنه من الممكن إحراز تقدم.

في عام ١٩٨٣، عندما كانت لورا في العاشرة من عمرها، شهدت عودة الديمقراطية إلى الأرجنتين بعد سنوات من العنف الذي كانت ترعاه الدولة، والمعروف باسم «الحرب القذرة». ويُقدر عدد الأشخاص الذين اختفوا إبان الصراع بنحو ثلاثين ألفًا.[15] أخبرت لورا والدها أنها يومًا ما ستدرس العلوم السياسية وتعمل بالسياسة؛ للمساعدة في ضمان أن تصبح المُثُل الديمقراطية التي حارب كثيرون من أجلها جزءًا لا يتجزأ من مستقبل الأرجنتين.

بعد حصولها على درجة الماجستير من كلية لندن للاقتصاد، عادت إلى بوينس آيرس في عام ٢٠٠٢ وتقلدت منصبًا في منظمة «قوة المواطن»؛ وهي منظمة رقابية رائدة هدفها تسليط الضوء على الفساد، وتشجيع الشفافية الحكومية. بعدها بخمس سنوات، رُقِّيت إلى منصب المدير التنفيذي.

في عام ٢٠٠٧، التقيتُ لورا في ميامي ضمن برنامجنا التدريبي في مكافحة الفساد الذي صُمم من أجل قائدات أمريكا اللاتينية. كانت لورا قد أصبحت صوتًا مدنيًّا ذائع

الصيت، معروفة بأخلاقياتها القوية وبتسليطها الضوء على الفساد بالأرجنتين. وقع اختيار إي أنتوني واين؛ السفير الأمريكي بالأرجنتين آنذاك الذي كان مؤيدًا قويًّا لمنظمة أصوات حيوية لسنوات، على لورا للانضمام للبرنامج وقال لي إنها نجم صاعد. إضافة إلى ذلك، فإن لورا شعلة نشاط — لديها القدرة على الإقناع والدافعية والحماس — لكنها في الوقت نفسه عذبة، بل ومرحة بعض الشيء.

في عام ٢٠٠٨، عادت لورا إلى الولايات المتحدة إبان الحملة الرئاسية والانتخابات. وبملاحظتها الطريقة التي أُلهم بها الشباب واستُثمروا في العملية الديمقراطية، قالت: «أُغرمت بالسياسة مجددًا.» عادت إلى بوينس آيرس وهي مفعمة بالطاقة ومستعدة لإحداث تغيير. وبعد نحو عقد من الزمان قضتها في انتقاد الحكومة من الخارج، قررت ولوج مجال السياسة لمكافحة الفساد من الداخل. ولأن لورا كانت حقوقية تقدمية معروفة، فقد قبلت دعوة للترشح لانتخابات الكونجرس من حزب الاقتراح الجمهوري؛ وهو حزب معارض جديد ينتمي إلى يمين الوسط.

قُوبل ترشح لورا للكونجرس بانتقاد شديد من مجتمع المنظمات غير الحكومية والحزب الحاكم على السواء. تقول لورا عن ذلك: «عندما تعمل بمنظمة غير حكومية يُنظر إليك باعتبارك شخصية نزيهة، لكن عندما تدلف مجال السياسة يتغير ذلك فجأة، ويُنظر إليك باعتبارك معارضًا.» إلا أن لورا كانت عازمة على أن تُظهر للآخرين وتثبت لنفسها أنها ستظل مخلصة لمُثُلها العليا بالكونجرس. أرادت أن تثبت للمجتمع المدني ولزملائها من الساسة أن القيادة إذا ما استندت إلى الأخلاقيات والديمقراطية تؤتي ثمارها.

فازت لورا بالانتخابات، وفي مدة عضويتها بالكونجرس عملت على ضمان الشفافية، ولم تنأَ بنفسها عن القضايا الجدلية؛ فرغم تمثيلها لحزب محافظ في مجتمع تربطه روابط متينة بالكنيسة الكاثوليكية، قررت لورا ألا تدع مطامحها في إعادة انتخابها لفترة ثانية تُثنيها عن اتخاذ موقف إزاء القضايا الجدلية، فتقول: «عندما تنضم لحزب سياسي، من المفترض أن تدافع عنه. لا يهم إن كنت تدافع عن شيء تراه خطأ. لكنني لستُ من هذا النوع. فعندما أرى شيئًا خطأ أتحدث عنه، إلا أنني دائمًا ما أفكر في الكيفية التي أحسِّن بها من هذا الشيء. دائمًا ما أعرض المشكلة مصحوبة بحلٍّ.» في عام ٢٠١٠ كانت لورا الوحيدة في حزبها التي دعمت علانية المبادرة التي تهدف إلى تقنين زواج المثليين. امتُدحت الكلمة التي ألقتها بقاعة المجلس منذ ذلك الحين باعتبارها واحدة من

البيانات الأساسية التي كفلت الموافقة على الاقتراح. كما كانت مناصرة صريحة لحقوق الإنجاب. إنها تنتهج أسلوب القيادة بالقدوة؛ فرغم أن الأرجنتين لا تفرض الإفصاح عن رواتب وممتلكات المسئولين الحكوميين، أخلصت لورا لمبادئها الجوهرية بالتشجيع على الشفافية ومكافحة الفساد، ونشرت من تلقاء نفسها راتبها وبيانًا بممتلكاتها بصرف النظر عن الاحتجاج من جانب زملائها بالكونجرس.

بمرور الوقت، تعلمت أن تنتقي معاركها بعناية. أقامت لورا مواقفها على حقائق ودعمتها بالأدلة. كما أنها تتسلح بالمعلومات في القضايا التي تخوضها. فعلى سبيل المثال، قالت إن المشرعين من الرجال الذين يحاولون إجبار عضوة في الكونجرس على الاستقالة يخالفون القانون. ويقتضي قانون الحصص في الأرجنتين أن يُخصَّص ثلث المقاعد بالكونجرس للسيدات. لم تحاول لورا الدفع بأن ما يفعله المشرِّع جائر أو غير ديمقراطي أو ينطوي على ضغينة؛ فرغم صحة كل ما سبق، إلا أن لورا جابهت السلوكيات الفاسدة بمنهج عقلاني قائم على الحقائق، وبدلًا من أن تقف لمجرد أن يُستمع إليها وتُعرف كقائدة، كانت قيادتها تقوم على أساس تشجيع المُثُل العليا للديمقراطية.

كما اكتشفت لورا شركاءً غير متوقعين؛ فربما لا تتفق لورا مع كثيرين في حزبها حول قضايا اجتماعية معينة، إلا أنهم تعاونوا جميعًا بفعالية في التعامل مع قضايا تدور في فلك الشفافية. وبمرور الوقت، بدأ آخرون بالكونجرس في نشر رواتبهم أيضًا. وكثيرون ممن كانت تعتبرهم «أعداءً» إبان عضويتها بحزب الاقتراح الجمهوري أصبحوا منذ ذلك الحين داعمين وزملاء، تقول لورا: «اكتشفت أن كثيرين هنا يريدون أن يؤدوا المهام المطلوبة على نحو صحيح. أحيانًا لا يتوفر لديهم المعلومات الكافية أو الشركاء المناسبون، لكنهم يضمرون نوايا طيبة.»

بآرائها الجريئة وقناعاتها الراسخة، قد تبدو لورا مناسبة أكثر لدور الناشطة التي تحارب النظام من الخارج، لكنها أثبتت أنه بوسعها أن تكون سياسية ناجحة في حزب غير واعد، مع شركاء غير متوقعين، وتظل مخلصة لمثلها العليا. ويرجع ذلك بدرجة كبيرة إلى أن هدفها لم يكن مجرد البقاء في السلطة، بل هي عازمة على استغلال سلطتها من أجل إحداث التغيير والترويج للحوكمة الرشيدة.

جيو جيانمي

الصين

يقول مثل صيني قديم: «النساء يحملن نصف السماء.» لكن لن يتحقق ذلك إلا إذا تمتعت النساء بالحماية القانونية وبحقوق الإنسان.

كانت جيو جيانمي هي الأخرى من بين اللاتي أسرتهن خطبة السيدة هيلاري كلينتون التاريخية بالمؤتمر العالمي المعني بالمرأة في بكين عام ١٩٩٥. حتى الوقت الذي عُقد فيه المؤتمر، لم يكن قد اعتُرف بعدُ بانتهاكات حقوق المرأة في الصين. كانت توجد منظومة للمساعدة القانونية، لكن غاب الدعم لقضايا المرأة. في هذا المؤتمر الأممي، علمت جيو جيانمي بالدور الكبير الذي يمكن أن تؤديه المنظمات غير الحكومية في حماية حقوق المرأة، وأدركت أنها بوصفها محامية تتمتع بفرصة ومسئولية خلق سُبُل لحماية النساء في الصين بتقديم المساعدة القانونية لهن.

بعد ذلك ببضعة أشهر، أنشأت جيو مركز الدراسات والخدمات القانونية للمرأة. وهو يمثل أول منظمة غير حكومية في الصين مكرَّسة خصيصًا للدراسات والخدمات القانونية للمرأة. بالجمع بين القانون الدولي المعاصر والمنهجية الصينية التقليدية، يقدم المركز خدمات للسيدات اللاتي يعانين العنف الأسري والنزاعات، والتمييز على أساس

النوع في العمل، والتحرش الجنسي. عندما بدأت جيانمي عملها، لم تكن أغلب قوانين الحماية الشخصية بالصين سارية المفعول. ناضلت من أجل الحصول على اعتراف بهذه القوانين وإنفاذها، وضغطت من أجل سن تشريعات جديدة. استخدمت القوانين الدولية كنماذج لكن مع إدراكها أن أي تغيير ينبغي أن يكون متأصلًا في سياق صيني.

إلى جانب الإصلاح والمراقبة القانونية، أدركت جيانمي أنه على المركز التواصل مع عملائه، والمنظمات غير الحكومية الأخرى ووسائل الإعلام والحكومة، وبسط نطاق خدماته القانونية لتشمل الاستشارات والتقاضي والبحث والنشاط الحقوقي. أسست جيانمي المجموعة التعاونية للدعم القانوني — وهي منظمة غير حكومية — وشبكة الدعم القانوني لنساء الصين؛ لتجمع الحقوقيين والمحامين والمستشفيات، وعلماء الاجتماع والمسئولين الحكوميين، والمحاكم والمدارس والصحافيين، والمنظمات غير الحكومية، وعلماء النفس في ثمانية وعشرين إقليمًا في مختلف أنحاء الصين. كما دشَّنت منظمة جيانمي أول موقعٍ إلكتروني وخطٍّ ساخن غير حكوميين في الصين لتقديم الخدمات القانونية للبلد بأسره. وفي عام ٢٠٠٥، أنشأ المركزُ «وِمينز ووتش، الصين»؛ وهي قاعدةُ بياناتٍ مزودة بإمكانية البحث ومركزٌ للسياسات العامة مكرَّس لحقوق المرأة.

وعلى عكس العرف القانوني الصيني السائد الذي تصدر في ظله القوانين من السلطة الوطنية إلى عموم الناس، كان منهج جيانمي للإصلاح القانوني يتجه من أسفل إلى أعلى؛ فعندما كانت تكسب قضية محلية، يروِّج المركز للسابقة القضائية في أرجاء الإقليم من خلال الدعاية والتدريبات المجتمعية. وعلى هذا النحو، تدعو جيانمي وفريق عملها إلى تبنِّي سياسة جديدة من المستوى المحلي إلى الضواحي، ومنها إلى المدن، ثم في النهاية إلى مركز الإقليم.

لقد تتبعتُ نشاط جيانمي لسنوات، لكني لم ألتقِ بها إلا عام ٢٠٠٥ عندما عقدت منظمة أصوات حيوية اجتماعًا في نيويورك قرب الذكرى العاشرة لمؤتمر الأمم المتحدة العالمي المعني بالمرأة في بكين. في ذاك الوقت، تأمَّلت جيانمي تجارب المركز على مدار ذاك العقد من الزمان واصفةً إياها بأنها أشبه «بصعود جبل مع دفع عربة مثقلة بالأحمال في مواجهة ريح عاتية.» آنذاك، في عام ١٩٩٥، كانت حقوق المرأة والدعم القانوني والمنظمات غير الحكومية بصدد الخروج إلى النور في الصين. كان فريق العمل بالمركز يؤدي عمله بقدر بسيط من الخبرة وبتمويل متواضع، وكان نموذج القيادة المركزية التقليدية في الصين يعيق الحوار بين القطاعات المختلفة، ويزيد من صعوبة حصول

المنظمات غير الحكومية على الاعتراف بها. كان فريق عمل المركز يواجه ضغوطًا جمة؛ إذ كانوا يقدمون فكرة جديدة لم يسبقهم إليها أحد.

بالنظر إلى الماضي، ساعد المركز قرابة الخمسين ألف شخص، وتولَّى أكثر من سبعمائة قضية، رُبح أكثر من نصفها. وفي العشر سنوات الماضية، شهدت جيانمي وفريقها زيادة بنسبة ٧٠ بالمائة في عدد السيدات اللاتي يبلِّغن عن انتهاكات فيما يتعلق بحقوق الإنسان والحقوق القانونية. لم تكن تجربتهن سهلة دائمًا، لكن جيانمي واثقة من أن الصين تمر بلحظة تاريخية في النضال من أجل الحقوق القانونية للمرأة.

شوشو ناميجابي دوبويسون

جمهورية الكونغو الديمقراطية

> من خلال عملي كصحافية وجدت النساء الكونغوليات يتعرضن لتكميم الأفواه، فقررت أن أناضل من أجل حريتهن في التعبير.

في استطلاع رأي نظَّمه برنامج «تراست لُو وِمين» التابع لمؤسسة طومسون رويترز في يونيو من عام ٢٠١١، والذي صنَّف أسوأ بلدان العالم بالنسبة للإناث، كان ترتيب جمهورية الكونغو الديمقراطية ضمن البلدان الخمسة الأوائل.[16]

نشبت الحرب الأهلية في أنحاء جمهورية الكونغو الديمقراطية، التي تقع في قلب أفريقيا، لسنوات طوال، وتشير التقديرات إلى أن الحرب أودت بحياة ٥٫٤ ملايين شخص منذ عام ١٩٩٨.[17] يُستخدم العنف الجنسي كتكتيك حرب، ويهدف إلى تدمير المجتمعات وتهجير الناس من الأراضي الغنية بالمعادن من خلال الترويع والتخويف والإذلال، والنشر المتعمد لفيروس نقص المناعة البشرية. كل عام يُغتصب ما يقرب من نصف مليون سيدة وفتاة — وهذا ما يربو على ألف سيدة كل يوم — ما جعل الأمم المتحدة تعلن جمهورية الكونغو الديمقراطية عاصمة الاغتصاب في العالم.[18] تتعرض الإناث من كل الأعمار للاغتصاب الجماعي والاغتصاب تحت تهديد السلاح، وكثيرًا ما يُجبرن على الخدمة كجنديات أو كرقيق جنسي. بعض الضحايا من الإناث يبلغن من العمر بضعة أشهر وحسب. ومع عدم تركيز الحكومة على حماية حقوق المرأة، وفي ظل منظومة قضائية هشَّة، لا يوجد ملاذٌ للنساء اللاتي يتعرضن للاعتداء، وإن وُجد فإنه يكون ضعيفًا.

في خضم هذا الرعب، استجمعت قلة جسورة قوتهن للتعبير عن أنفسهن. تُعرف شوشو ناميجابي دوبويسون بأنها صوت رائد لا يعرف الخوف ينادي من أجل العدالة والمساءلة. وُلدت شوشو في مدينة بوكافو بمقاطعة كيفو الجنوبية، وولعت بالإذاعة والصحافة وهي طالبة شابة. رأت الإذاعة وسيلة للوصول إلى الجماهير؛ لأنها وسيلة الاتصال الوحيدة في الكونغو المتاحة لكل شخص تقريبًا في كل مكان.

حظيت شوشو بانطلاقتها في عام ١٩٩٧ كمذيعة بإذاعة راديو مانديليو؛ وهي محطة إذاعية مجتمعية محلية لها شعبيتها. ومع اجتياح العنف للكونغو الشرقية في أواخر تسعينيات القرن العشرين، حوَّلت شوشو، التي كانت لا تزال في أوائل العشرينيات من عمرها، مذياعها إلى سلاح فاعل ضد انتهاكات الحقوق الإنسانية للمرأة، التي شهدتها حولها في كل حدب وصوب. وفي عام ٢٠٠٣، شاركت في تأسيس الاتحاد الإعلامي النسائي في كيفو الجنوبية لرواية قصص آلاف السيدات اللاتي لا يُسمع لهن صوتًا. تستخدم شوشو الإذاعة كمنبر للتبليغ عن الاعتداءات التي تتعرض لها النساء، وتطالب بتحقيق العدالة ومساعدتهن على البدء في التعافي.

منذ عام ٢٠٠٩، أجرت شوشو وفريقها لقاءات مع أكثر من خمسمائة سيدة في كيفو الجنوبية. كانت القصص التي سمعتها عن الجرائم الشنيعة التي ارتُكبت، بحقٍّ، لنساء بريئات من الفظاعة والبشاعة إلى الحد الذي جعل شوشو تقول إنها لن تنساها

طيلة حياتها. تتذكر قائلة: «قابلت سيدة لها من الأطفال خمسة. اصطحبها المتمردون إلى الغابة مع أطفالها، وأبقوا عليهم هناك لعدة أيام. ومع مطلع كل يوم، كان المتمردون يقتلون واحدًا من أطفالها ويجبرونها على تناول لحمه. رجتهم أن يقتلوها لكنهم رفضوا وقالوا لها: «لا! سنُبقي عليك حية كي تُعَذَّبي».»

بالاستعانة بالاتحاد الإعلامي النسائي في كيفو الجنوبية، ومن خلال البث الإذاعي، تسلِّط شوشو الضوء على قصص النساء، لا سيما في المناطق الريفية. لقد رفعَتِ النازلةَ التي ألمتْ بالكونغوليات إلى مستوى المجتمع الدولي بالسفر إلى لاهاي في ديسمبر ٢٠٠٧؛ لعرض قضية نساء كيفو أمام محكمة العدل الدولية.

لفتت شوشو انتباهي في عام ٢٠٠٨ لاستنكارها، دون خوف، إفلات كبار قادة المتمردين من العقاب. في مارس عام ٢٠٠٩، كرَّمتها منظمةُ أصوات حيوية لجسارتها وإخلاصها لقضيتها في حفل توزيع جوائز القيادة العالمية؛ لأننا لاحظنا أن القصص التي التزمت شوشو بروايتها ينبغي أن تتخطى حدود جمهورية الكونغو الديمقراطية. أثناء تقديم الجائزة، صرح بن أفليك؛ الممثل والمخرج والناشط في مجال شئون جمهورية الكونغو الديمقراطية: «ما دام العنف الموجه ضد المرأة — سواء العنف الجنسي أو صوره الأخرى — قضية تخص المرأة وحسب؛ فسيظل دومًا مشكلة قائمة.»

بعدها بشهرين، انضمت أصوات حيوية إلى اللجنة الفرعية، التي شكلتها حديثًا السيناتور باربرا بوكسر بشأن الحقوق الإنسانية للمرأة، لاستضافة جلسة بمبنى الكابيتول هيل حول العنف الموجه ضد المرأة في أنحاء جمهورية الكونغو الديمقراطية. عادت شوشو إلى واشنطن لتشهد أمام المجلس قائلة:

> لماذا؟ لماذا يخوضون حربهم على أجساد النساء؟ لأن هناك خطة موضوعة لبث الخوف في المجتمع عبر المرأة؛ لأنها هي قلب المجتمع، فعندما تُطرح المرأة أرضًا، يتبعها المجتمع بأسره. كما إننا نسأل: لماذا تصمت البلدان المتقدمة؟ عندما تُقتَل غوريلا في الجبال، نشهد الاحتجاجات، ويحشد الناس موارد ضخمة لحماية الحيوانات، إلا أن أكثر من خمسمائة ألف سيدة اغتُصبت ولم يحرك أحد ساكنًا. وبعد كل ذلك تقومون بإحياء ذكرى من قُتلنَ وتقولون: «لن يتكرر هذا أبدًا.» لكننا لا نريد فعاليات لإحياء الذكريات، بل نريد منكم اتخاذ إجراء الآن.

سيكون من الصعب على أي شخص في البيئات التي تحدث فيها أسوأ فظائع البشرية ألا يشعر بالعجز أو الضعف، بل وربما يستخف بقدرته على إحداث التغيير. تعمل القائدات مثل شوشو كل يوم في مثل هذه البيئات، يحدوهن الأمل، ويملؤهن الإصرار على تغيير مجرى الأحداث. وهذا هو أفضل ما في الإنسانية، فشوشو ترى النور في نهاية النفق حيث لا يرى الآخرون سوى الظلام الدامس. ذات مرة قالت لي شوشو: «عندما تفقدين كل شيء، يبقى صوتك الذي تعبرين به عن نفسك.»

سوهيني تشاكربورتي

الهند

أنا لا أُعلِّم الرقص؛ أنا أبثُّ الكرامة واحترام الذات في النفوس.

بعد ظهيرة أحد الأيام المشمسة من عام ١٩٩٦، كانت الراقصة وعالمة الاجتماع سوهيني تشاكربورتي تتجول عبر الأكشاك بمعرض كلكتا السنوي للكتاب عندما لفت أحد الملصقات انتباهها. كان الملصق يحمل صورة فتاة هندية حديثة السن وقصيدة:

يبيعون لي دمي مقابل الذهب والفضة
طهرت فمي كثيرًا لكن طعم الخيانة لا يزول
لم يعد في وسعي أن أكون عروسًا
لم يعد بإمكاني أن أكون أمًّا
لم يعد باستطاعتي أن أكون المستقبل.

تتذكر سوهيني قائلة: «وجدت نفسي من فوري أدلف حيث عُلق الملصق لأكتشف المزيد عن المنظمة، وبإقدامي على ذلك، شرعت في رحلة جديدة من شأنها أن تغير حياتي للأبد.»

أعدَّت الملصق منظمة اسمها «سانلاب»؛ وهي منظمة غير حكومية في كلكتا تنقذ الفتيات اللاتي سقطن ضحايا للاتجار بالبشر والدعارة القسرية. عندما زارت سوهيني الملجأ للمرة الأولى، صُعقت لرؤية وجوه الفتيات؛ كانت عيونهن تخلو من التعبير أو الاهتمام، وبدت وجوههن أكبر كثيرًا من أعمارهن. تساءلت سوهيني كيف كانت غافلة

عن مشكلة الاتجار بالبشر في الوقت الذي كانت الفتيات في حيها السكني يقعن ضحايا لها. وبعد لقائها بالناجيات بالملجأ، تساءلت عما بوسعها القيام به للمساعدة.

قبل ذلك بست سنوات، عندما قضت والدة سوهيني نحبها جرَّاء مرض السرطان، انغمست سوهيني في الرقص لمساعدتها على تجاوز مصابها. في الصباح التالي، عادت إلى سانلاب وعرضت التطوع بتدريس الرقص للفتيات. قالت لها مديرات الملجأ إنها فكرة مجنونة، وإنها لن تنجح، لكن سوهيني كانت على قناعة بأن الرقص يمكن أن يكون بمثابة وسيلة فعالة من أجل تعافيهن.

في البداية، غلبت العواطف كثيرات من الفتيات — من الإثارة إلى البكاء إلى الغضب — لدرجة أنهن أحيانًا لم يستطعن الحراك. تشرح سوهيني ذلك قائلة: «الفتيات اللاتي سقطن ضحايا للعنف والاتجار بالبشر بغرض الجنس يشعرن بضيق بالغ من التعامل مع أجسادهن، ولا يشعرن بأهمية أجسادهن؛ لأنهن يعتقدن أن أجسادهن كانت سببًا في الوصمة التي لحقت بهن.» تركز الوسائل التقليدية لعلاج الصدمات على شفاء العقل وليس الجسد. رأت سوهيني أنه إن جرى تشجيع الفتيات على تحريك أجسادهن، فبوسعهن تحرير الألم القابع بداخلهن وبدء عملية الشفاء، وتضيف: «أعلِّمهن حركات الرقص بحيث يتمكَّنَّ من تعلُّم حب أجسادهن، وأن يصبحن فخورات بها، وأن يكتسبن

الثقة للخروج إلى العالم والسعي لتحقيق أحلامهن. تساعد حركات الرقص الفتيات على اكتشاف ما يختلج في صدورهن. وهذا بدوره يساعدهن على إخراجه.»

وسرعان ما أصبح لدى سوهيني ١٢٠ طالبة تراوحت أعمارهن بين السادسة والرابعة عشرة من ملجأ سانلاب. وهكذا ابتكرت سوهيني نموذجًا جديدًا وفعالًا مضمِّنة إياه أساليب للرقص استطاعت أن تعرفها من راقصات دوليات قابلتهن في سفرياتها.

تقول سوهيني: «في وكر الدعارة، لا تملكين سيطرة على جسدك، لكن عندما ترقصين، تكونين أنت التي تعبرين عن جسدك؛ لديك التحكم في جسدك، وفي عقلك، ولديك القدرة على التعبير عن نفسك. إنها الحرية.»

في عام ٢٠٠٤، أنشأت سوهيني منظمة كلكتا سانفيد؛ وهي منظمة غير حكومية تعلِّم الرقص، وتسعى إلى إنقاذ الشابات المعرضات للخطر والأسر الريفية التي لولا تلك الجهود قد تسقط ضحية للمتاجرين بالبشر. ومع تزايد الطلب على برنامجها في أنحاء الهند، بل وفي البلدان المجاورة، دشَّنت برنامجًا لتدريب الناجيات كي يصبحن معلمات. واعتبارًا من عام ٢٠١١ قدمت منظمة كلكتا سانفيد مساعدة مباشرة لأكثر من خمسة آلاف سيدة وفتاة، كان أكثر من نصفهن ناجيات من الدعارة القسرية. تنظِّم سوهيني حفلات عامة وشكلت فرقة من الراقصات المحترفات يَجُبن العالم. حازت سوهيني على الاحترام على نطاق واسع داخل مجتمعها، ومنَحتْ جهودها فرصة حياة جديدة للفتيات اللاتي تساعدهن.

دعمت منظمة أصوات حيوية سوهيني منذ عام ٢٠٠٣، وتحدوني رغبة قوية لزيارتها في كل مرة أسافر إلى الهند. كان اللقاء الأول في عام ٢٠٠٤. قابلتني سوهيني بالمطار، وانطلقنا معًا في سيارة أجرة متهالكة. توقفنا بضع مرات في طريقنا لاصطحاب الفتيات اللاتي كنَّ يشكلن جزءًا من البرنامج. كانت هؤلاء الفتيات ناجيات دربتهن سوهيني وأصبحن أنفسهن الآن معلمات.

ونحن نترك خلفنا المدينة الصاخبة الملوثة، انعطفنا من الطريق السريع المزدحم واتخذنا طريقًا غير ممهد لنصل في النهاية إلى مجموعة من البنايات الصغيرة المحاطة بأشجار النخيل. في الوقت الذي اصطحبني أحدهم في جولة لأتفقد المكان، جمعت سوهيني عددًا من الفتيات من أجل البروفة، لكن كان من الواضح أن خطبًا ما حدث. جذبتي سوهيني جانبًا وأطلعتني على أن إحدى الفتيات بالملجأ قضت نحبها الليلة الماضية. كانت في الثانية عشرة من عمرها، ومثل كثيرات من نزيلات الملجأ، كانت مصابة

بفيروس نقص المناعة البشرية. أما الفتيات الأخريات فكُنَّ يسألن سوهيني متى سيحين دورهن في الموت.

مكنني هذا اليوم من فهم ما تضطلع به سوهيني من مسئولية. إنها تواجه وباءً لا تلوح له نهاية. وتتعامل مع صدمة جديدة تظهر كل يوم، ومنهجيتها تساعد على التعافي من خلال التعبير عن الألم، لكن هذا يعني أيضًا أن بعضًا من أحلك الذكريات لا بد أن تظهر على السطح وتعيد الفتيات معايشتها من جديد.

لقد قطعت سوهيني شوطًا طويلًا. لم يعد الناس يقولون لها إنها مجنونة. ولا تزال سوهيني تستمد قوتها الدافعة من حلمين: تريد العالم أن ينظر إلى هؤلاء الفتيات باعتبارهن ناجيات لا ضحايا، وتأمُل أن تنشئ في يوم من الأيام معهدًا عالميًّا يمكن فيه تدريس أساليب العلاج المبتكرة، ويمكن عرضه على أناس من مختلف أنحاء العالم. أعلم أن سوهيني ستحقق ما تطمح إليه.

الفصل الخامس

رد الجميل

تقدمه ميلان فرفير
السفيرة المتجولة لقضايا المرأة العالمية بوزارة الخارجية الأمريكية، والمؤسس الشريك لمنظمة أصوات حيوية ورئيسة مجلس إدارتها الفخرية

لاحظنا في السنوات الأخيرة تحوُّلًا هادفًا في كلٍّ من إدراك وممارسة الدور الذي تتقلده النساء اللاتي ينهضن بالتغيير الاقتصادي والاجتماعي والسياسي. واليوم، نجد النساء في مركز الدبلوماسية وفي قلب جهود التنمية، فلم يَعُدن مجرد منتفعات، بل فاعلات في التغيير.

النساء حول العالم يُضِئْنَ مسالك جديدة، ويتغلبن على العقبات التي طالما عاقت سعيهن لخلق عالم أفضل. ويمثل النساء اللاتي حُزنَ التمكين إحدى أكثر القوى فعالية وإيجابية في إعادة تشكيل عالمنا؛ فنحن ندرك أنه عندما تتقدم المرأة يستفيد الجميع، رجالًا ونساءً، فتيانًا وفتيات.

عندما تُمكَّن النساء، فإنهن يُمَكِّنَّ مجتمعاتهن، ويمارسن ذلك الضرب من السلطة الذي يسعى لتحقيق المصلحة لكن ليس بغرض فرض الهيمنة. إنهن يشاركن معارف ومهارات وموارد جديدة، ويستثمرن في تعليم الجيل الصاعد وتدريبه على القيادة؛ فالنساء «يرددن جميل» نجاحاتهن لمجتمعهن. إنهن يضحِّين بأنفسهن، ويفهمن أن التقدم مسعًى مشترك؛ فهو مسعًى كلٌّ منا له مصلحة فيه. القائدات اللاتي قابلتهن من خلال منظمة أصوات حيوية — يسلط الفصلُ الضوءَ بإيجاز على بعضهن — هن نساءٌ؛ أمثال: دانييل سان-لوت من هاييتي، وجايا أروناشالام

من الهند، وماريا باتشيكو من جواتيمالا، وأنديشا فريد من أفغانستان، وليرون بيليج-هادومي ونُهى الخطيب من إسرائيل، وكاكينيا نتايا من كينيا، وسمر منة الله خان من باكستان. إنهن يتمتعن بقدرة مثيرة على رفع الروح المعنوية لدى الأضعف بينهن، وعلى إيصال أصوات من أخرستِ الظروفُ أصواتهن، وعلى إحداث تغيير.

إن التزامهن الاستثنائي بقضيةٍ وبرؤيةٍ تتجاوز نطاق الفرد هو ما يجعل هؤلاء النساء قائدات مدهشات؛ فكلٌّ منهن تقود من أجل أخريات. سيُخلد عملهنَّ كلًّا منهن؛ لأنه غير معنيٍّ أبدًا برحلة منفردة لامرأة واحدة، فليست هناك أية رحلات منفردة. إن نمط قيادتهن قائم على تأمين مستقبل أفضل للجيل القادم.

يُطلق على المساواة بين الجنسين باستحقاق «الالتزام الأخلاقي للقرن الحادي والعشرين». لا يزال هناك الكثير إلى أن تُحسم المعركة. إن قائدات كهؤلاء — الأصوات الحيوية في زماننا — يزدن من زخم التقدم الحادث على طريق تحقيق المساواة بين النساء والرجال، وهن بذلك يخلقن عالمًا أفضل للبشر في كل مكان.

* * *

في عام ٢٠٠٨، سافرتُ إلى جواتيمالا بصحبة وفد من منظمة أصوات حيوية لزيارة ماريا باتشيكو؛ التي قدمتها في الفصل الثاني. قالت لي عبر الهاتف: «لن تفهمي مدى تأثير منظمة أصوات حيوية عليَّ حتى ترَي ما استطعت القيام به من أجل شعبي.» في عام ٢٠٠٦، عادت ماريا من برنامج أصوات حيوية التدريبي في واشنطن العاصمة وهي تتوق إلى نشر المعارف التي حصلتها إلى النساء في جميع أنحاء جواتيمالا، لكنها أرادت نشر ما هو أكثر من المعارف؛ أرادت نشر رؤيتها لمستقبل أفضل، رؤيتها التي شعرتْ أنها حظيت بالاعتراف والدعم لأول مرة من خلال استثمارنا فيها.

تواصلت ماريا مع غيرها من القيادات النسائية في جواتيمالا بهدف تدشين فرع لمنظمة أصوات حيوية من أجل توجيه وتدريب مئات الشابات في أنحاء البلاد. وفي الوقت الذي حشدت فيه الدعم، نقلت الفكرة إلى قيادات نسائية في جميع أنحاء أمريكا الوسطى، وحكت لهن عن منظمة أصوات حيوية، وشجعتهن على استنساخ نموذجها في

بلدانهن. وعلى مدار العامين اللاحقين، دُعينا إلى فعاليات تدشين فروع أصوات حيوية في هندوراس والسلفادور وبنما. كان استثمارنا المبدئي في ماريا يعود بالنفع على النساء والمجتمعات في النصف الآخر للكرة الأرضية.

انضمامي إلى ماريا في جواتيمالا من أجل تدشين الشبكة الإقليمية رسخ لديَّ شيئًا شاهدته حول العالم؛ وهو أن القيادات النسائية يشعرن بحاجة قوية إلى «رد الجميل». ماريا — مثل كثيرات غيرها من القائدات اللاتي قابلتهن من خلال منظمة أصوات حيوية — تسعى للسلطة بغرض تمكين الأخريات؛ من أجل النهوض بأخريات لا تَرْكهنَّ على حالهن من الخضوع والمهانة. إنهن ببساطة يمتلكن رؤية تتجاوز نطاق إنجازهن الشخصي. لقد شاهدت هذا بنفسي في تفاعلات متسلسلة أطلقت شرارتها القيادات النسائية حول العالم.

النساء اللاتي تدعمهن أصوات حيوية يسعين وراء القيادة لا لزيادة سلطتهن أو تأثيرهن أو ثروتهن، وإنما كوسيلة للتشجيع على التغيير الإيجابي. ومنهج القيادة هذا يتسم بالمبادئ الأربعة التي تناولناها حتى الآن؛ فالإحساس الواضح بالواجب يزيد من زخم الأنشطة القيادية المنوط بها خلق تأثير إيجابي يتجاوز القائدة ذاتها؛ والاستماع إلى المجتمع والتعلم منه يُمكِّنان القائدة من التصرف على نحو شمولي؛ والاهتمام بآراء كلِّ مَن سيعود الأمر عليهم بالنفع، واستشراف إمكانية التأثير البنَّاء يشجعان الأفكار الجريئة والتحرك الجريء. والجمع بين هذه العناصر كلها يخلق تصورًا جديدًا للقيادة؛ تصورًا يتفهم السلطة لا باعتبارها شيئًا يكتنزه المرء لنفسه، لكن كشيء يشهد توسعًا في نطاقه عندما يشارك فيه الجميع.

عادة ما يُنظر إلى النساء باعتبارهن حاضنات؛ ومن ثم فإنهن قد يتكيَّفن — ويمتلكن، كما قد يذهب البعض، ميلًا بيولوجيًّا — نحو نمط التفكير الشامل.[1] هذا الجانب الاجتماعي والتربوي لدى النساء يضعهن في موقع فريد يمكنهن من إحداث تغيير دائم. وبوصفهن حاضنات للجيل القادم، تدرك النساء أن التغيير لا يكون مستدامًا إلا عندما يتم إعداد القائدات الصاعدات، أيضًا، اللاتي يعملن على استدامته.

كثيرًا ما سُمعت مادلين أولبرايت وهي تقول: «يوجد مكان في الجحيم مُخصص للسيدات اللاتي لا يساعدن غيرهن من السيدات.» في منظمة أصوات حيوية أذهلنا وجود النمط المقابل؛ الاستعداد النشط لدى القائدات اللاتي ندعمهن لعرض معارفهن ومهاراتهن ومواردهن من خلال العمل التطوعي والتوجيه، فهن يَتَحَيَّنَّ الفرصة لرد

الجميل. ثمة مثال عظيم على ذلك حدث في عام ٢٠٠٧، عندما التقت جيرالدين ليبورن؛ مؤسِّسة شركة أكسجين ميديا والمسئولة التنفيذية السابقة بها، بمجموعة من المتدربات من مختلف أنحاء العالم. أخبرتهن كيف أن نساءً شابات كن يطلبن مساعدتها باستمرار، ويحاولن اصطحابها لتناول الغداء أو لاحتساء فنجان قهوة من أجل التماس نصحها بشأن حياتهن المِهْنية. مع تجاوز الطلبات والالتماسات التي تتلقاها شركة نامية قدرة جيرالدين، كانت مساعدتها تخبر الشابات أن جيرالدين «لا تريد تناول وجبة أخرى أو تعطيل مسيرة يومها؛ إنها تريد ممارسة الرياضة.» وبذلك جعلت جيرالدين عادتها لقاء الشابات كل صباح في متنزه سنترال بارك، وكانت تقدم لهن النصح أثناء ممارستهن جميعًا رياضة المشي. تتذكر أنها توجهت بالحديث إلى نائبتها آندي بيرنستاين قائلة: «إليكِ فكرة سهلة التطبيق ... لنجمع النساء، بضع مئات وحسب، في متنزه سنترال بارك، وندعو صديقاتنا الرفيعات الشأن — اللاتي تصادف أن كنَّ ميريل ستريب، ودايان فون فيرستنبيرج، وهايدي ميلر وغيرهن — من أجل توجيه الشابات. ربما نحصل على تغطية إعلامية ونُبيِّن كيف تساعد النساء غيرهن.» وفي الوقت الذي تابعت جيرالدين وصف طريقة توجيه الشابات خلال عشر مرات تمارس فيها معهن رياضة السير؛ وهي الطريقة التي طبقتها في مختلف أنحاء البلاد في الأعوام القليلة اللاحقة، نظرتُ في أنحاء الغرفة حولي ولمستُ كيف استولت قصة جيرالدين على اهتمام كل المستمعات لها.

وكما هو متوقع، بعد أشهر قليلة، بدأت هؤلاء الشابات أنفسهن، بعد عودتهن لأوطانهن، في تنظيم مِشْياتهن التوجيهية، فجمعن كبار القائدات اللاتي يستحوذن على إعجابهن؛ وذلك للمشي معًا وتوجيه الشابات الواعدات خلال ذلك. وبإلهام من جيرالدين، انتشر المفهوم التالي على نطاق واسع في دول عدة: «إن أضئتِ شمعة سيدة أخرى فلن يُنقص ذلك من شمعتك شيئًا ... بل سيولد مزيدًا من الضوء والحرارة.» لقد صارت هذه الفكرة واقعًا عمليًّا وممارسة معتادة؛ ففي يوم السبت الثالث من شهر نوفمبر من كل عام، تسير السيدات — الخبيرات والصاعدات منهن — معًا في مجتمعاتهن، وعقب كل مرة يمارسن فيها رياضة المشي ويتبادلن أطراف الحديث، تُصمَّم برامج لبدء شراكات توجيهية، ولتعزيز الإمكانات القيادية لدى الشابات الطامحات. إلى الآن، بلغت المشيات التوجيهية آلاف السيدات في مختلف أنحاء قارات أربع. في عام ٢٠٠٩، سافرت جيرالدين معنا للمشاركة في المشية التوجيهية في كامبالا بأوغندا، والتي نظمتها الزميلة السابقة رحمة كاسيول، وفي عام ٢٠١٠، انضمت إلينا في بوينس آيرس من أجل التمشية التي قادتها ماريا هوخ وفرع منظمة أصوات حيوية في الأرجنتين.

تُقبِل القائدات على فرص التواصل مع شيء عالمي؛ شيء له منافع ملموسة تعود على مجتمعاتهن المحلية. في عام ٢٠١٠، ساءت زوي دين سميث؛ رائدة الأعمال والقائدة بمنظمة أصوات حيوية، إحصائيات صادمة في بلدها: ٤٩ بالمائة من الشابات البالغات من العمر الخامسة والعشرين حتى التاسعة والعشرين في سوازيلاند مصابات بفيروس نقص المناعة البشرية.[2] وتزداد المشكلة سوءًا؛ فأغلب حالات العدوى الجديدة — ٦٢ بالمائة — تحدث لدى الإناث.[3] فشلت عدة محاولات تدَخُّل من قبل الحكومة والمجتمع الدولي لإحداث تأثير، ولاحظت زوي أن المشكلة خانقة لاقتصاد البلاد. أدركت أنها بحاجة إلى حل غير تقليدي. في عام ٢٠١٠، سافرتُ إلى سوازيلاند لأنضم إلى زوي في إطلاقها برنامجها التوجيهي، الذي يجمع شمل فتيات المدارس الثانوية مع رائدات أعمال ناجحات. ومن خلال تجربة التوجيه، تهدف زوي إلى رسم خارطة طريق مختلفة للفتيات. سيكون من السابق لأوانه معرفة التأثير الكامل لهذا التدخل، لكن تلمس زوي تقدمًا فعليًّا يحدث؛ فقد كان لتجربة التوجيه تأثير لا يمكن إنكاره.

من خلال منظمة أصوات حيوية، انخرطت مع عدد لا حصر له من القيادات النسائية في نقاشات تتصل بجذور نجاحهن، وفي كل الحوارات تقريبًا تعزو القائدة إنجازاتها إلى فرد مكَّنها أو مجموعة من الأفراد مكَّنوها من الاستفادة المثلى من إمكاناتها. ربما كان هؤلاء الداعمون إناثًا أو ذكورًا؛ زملاء أو أُسرة، أو شركاء عاطفيين، أو أصدقاء. والسمة التي اشتركوا فيها جميعًا هي أنهم سلكوا مسلك الموجِّهين. وهم بذلك يحظون بقدر هائل ودائم من الامتنان من جانب السيدات اللاتي قدموا لهن الدعم.

ثمة أسباب واضحة لذلك؛ فببساطة لا توجد نماذج يُحتذى بها لنساء موهوبات وطامحات في الحياة العامة والخاصة حول العالم. ونتيجة لذلك، غالبًا ما تشعر النساء بالعزلة ويشككن في أنفسهن حتى يتم الاعتراف بأحلامهن وقدراتهن وتثبت صحتها بفعل قوًى خارجية. كثيرًا ما تذكِّرني سوزانا شاكو؛ رئيسة برنامج رانينج ستارت، بأنه حتى في الولايات المتحدة «تحتاج السيدات أن يُطلب منهن سبع مرات في المتوسط قبل أن يُفكِّرن جديًّا في الترشح لمنصب سياسي، في حين أن الرجال عامة يمتلكون القدر الكافي من الشجاعة لخوض حملة من الحملات مع قدر بسيط من التشجيع الخارجي.» وجدت سوزانا أن منظمتها هي «المقصد الأول» لفتيات المدارس الثانوية الواعدات سياسيًّا. لقد اكتشفنا بمنظمة أصوات حيوية أنه عندما تجد السيدات التشجيع للتصدي للتغيير وقيادته، فإنهن ينتهجن هذا السلوك؛ إذ يؤمِنَّ بسيدات أخريات، ويساعدنهن على الاستفادة المُثلى من قدراتهن.

مع إدراك منظمة أصوات حيوية لرغبة النساء في مشاركة غيرهن المزايا والاستثمارات التي استثمرتها المنظمة فيهن، سعينا عن قصد إلى جعل هذا التصور جزءًا من عملنا المستمر، وأطلعنا كل مجموعة جديدة من سيدات أصوات حيوية على قصص سيدات أخريات تعاونَّا معهن في الماضي، وكيف أن هؤلاء السيدات استغللن مهاراتهن ومعارفهن من أجل «رد الجميل». تحقق رجاؤنا وكان للفكرة صداها.

ففي عام ٢٠٠٨، على سبيل المثال، شاركت بريجيت دجوبينوكو؛ سيدة أعمال واثقة بنفسها من غانا، في برنامج التوجيه العالمي الذي تمخضت عنه شراكة جمعت بين مجلة فورتشن ووزارة الخارجية الأمريكية. كان هدفها تحسين مهاراتها وتعزيز اتصالاتها بحيث تتمكن من تعزيز حياتها المهنية باعتبارها مديرةً لنادٍ رياضي. بعد تلقي برنامج توجيهي على يد دونا أورندر؛ التي كانت آنذاك رئيسة اتحاد كرة السلة الوطني للسيدات، وسماعها قصة ماريا باتشيكو، اتسع نطاق أهدافها. في اليوم الأخير من البرنامج، أعلنت بريجيت أمام المجموعة: «جئت هنا وأنا لا أفكر إلا فيما يمكنني اكتسابه كي أحرز نجاحًا أكبر في حياتي المهنية. وأنا في طريقي لترك هذا المكان، أدرك أنني قائدة من القيادات النسائية اللاتي ينصب تفكيرهن على خدمة مجتمعاتهن، وكيف أمتلك الفرصة والمسئولية من أجل الاستثمار في الجيل القادم من الفتيات في وطني.»

بعد ذلك ببضعة أشهر، زُرنا بريجيت في أكرا بغانا. كانت قد أسست هوب سيستاس؛ وهو برنامج كرة سلة توجيهي للشابات. بريجيت على علم بأن الدروس المستقاة من ملعب كرة السلة — الثقة بالنفس والانضباط والتعاون والطموح السليم — هي أيضًا دروس بوسع الفتيات تطبيقها للفوز في لعبة الحياة. يجمع برنامج هوب سيستاس بين الرياضة وورش العمل التعليمية حول التطور المهني وصحة المرأة، وتستخدم بريجيت البرنامج للمِّ شمل الفتيات من أجل معالجة قضايا أكبر: التحديات المحلية والعالمية التي تهدد تقدُّم المرأة. تقول بريجيت: «أريد أن تَبلغ هؤلاء السيدات التمكين. أريدهن أن يتمكنَّ من الصمود، وألا يتزحزحن عن موقفهن، وأن يساعدن غيرهن. النساء بأفريقيا بحاجة إلى أن يدركن ملكاتهن ومقدار قوتهن.»

تزايد الاهتمام بأنواع الاستثمار في السيدات والفتيات التي تحقق أفضل العوائد. من خلال الخبرة التي اكتسبناها من العمل في منظمة أصوات حيوية، يدرُّ الاستثمار في رأس المال البشري من خلال التدريب والتعليم وتعزيز القدرات عوائد هائلة، لا سيما عندما تقترن بجهود تكوين رأس مال اجتماعي للمرأة، من خلال تزويدها بالموجِّهين وشبكة عالمية من القرناء والداعمين.

على سبيل المثال، في حالة بريجيت دجوبينوكو ودونا أورندر، لم يقتصر الأمر على أن دونا باعتبارها قدوة قد ساعدت بريجيت على فك طلاسم عملية النجاح في حياتها المهنية في مجال الرياضة. فبإطلاع دونا لبريجيت على جهات اتصال، وفرت لها السبيل لتكوين رأس مال اجتماعي، كانت ستكوِّنه بصعوبة بالغة إن اعتمدت على نفسها فحسب. نطلق على ذلك بمنظمة أصوات حيوية «رأس المال الاجتماعي المستعار»؛ وهو مصطلح كثيرًا ما كتب عنه البروفيسور دون بيرت في جامعة شيكاجو.[4] عززت هذه العلاقات ثقة المستفيدات من البرامج التوجيهية تعزيزًا بالغًا، وزادت إحساسهن بالدعم. كما أبدت الأبحاث أن الموجهات بإمكانهن المساعدة في التشجيع على تهيئة بيئة تحفز على التجريب الخلَّاق. هذا نوع من التسلسل الإيجابي؛ فالإقدام على المخاطر، لا سيما عندما يكون مدعومًا باستراتيجية ومساندة، يعزز تنمية الثقة بالنفس لدى القائدة الصاعدة.

في عام ٢٠١٠، نشرت مجلة هارفرد بيزنس ريفيو دراسة تضع علامات استفهام حول قيمة التوجيه، وتشير إلى أن الرجال العاملين بعالم المؤسسات كانوا يتلقون «رعاية» استراتيجية وليس «توجيهًا»؛ مما مكنهم من ارتقاء السلم المؤسسي بسرعة أكبر.[5] يتجاوز الرعاة أو الكفلاء مرحلة إسداء النصح؛ فهم يدافعون عمن يوجهونهم؛ إذ الرعاية أو الكفالة عنصر مهم في أمريكا المؤسسية. لكن الحاجة إلى التوجيه حقيقية؛ فالقائدات ورائدات الأعمال الطموحات في أفريقيا وأمريكا اللاتينية وآسيا وفي أرجاء الشرق الأوسط كثيرًا ما يعبِّرن عن شعورهن بالعزلة وهن يكافحن من أجل التواصل، وعرض أفضل الممارسات، وتكوين شراكات خارج بيئاتهن المحلية. وبوجود قلة فحسب من السيدات في مناصب قيادية عليا ببلدانهن، أصبح التعرُّف على نماذج نسائية ناجحة يُحتذى بها تحديًا أكثر صعوبة بكثير. إنه تحدٍّ صعب تزيده تعقيدًا العوائق الاجتماعية والاقتصادية والقانونية والثقافية التي لا تزال النساء يواجهنها في بلدان كثيرة.

يفتح هذا التحدي الباب على مصراعيه أمام فرص التوجيه العالمي كي تُحدث تأثيرًا فعليًّا؛ فللمرة الأولى في التاريخ، يوجد جيل من القيادات النسائية الخبيرة اللاتي يبحثن عن سُبُل لرد الجميل. هنَّ يُردنَ ألا تقتصر جهودهن على إنفاق موارد مالية، بل يُردنَ بذل وقتهن وموهبتهن وحماسهن، والأهم من هذا وذاك خبرتهن. وقد قالت بيث بروك؛ الموجهة بأصوات حيوية ونائبة رئيس مجلس إدارة شركة إرنست آند يونج للشئون العالمية: «لإحداث تغيير بوصفكِ موجهة أو كفيلة، عليكِ أن تلتزمي بالمشاركة الإيجابية في صنع مستقبل الشباب عن طريق المخاطرة بالاستثمار فيهم.» كثيرات من النساء

اللاتي يشغلن مناصب مرموقة كوَّنَّ شبكات قوية يمكن تعزيزها والاستفادة منها على مستوى العالم.

مثال على ذلك، في عام ٢٠١١ بدأت كلٌّ من سوزان ديفيز؛ عضوة مجلس إدارة أصوات حيوية ورائدة أعمال ناجحة، وآن فينكان؛ مسئولة الاستراتيجية والتسويق في بنك أوف أمريكا، نقاشًا حول قيمة الاستثمار في النساء. كان لكلٍّ منهما جهدها في قضايا أيرلندية، ومنذ أوائل تسعينيات القرن العشرين، تعاونت كلتاهما مع شعب أيرلندا الشمالية من أجل دعم عملية السلام. ورغم أن التقدم المحرز كان بطيئًا، فإنه عقب مؤتمر أصوات حيوية الذي عُقد في بلفاست ١٩٩٨، كانت آن شاهدة على تمكُّن القائدات من إحداث تحوُّل في مجتمعاتهن. وكانت حينها تتطلع إلى تدشين مبادرة في بنك أوف أمريكا من شأنها أن يكون لها تأثير عالمي ونتائج ملموسة. فقد تضامنت منظمتنا مع بنك أوف أمريكا من أجل إطلاق برنامج السفراء العالميين، الذي يهدف لسد الفجوة في القيادة العالمية عن طريق الاستعانة بأبرز القيادات النسائية في مجالات الأعمال والحكومة والإعلام والمجتمع المدني؛ ليكنَّ موجهات للقائدات الصاعدات اللاتي تدعمهن أصوات حيوية في أنحاء العالم. دشن البرنامج برايان موينيهام؛ الرئيس التنفيذي لبنك أوف أمريكا، في مارس ٢٠١٢ في الوقت الذي تعاون فيه البنك مع مجموعة من القيادات النسائية في هاييتي من أجل استحداث المنبر الوطني الأول للمرأة بالبلاد. وهو بذلك يرسل رسالة واضحة من الإدارة بالتزام المؤسسة بتمكين قيادة المرأة من أجل النهوض بالبلدان والمجتمعات.

إن البرامج التوجيهية التي تقدمها منظمة أصوات حيوية مصممة من أجل إحداث تحول في المسارات القيادية للسيدات اللاتي نقدمها لهن. لقد وجدنا أن التوجيه لا يمكِّن القائدات الصاعدات من رصد القيادة وهي تُطبق عمليًّا على مستوى رفيع وحسب، بل يمكِّنهن أيضًا من استيعاب حقيقة أن القيادة فرصة ومسئولية في ذات الوقت. ووجدنا أن القائدات الصاعدات اللاتي يتلقين التوجيه يشعرن بمسئولية أكبر لنقل الخبرة التي اكتسبنها مقارنةً بمن حصلن على تدريب وحسب. وهو اتجاه أكدته دراسة سلوكية مؤسسية وجدت أن من النساء اللاتي يتلقين التوجيه من تزداد فرصهن في أن يصبحن أنفسهن موجهات في المستقبل، مقارنةً بالنساء اللاتي لا يتلقين التوجيه.[6]

نحن بمنظمة أصوات حيوية نرى اتجاهًا مثيرًا للاهتمام بين أبرز القائدات اللاتي ندعمهن، وهو أنهن يردن المساعدة في إعداد قيادات نسائية جديدة يخلفنهن في يوم من

الأيام. وأسلوب «استنساخ الذات» — إن صح التعبير — ملحوظ بين القائدات اللاتي يدركن أهمية مشاركة السلطة والخبرات مع أخريات بما يخدم القضية الأكبر. بالعودة إلى عام ٢٠١٠، تواصلت نساء بشبكتنا؛ أمثال سونيتا كريشنان وسومالي مام، مع سيندي داير؛ نائبة رئيس منظمة أصوات حيوية لشئون حقوق الإنسان، وسألتاها إن كان بإمكان المنظمة مساعدتهما في تنمية المهارات القيادية لدى النساء اللاتي سيخلفنهما. ولما كانت سيندي وكيلة نيابة سابقة كرَّست حياتها من أجل تقديم مرتكبي جرائم العنف بحق النساء إلى العدالة، فإنها تفهمت العواقب الشخصية والمخاطر الجسيمة التي تواجهها القائدات؛ لذا بدأت تبتكر برنامجًا من أجل تلبية هذا المطلب.

نموذج «استنساخ الذات» ليس ملحوظًا فحسب بين القيادات النسائية المدافعة عن حقوق الإنسان، فقد تصدرت عناوين الأخبار آن مولكاي؛ الموجِّهة بمنظمة أصوات حيوية والتنفيذية المتصدرة لقائمة مجلة فورتشن ٥٠٠، عندما كوَّنت وأعلنت شراكة فعالة مع خليفتها أورسولا بيرنز قبل سنوات من مغادرتها منصبها باعتبارها رئيسة تنفيذية لشركة زيروكس؛ فالقائدات المعنيات بقضايا يفهمن أن رؤيتهن للتغيير لا يمكن أن يحققنها بمفردهن، وأنه سيكون عليهن تنمية أخريات كي يمضين قدمًا في استكمال المسيرة.

أحد أكثر الاتجاهات إلهامًا لنا بمنظمة أصوات حيوية ينشأ عندما لا تكتفي القائدات، اللاتي قدمنا لهن تدريبًا ودعمًا، بالتواصل مع أخريات بمجتمعاتهن ومنظماتهن وتوجيههن، بل يُقْدِمن أيضًا على دعم نساء أخريات بشبكتنا. منذ الأيام الأولى من تأسيس المنظمة، شاهدنا سيدات يَقمن دون تخطيط سابق بتبنِّي نماذج عملية نجحت في إحداث تغيير اجتماعي أو قانوني أو اقتصادي في إحدى بقاع العالم وينقلنه إلى بقعة أخرى. لكن النساء في الشبكة كن يدعم بعضهن بعضًا أيضًا على مستوًى فردي في أوقات الأزمات المِهْنية والشخصية الشديدة؛ ففي أغسطس ٢٠٠٩ مُنيت ريبيكا لولوسولي وقرية أوموجا ياسو النسائية بهجوم عنيف. ظهر زوج ريبيكا المنفصل عنها وهو مسلح بسلاح ناري وتهجَّم على ريبيكا. استولى على مقتنيات قيِّمة وادعى أن له الأحقية في تملُّك أرض القرية المسجلة باسم ريبيكا، وهدد بقتلها إن لم تعطِه الأموال التي جنتها من زيادة مبيعات مشغولات الخرز التي تنتجها القرية.

قُرى سامبورو محمية بأسوجة مصنوعة من عِصِيٍّ رفيعة. الهدف من تلك الأسوجة إبعاد الحيوانات البرية الهائمة، وليس منع دخول رجل مسلح موتور. اتصلت ريبيكا

بالشرطة المحلية، لكن الشرطة لم تغثها متحججة بأن ذلك خلاف أسري. ولافتقارها إلى أية خيارات أمنية ذات جدوى، غادرت ريبيكا — زعيمة القرية — محاوِلةً التواصل مع شبكة القيادات النسائية التابعة لمنظمة أصوات حيوية في أفريقيا. استجابت المجموعة على الفور، وبتنسيق سابقٍ وفَّرت لريبيكا قبل كل شيء ملاذًا آمنًا تقيم فيه، ورعاية طبية، ودعمًا قانونيًّا. لقد استخدمن شبكتهن في لفت انتباه وسائل الإعلام إلى القضية، وفي الدعوة إلى تغيير قانوني بالشبكات المحلية والوطنية، ورفعن قضية ريبيكا إلى القادة السياسيين وقادة حقوق الإنسان. أُرسلت رسالة واضحة إلى زوج ريبيكا وإلى الشرطة التي حاولت تجاهل بلاغها؛ رسالة مفادها أنها تتمتع بشبكة قوية من الدعم تنتشر في أنحاء البلاد والمنطقة وحول العالم. طريق القيادة أحيانًا يكون شائكًا. وكثيرًا ما قالت مارينا بيسكلاكوفا من روسيا: «منظمة أصوات حيوية تعتني بمن يعتنون بالعالم.» فالقائدات الصاعدات يحتجن إلى موجِّهات لإرشادهن، لكنهن أيضًا في حاجة إلى شبكة من القرينات كي يَطْمَئِنَّ أنهن لَسْنَ على الطريق بمفردهن.

دانييل سان-لوت

هاييتي

> نحن لا نريد إعادة الإعمار فحسب؛ نحن نريد وضع تصور لهاييتي جديدة تُقدَّر فيها إسهامات المرأة، ويُسمَع صوتها، وتُحمى حقوقها.

إن مؤتمر أصوات حيوية الثالث، الذي عُقد في مونتفيديو في أوروجواي في عام ١٩٩٨ عندما كانت منظمة أصوات حيوية لا تعدو كونها مبادرة من الحكومة الأمريكية؛ جمع شمل أكثر من ثلاثمائة سيدة من مختلف أنحاء نصف الكرة الأرضية الغربي؛ لمناقشة تحديات من بينها الاتجار بالبشر، وتنامي عدد جرائم قتل الإناث على يد عصابات، إضافة إلى غياب تمثيل المرأة في الدوائر السياسية والقوى العاملة.

حضرت دانييل سان-لوت الاجتماع بصحبة ست سيدات أخريات من هاييتي، ووجدن أنه من الملهم الاستماع إلى صانعات السياسة من أنحاءٍ شتى في أمريكا الشمالية وهن يشرحن استراتيجيات ناجحة في إصلاح قوانين العقوبات، وتمرير تشريعات مناهضة للتمييز، وكذا الإنصات إلى قاضيات ووكيلات نيابة وهن يشاركن أفضل الممارسات المتعلقة بالقوانين التي تصنِّف العنف الأسري باعتباره جريمة.

تتذكر دانييل المؤتمر قائلة: «أردنا أن نصطحب الأفكار الأساسية لمنظمة أصوات حيوية معنا إلى أرض الوطن، لكن لم يقتصر الأمر على ذلك؛ إذ رغبنا في أن نكون جزءًا من شيء أكبر من أنفسنا؛ أردنا تشكيل حركة عالمية من أجل تقدم المرأة.»

شعرت دانييل كذلك بأن نساء هاييتي يواجهن تحديات لا يواجه مثلها غيرهن. التقيت بها أول مرة في ذلك المؤتمر؛ حيث أخبرتني أنها والحضور من نساء هاييتي كن يخططن لعقد مؤتمر لمنظمة أصوات حيوية برعايتهن في العام اللاحق. وبدعم من السفارة الأمريكية في بورت أو برنس، دشنت دانييل وزميلاتها مبادرة تحت اسم «مائة امرأة من هاييتي من أجل أصوات حيوية»، تمخض عنها في العام نفسه إنشاء أول فرع لمنظمة أصوات حيوية هناك، والذي حمل اسم «نساء من أجل الديمقراطية».[7] لم يكن الهدف من «نساء من أجل الديمقراطية» نقل أفكار أصوات حيوية إلى نساء هاييتي وحسب، وإنما ترجمة الرسالة إلى حلول محلية ملموسة من شأنها أن تفي بالحاجات العاجلة لنساء هاييتي.

حتى قبل زلزال ٢٠١٠ المدمر، كانت هاييتي أفقر بلد في النصف الغربي من الكرة الأرضية؛ إذ كان أكثر من ٨٠ بالمائة من سكانها يعيشون تحت خط الفقر، و٥٤ بالمائة في فقر مدقع.[8] يعتمد ثلثا شعب هاييتي على القطاع الزراعي في معيشتهم، وكان الهدف الرئيسي من الزراعة الوصول إلى حد الكفاف في المعاش.[9] تتهدد سلامتهم الكوارث الطبيعية المتكررة الحدوث، والتي يزيدها سوءًا زيادة معدل إزالة الغابات. تعاني

هاييتي من عجز تجاري شديد وغياب الاستثمارات بسبب الشواغل الأمنية ومحدودية البنية التحتية. يبلغ إجمالي التحويلات النقدية ما يقرب من ربع إجمالي الناتج المحلي، وأكثر من ضعف إيرادات الصادرات. تعتمد الحكومة على المساعدات الاقتصادية الدولية الرسمية بهدف الاستدامة المالية. وفي خضم هذه الظروف الميئوس منها، أدركت دانييل أن كثيرات من النساء في أنحاء البلاد لم يكنَّ على دراية بحقوقهن الإنسانية. وعلى ذلك، كان أحد أوائل مشروعات «نساء من أجل الديمقراطية» كتيِّبًا بعنوان «حقوق الإنسان للمرأة في هاييتي من الألف إلى الياء».

كما كان يشغل بال دانييل وزميلاتها حقيقة أن أصوات النساء لم تكن ممثَّلة بالحكومة. في الواقع تحتل هاييتي أدنى مرتبة في العالم من حيث المشاركة السياسية؛ إذ لا تحوز المرأة سوى على ٣ بالمائة فقط من مقاعد البرلمان. والنساء اللاتي سعين إلى المنصب السياسي كثيرًا ما تعرَّضْنَ للترويع، بل ولتهديدات بالقتل. وقد أخبرتني دانييل قائلة: «هاييتي بلد نظامه السياسي متضعضع. نحن بلد به أكثر من ثلاثين حزبًا سياسيًّا، ولم يعتد الناس على رؤية أي شخص يصل الخطوط الفاصلة. أردنا أن نكون مثالًا على ما يمكن تحقيقه في هاييتي.» حذت منظمة «نساء من أجل الديمقراطية» حذو ائتلاف نساء أيرلندا الشمالية، فجمعت شمل المرشحات ودعمت حملاتهن. وفي انتخابات ٢٠٠٦، دعمت المنظمة، بالتدريب، خمسين سيدة ترشحن لمناصب سياسية من مختلف الأحزاب السياسية. وعندما تلقت الصحافيات اللاتي يعددن تقارير عن الفساد وانتهاكات حقوق الإنسان تهديداتٍ، فتحت عضوات المنظمة أبواب بيوتهن لتوفير الحماية لهن.

كما مارس الفرع ضغوطًا على البرلمانيين من أجل زيادة مشاركة المرأة في الحكومة. وفي عام ٢٠١١، تمت الموافقة على تعديل دستوري يستحدث حصة تبلغ ٣٠ بالمائة للنساء في جميع مستويات المناصب الحكومية. بين عامي ١٩٩٩ و٢٠١١، درَّبت منظمة «نساء من أجل الديمقراطية» أكثر من ثلاثة آلاف رائدة أعمال صغيرة، وكوَّنت شبكة تضم أكثر من خمسمائة مراقبة انتخابية. تقول دانييل: «نادرًا ما كانت تُسمع أصوات النساء، لكن علاقتنا بمنظمة أصوات حيوية فتحت الأبواب وبدأ الناس يُنصتون إلينا.» جهود «نساء من أجل الديمقراطية» الرامية إلى تمكين النساء في مختلف أنحاء البلاد اكتسبت دعمًا من السفارة الأمريكية، ومصرف التنمية للبلدان الأمريكية، وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، بل والقطاع الخاص.

في نوفمبر ٢٠٠٩، سافرتُ إلى بورت أُو برنس للاحتفال بالذكرى العاشرة لتأسيس الفرع، وتمكنت أثناء وجودي هناك من المشاركة في المعرض التجاري السنوي السابع،

الذي تضمن عروضًا لأعمال الحرفيات ورائدات الأعمال، ووصلهن بالمشترين وأسواق التصدير. بعد ذلك بستة أسابيع، وتحديدًا في ١٢ يناير من عام ٢٠١٠، تبددت أجواء الاحتفال عندما ضرب البلاد زلزال مدمر بقوة ٧ درجات على مقياس ريختر.

ورغم الخسائر التي مُنيت بها دانييل سان-لوت وعضوات منظمة «نساء من أجل الديمقراطية»، فإنهن سارعن إلى التحرك، وفي خلال أربع وعشرين ساعة كانت دانييل تتواصل مع منظمة أصوات حيوية، وتناقش كيف أنه ينبغي للمرأة التي كثيرًا ما تسقط ضحية في أوقات الأزمات أن تكون في مركز إعادة الإعمار. أطلعتني دانييل: «يوجد في هاييتي تركيز متزايد على تشييد البنية التحتية والاستثمار في الأعمال. وعلى أهمية ذلك، إلا أننا يجب أن نستثمر أيضًا في الأشخاص، ويجب أن تكون النساء في مركز هذه العملية.» نظمت دانييل معسكرًا قرب منزلها في مدينة جاكمل، في واحدة من أشد البقاع دمارًا؛ حيث وفَّرت هي وابنتها الملاذ والطعام والماء النظيف والدعم الطبي لمن يحتاجون إليه.

احتشد المجتمع الدولي خلف هاييتي، لكن التعافي كان بطيئًا على نحو مؤلم؛ فبعد عامين من زلزال ٢٠١٠، كان الناس لا يزالون يعيشون في معسكرات مكتظة، غير آمنة، ضعيفة الإضاءة؛ وغالبًا ما كانوا يفتقرون للصرف الصحي والمشرب والمأكل. كانت النساء عرضة للعنف الجنسي؛ إذ خلق عدم الاستقرار السياسي وضعف المؤسسات حصانة للمغتصِبين من العقاب.

لكن رغم شح الموارد، نظمت النساء دوريات أمنية، ووفَّرن الدعم المجتمعي والمشورة القانونية والرعاية الطبية للناجيات من الاغتصاب. الأهم من ذلك، عندما تنزل البلاد نائبة من النوائب، كانت شبكة القائدات التي شكَّلتها دانييل قوية؛ فبالتعاون معًا كان بإمكانهن الاستجابة بسرعة وعلى نطاق واسع للمجموعة الضخمة من المشكلات التي تواجه الناجين في هاييتي. توفر منظمة «نساء من أجل الديمقراطية» قناة للوفاء باحتياجات النساء محليًّا، وفي الوقت نفسه تُوصل أصوات نساء هاييتي إلى المجتمع الدولي؛ لتصلَهنَّ بشريكات لهنَّ حول العالم.

نهى الخطيب وليرون بيليج-هادومي

إسرائيل

أعتقد أن علاقتهما توضح بجلاء النحو الذي يمكن أن تكون عليه الأمور؛ النحو الذي يمكن أن تكون عليه الشراكة بين النساء، بين البشر.

ليرون بيليج-هادومي أخصائية اجتماعية مجتمعية في إسرائيل. منذ أن كانت طالبة جامعية تعاونت مع منظمات غير حكومية تكرِّس جهودها لتعزيز العلاقات بين اليهود والعرب في إسرائيل. كما تُنسق ليرون برامج لإعداد القادة على مستوى مختلفِ القطاعات ومختلف أطياف المجتمع مثل برنامج «ليد حيفا».

ساعدت نهى الخطيب، التي استعرضنا جهودها في الفصل الثالث، على رأب الصدع بين عرب إسرائيل واليهود؛ إذ عملت في البداية معلمةً، ثم شغلت منصب مسئولة مدرسة متكاملة، ومنذ عام ٢٠٠٩ تولت منصب مديرة التعليم المدني والتعليم متعدد الثقافات بوزارة التعليم الإسرائيلية.

التقت السيدتان في عام ٢٠٠٧ في أيرلندا الشمالية بوصفهما مشاركتين في برنامج «السلام والرخاء» الذي أعدته منظمة أصوات حيوية، ورغم أن ليرون يهودية ونُهى فلسطينية إسرائيلية، فقد توطدت العلاقة بينهما سريعًا في رحلة سيارة الأجرة من المطار حتى موقع البرنامج. ورغم تبنيهما آراءً متباينة حول قضايا خلافية، فسرعان ما أصبحتا

صديقتين. سافرت ليرون إلى أيرلندا الشمالية وهي في مراحل الحمل الأولى. أولتها نُهى العناية وسهرت على راحتها، ولم يمضِ وقت طويل حتى علمت نُهى أنها حامل هي الأخرى في توءمين. ظلت السيدتان على علاقة وثيقة خلال حملهما بعد أن عادتا إلى وطنهما إسرائيل، وفصل يوم واحد فقط بين ولادتيهما. وما بدأ كصداقة وتوثقت لُحْمته باعتبارهما أُمَّين نما إلى شراكة قوية دعمًا لمجتمع مشترك.

في عام ٢٠١٠، دعت نُهى وليرون برنامج «السلام والرخاء» الذي أعدته منظمة أصوات حيوية إلى وطنهما. ومن خلال هذا البرنامج، تساعدان حاليًّا نساءً أخرياتٍ على كسر الحواجز التي تفصل بينهن. وبالتعاون مع عشرين شابة إسرائيلية — عشر يهوديات وعشر عربيات — يُذلل البرنامج الذي وضعتاه تكوين العلاقات والمشروعات المجتمعية التعاونية. وفي ظل تنسيق ليرون ونُهى، حضرت المشاركات أحد عشر اجتماعًا على مدار عام، تناولت موضوعات مثل: تنمية مهارات الحوار العابر للمجتمعات، واستكشاف قصص واقعية، وتحويل الأفكار إلى مشروعات، وإدارة المشروعات، واستخدام وسائل الإعلام لتحقيق التغيير الاجتماعي. شجعت اللقاءات الحوار الفعال وتبادُل الرؤى. الأهم من ذلك، سمحت تلك اللقاءات لموجة جديدة من القائدات بأن يتواصَلْنَ مع أشخاص لم يتوقَّعنَ التواصل معهن. كثيرات من المشاركات ينسبن الفضل إلى البرنامج في السماح لهن بتنحية الانطباعات والتحيزات السابقة جانبًا، وتمكين كلٍّ منهن من رؤية الأخرى كامرأة؛ فالسيدات اللاتي لم يحتككن بعضهن ببعض من قبلُ تمكَّنَّ من تكوين علاقات مهنية وصداقات شخصية، كما فعلت نُهى وليرون.

تقول نُهى: «هكذا يبدأ التغيير، وأنا أومن بالخُطى الصغيرة؛ فهذه القطرات ستأتي في النهاية بالمطر الغزير، وسيهطل المطر. أنا أومن بذلك.» لن تنمحي التوترات في إسرائيل بين عشية وضحاها، لكن كلما زاد عدد الأشخاص العاملين من أجل السلام؛ حلَّ السلام على نحو أسرع. تُمثل نُهى وليرون أفضل قدوة يمكن أن تحذو حذوها النساء اللاتي تساعدانِهنَّ في أن يُصبحْنَ قائدات، وقد قالت إحدى المشاركات: «إنهما تبدوان كما لو أن كلًّا منهما تكمل الأخرى. الأمر أكبر بكثير من كون إحداهما عربية والأخرى يهودية. إنهما تضربان مثالًا رائعًا على التعايش.» توجز ليرون استراتيجيتهما في ثلاث كلمات بسيطة: «التواصل والعلاقات والتأثير.»

أنديشا فريد

أفغانستان

أشعر بأنه يتعين عليَّ فعل شيء من أجل الشعب الأفغاني، ومن أجل الأطفال، ومن أجل مستقبلنا.

وُلدت أنديشا في أفغانستان إبان الاحتلال السوفييتي، فقضت طفولتها في معسكر للاجئين في إيران؛ حيث فر إليه والداها بصحبتها هي وأشقائها السبعة. تتذكر أنديشا وصولها المعسكر وهي فتاة صغيرة لتكتشف عدم وجود ماء للشرب، أو منشآت طبية، أو طعام، أو أي مكان يلعب فيه الأطفال. لم تتمكن أنديشا من الذهاب إلى المدرسة. كان الفقر والمرض والموت يحيطون بها من كل جانب.

تمكَّن والدها من إرسالها إلى باكستان إلى معسكر لاجئين آخر؛ حيث تمكنت على الأقل من ارتياد المدرسة. وأثناء دراستها هناك، قررت أنديشا تعليم النساء والأطفال الأفغان الذين لم يحالفهم الحظ مثلها. في عام ٢٠٠٢، انتقلت أنديشا إلى إسلام آباد لارتياد الجامعة، وهناك تعاونت مجددًا مع الجالية الأفغانية المحلية؛ إذ عملت في البداية معلمة ثم مديرة لمدرسة أفغانية ومتحدثة باسمها، لكن أنديشا كانت تحلم أن تعود في يوم من الأيام إلى أفغانستان لمساعدة أبناء وطنها. ورغم أن أنديشا كانت طفلة من

أفغانستان، ورغم أنها نشأت في معسكر للاجئين، فقد حصلت على تعليم مرموق. وقد أرادت أن تثبت أن غيرها من الأطفال الأفغان يمكن أن يكون لهم مستقبل أيضًا.

في عام ٢٠٠٤، عندما كانت في العشرين من عمرها، أنشأت أنديشا ملجأها الأول للأيتام في كابول. لم يكن أغلب الأطفال أيتامًا بالمعنى الحرفي للكلمة؛ فقد كان لهم آباء على قيد الحياة أرادوا لهم الحصول على قسط من التعليم، لكن بدافع من التردي الاقتصادي أُرسلوا للتسول في الشوارع. تقول أنديشا: «حفَّزني هؤلاء الأطفال على اتخاذ إجراء. لقد أرادوا الذهاب إلى المدرسة، وأرادت أسرهم أن يتعلموا.»

بحلول عام ٢٠١١، أصبح ملجأ الأيتام أحد عشر ملجأً؛ خمسة في كابول، وأربعة في أجزاء أخرى من أفغانستان، واثنان للاجئين الأفغان في باكستان. من خلال تلك الملاجئ، تدعم أنديشا مئات الأطفال الأفغان. يصل أغلبهم إلى أحد ملاجئها بين سن السادسة والتاسعة، بعد أن عانوا فقرًا مدقعًا وتعرضوا لصدمات شديدة؛ من رؤيتهم لأحداث يشيب لها الولدان إلى تعرُّضهم للاعتداء. تؤكد أنديشا: «لا أرى فيهم مثل هذه الأشياء، بل أرى فيهم المستقبل كمعلمين أو صحافيين أو محامين أو ضباط شرطة. أرى أنهم قادرون على بلوغ أي طموح.» في مراكزها يمارس الأطفال الرياضة، ويحصلون على التعليم، ويؤدون مهام يومية، ويتناولون وجباتهم معًا كأسرة واحدة. كما يتقدم بعضهم للحصول على منح للدراسة بالخارج. دخلت إحدى الفتيات إلى الملجأ معتلة نفسيًّا يتملكها الخوف والرعب ولا تتكلم. لم تكن تتواصل مع أي شخص. بعد ثماني سنوات وبفضل رعاية أنديشا، حازت منحة دراسية مدتها أربع سنوات في إيطاليا. واليوم تتحدث الفتاة خمس لغات.

في عام ٢٠٠٨، اختيرت أنديشا كواحدة من بين العضوات الأوليات لمبادرة «١٠ آلاف سيدة» برعاية مؤسسة جولدمان ساكس، وحصلت على برنامج تعليمي لإدارة الأعمال من الجامعة الأمريكية في كابول. تدير أنديشا ملاجئها بإتقان وحنكة المديرين التنفيذيين، وتَعتبر الأطفال عملاءها.

تقول أنديشا: «إن القيام بهذا يثلج صدري؛ فبنهاية اليوم عندما أضع رأسي على وسادتي وأغلق عيني، أدرك أنني قدمت شيئًا، وهذا يساعدني على المواصلة ويمنحني الأمل.» إن قوة أنديشا الدافعة هي إيمان راسخ بأن «التعليم بمثابة اتخاذ موقف في وجه القهر». لقد شاهدَتْ أطفالًا يُغيِّرون من حياتهم رغم صعوبة الظروف، وتبذل ما في وسعها من أجل تعويض ذكريات المعاناة لديهم بإحساس بالانتماء والمساواة. وهي

تأمُل أن يكتسبوا حب وطنهم بقدر ما تحبه، وأن يشبوا مسلحين بالمهارات والقيم اللتين تُمكِّناهم من إعادة أفغانستان إلى سابق مجدها وكرامتها الوطنية. إنها تريد منهم أن يفخروا بوطنهم ويثقوا في أنفسهم، فتقول: «إن كان بإمكاننا تنشئة أطفالنا لنمنحهم هذا المستقبل، فسوف أفعل هذا.»

كاكينيا نتايا

كينيا

أرى فتيات يحملن أحلامًا كبيرة. أجل، هؤلاء الفتيات سيكُنَّ أصواتًا حيوية في مجتمعنا. حُلمي أن أساعدهن على بلوغ هذا المستقبل المأمول.

خُطبت كاكينيا نتايا للزواج وهي في الخامسة من عمرها. اختار لها والدها صبيًّا أكبر سنًّا من القرية، وأبرم عقدًا مع أسرته يعِدُه بالزواج منها عندما تبلغ الثانية عشرة أو الثالثة عشرة، وهو السن المناسب من وجهة نظرهم كي تصبح عروسًا. في عُرف شعب الماساي في إينوسن بكينيا، هذا هو النحو الذي تجري عليه الأمور. تشرح كاكينيا الموقف قائلة: «عندما تبلغ الفتاة السن الذي يَسمَح لها بالمشي، تتعلم كيف تكنس المنزل، وكيف تجلب الماء من النهر، وكيف تحلب الأبقار، وتجمع الحطب، وتطهو الطعام للأسرة. تُربَّى

الفتاة كي تكون زوجة وأمًّا، ويُربَّى الفتى كي يكون محاربًا. إنها تقاليد يتبعها شعبي منذ قديم الأزل.»

كاكينيا هي الأكبر سنًّا بين ثمانية أشقاء وشقيقات. وهذا معناه أنها اضطرت لمساعدة أمها في تربيتهم. عمل والدها ضابط شرطة بالمدينة، وكان يتغيب عن المنزل لأسابيع أو حتى أشهرًا في بعض الأحيان، وعندما يعود للمنزل، عادة ما كان يضرب أمها ويبيع دواجن الأسرة ويشتري بثمنها خمرًا. تقول كاكينيا: «كانت حياة أمي غاية في الشقاء. أدركت أنني أريد حياة مختلفة.»

عندما كانت تفرغ كاكينيا من أعمالها المنزلية، كان يُسمح لها بالذهاب للمدرسة. عادة ما ترتاد فتيات شعب الماساي في إينوسن مدرسة ابتدائية، إلا أن تعليمهن لا يُؤخذ بالجدية نفسها التي يُؤخذ بها تعليم الصبية؛ لأنه لا يُتوقع منهن أن يتجاوزن الصف السابع أو الثامن بكثير. تقول كاكينيا: «عندما تبلغ فتاة الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من عمرها، تُقام لها شعيرة. قيل لنا إن هذه الشعيرة ستجعلك امرأة، وما إن تصبحي امرأة يمكنك الزواج. كنت في نظر الغير محظوظة لأنني كان لي زوج بالفعل ينتظرني.» تتمثل هذه الشعيرة في تقليد يتبعه شعب الماساي؛ وهو ختان الإناث، الذي يعني بالنسبة إليهم بلوغ الفتاة مبلغ النساء، وهو إعلان باستعدادها كي تصبح زوجة. يعني الزواج نهاية تعليم الفتاة؛ لأنه يُنتظر منها أن تتقلد مهام ومسئوليات العناية بالمنزل وبزوجها، وأن تبدأ في إنجاب الأطفال.

تعترف كاكينيا بأنها لم تشعر أنها محظوظة لوجود زوج بانتظارها. لقد أحبت المدرسة وتأثرت كثيرًا بالمعلمين الذين أتوا من مجتمعات أخرى لتعليم أطفال الماساي، وشعرت بأهميتهم بالنسبة إليها. تتذكر كاكينيا قائلة: «حلمتُ أن أكون معلمة؛ لأن المعلمين كانوا ينتعلون أحذية ويرتدون ملابس مختلفة كل يوم، ولم يكونوا مضطرين إلى العمل بالمزارع.»

ومع اقتراب إجراء شعيرة الختان لكاكينيا، أقدمت على المحاولة الوحيدة المتاحة أمامها. عادة لم يكن يُسمح للفتاة بمخاطبة والدها مباشرة. ينبغي لها سؤال والدتها لتتحدث إليه بالنيابة عنها، لكن لخوفها من الضرب الذي يمكن أن تتلقاه أمها، تحدثت كاكينيا إلى والدها بنفسها. أخبرته أنها تريد منه تأجيل زواجها حتى تتمكن من التخرج من المدرسة الثانوية. ووافقت على أن تخضع لشعيرة الختان شريطة أن يمنحها فرصة الحصول على الشهادة الثانوية. وهددته بالهروب وعدم الخضوع لشعيرة الختان إن

لم يوافق. كانت الفتاة التي لا تخضع لعملية الختان مصدر عار للأسرة التي تصبح أضحوكة في القرية. ما أدهش الجميع أن والدها قبِل شروطها. خضعت كاكينيا لشعيرة الختان، فقايضت جزءًا من جسدها بحقها في ارتياد المدرسة الثانوية.

ومع اقتراب تخرجها من المدرسة، أدركت أنها في حاجة لعقد صفقة أخرى، إلا أن والدها آنذاك ألمَّ به المرض ولم يعد في موقف يسمح باتخاذ قرارات بشأن أسرته. تقول كاكينيا: «حسب تقاليدنا، كل الرجال في سن والدي كانوا بمثابة والدي في ذلك الوقت؛ فتوجهت إليهم واحدًا تلو الآخر.»

ثمة تقليد متبع لدى شعب الماساي بأن الشخص الذي يزورك قبل شروق الشمس سيجلب لك أنباءً طيبة، وعليه لا يجب رفض طلبه؛ لذا كانت كاكينيا تسير كل صباح قبل شروق الشمس إلى منازل كبراء القرية وتطلب موافقتهم على ارتيادها الجامعة في أمريكا.

عندما وافق جميع كبراء القرية، باع أهل إينوسن بعضًا من أبقارهم وجمعوا المال لشراء تذكرة طيران إلى الولايات المتحدة من أجل كاكينيا. للمرة الأولى سترتاد فتاة من قرية كاكينيا الجامعة. قطعت كاكينيا وعدًا بأنها ستعود، وستجلب معها ثمار ما تعلمته إلى وطنها إينوسن.

سمعتُ عن رحلة كاكينيا المذهلة من شركاء منظمة أصوات حيوية بمؤسسة نايك، الذين شاركوا في تدشين حملة منظمة «جيرل إيفيكت»؛ وهي مسعًى حقوقي لتخصيص أموال التنمية لمشروعات الاستثمار في الفتيات حول العالم. التقيتُ كاكينيا شخصيًّا عام ٢٠٠٦، وبحلول ذلك الوقت كانت هذه الشابة من قرية الماساي قد حصلت على درجة الماجستير، وتفصلها أطروحة واحدة عن استيفاء متطلبات درجة الدكتوراه بجامعة بيتسبيرج.

أخبرتني كاكينيا أنها تحلم بتوفير فرص للفتيات في إينوسن، فبالسماح لها بارتياد الجامعة، منحها مجتمعها فرصة صنع مستقبلها وتعقب أحلامها. كان ذلك استثمارًا أرادت بسببه أن ترد الجميل، فتقول: «تعهدت في اليوم الذي غادرت فيه وطني أن أعود يومًا ما … وأساعد المزيد من الفتيات في مجتمعي على ارتياد المدرسة.» أدركت أنهن إن تمكَّنَّ من الحصول على قسط متميز من التعليم، وحظين بالتشجيع على الاستمرار بالمدرسة؛ فلن تكون هناك حدود تحدُّ من مستقبلهم.

أخبرتني كاكينيا قائلة: «من المتوقع في العقد المقبل أن تتزوج ١٠٠ مليون طفلة، لكنني أرى مستقبلًا مختلفًا لهن. أرى وجوههن تعلوها الابتسامات، ومفعمة بالحيوية والحماس؛ أراهن على استعداد لتغيير مجتمعهن للأفضل.»

في عام ٢٠٠٨، كرمت منظمة أصوات حيوية كاكينيا بمنحها جائزة الأصوات الصاعدة. لم يكن السبب في اختيارها شجاعتها وإنجازاتها والطريق الذي أنارته لأخريات، بل بسبب حلمها الاستثنائي الذي آمنت به من أجل المستقبل. لم يكن حلمًا لنفسها، بل حلمًا لمجتمعها ولعالمنا. سافرتُ ذلك الصيف إلى إينوسن لنشهد حفل افتتاح «مركز كاكينيا للتميز»؛ أول مدرسة ابتدائية داخلية للفتيات في قريتها. ونحن نقترب من القرية، بعد رحلة استغرقت أربع ساعات عبر أرض وعرة نحو قلب إقليم الماساي، شاهدت رجالًا ونساءً يحملون مقاعد على ظهورهم وعلى الدراجات.

سرعان ما أدركتُ أنهم يحضرون المقاعد إلى الحفل الافتتاحي. أعدَّت النساء مأدبة وأخذ الأطفال يرقصون، وبدا كما لو أن كل رجل بالقرية أخبرني أنه شقيق كاكينيا، أو ابن عمها، أو تربطه بها صلة قرابة من قريب أو بعيد. كان فخر مجتمعها بإنجازاتها عظيمًا كعظمة إنجازاتها ذاتها؛ فقد حققت كاكينيا شيئًا استثنائيًّا، إذ استطاعت أن تنتصر بنجاح واحترام على تقاليد استمرت لأجيال. إنها لم تخلق بيئة لتنشئة الفتيات وإعداد القائدات وحسب، بل شكلت مجتمعًا من الأبطال يرى أن تعليم الفتيات يمكن أن يعود بالنفع على الجميع.

في مايو ٢٠٠٩، التحقت اثنتان وثلاثون فتاة بأول فصل في مركز كاكينيا للتميز، ومنذ ذلك الحين يزداد العدد بمعدل ثلاثين فتاة كل عام. وفي عام ٢٠١١، حصلت كاكينيا على درجة الدكتوراه وعادت إلى كينيا؛ حيث تستطيع قضاء وقت أطول مع الفتيات في قريتها، ويمكنها البدء في تطبيق نموذج مركز كاكينيا للتميز في أنحاء أخرى من البلاد.

في النهاية، تزوجت كاكينيا، لكنها تزوجت كما توضح، من رجل كيني من قبيلة كيكويو التقت به في الجامعة. كان بإمكان كاكينيا أن تنسى إينوسن تمامًا بعدما حصلت على درجة الدكتوراه وأصبحت منشغلة بأسرتها الشابة، وكان بإمكانها بناء حياتها في الولايات المتحدة، لكنها لم ترد أن تنتهي القصة بنجاحها الشخصي فحسب؛ إذ شعرت برغبة عارمة في أن تشاركها أخريات هذا النجاح.

منذ أن كانت كاكينيا فتاة صغيرة تحلم بأن تصبح معلمة، كانت تؤمن بأن كل طفل — بغض النظر عن مكانه — يمتلك حلمًا. اعتبارًا من عام ٢٠١١ التحقت تسعون

فتاة بمدرستها. تأمل كاكينيا في أن تكون هذه هي البداية لكل واحدة منهن، فتقول: «أتطلع إلى أن يكتسبن مزيدًا من القوة ويحصلن على القدر المناسب من التعليم. أتوقع أن يصبحن مسئولات تنفيذيات بارزات في شركات كبرى، وأن يمتلكن مشروعاتهن الخاصة، ويترأسن وزارات بالحكومة، ويدافعن عن حقوق الإنسان. أريدهن أن يحلمن؛ يحلمن بأحلام أكبر من أحلامي.»

جايا أروناشالام

الهند

> لن يتمكن فرد واحد من إحداث التغيير المنشود؛ بل سيتحقق التغيير بفضل جهود آلاف من النساء المُمَكَّنات.

شبَّت جايا أروناشالام وهي تؤمن بأن سبيل إحداث التغيير على نطاق واسع هو بالعمل بالحكومة؛ ولذا حصلت على قدر جيد من التعليم وتطوعت في حزب المؤتمر الوطني الهندي، وجعلت هدفها أن تصبح قائدة سياسية، إلا أنها سرعان ما أدركت أن التحول الحقيقي للهند يجب أن ينبع من الناس أنفسهم. وعلى وجه الخصوص، كانت جايا

معنية بوضع النساء الفقيرة في بلدها. كانت على قناعة بأن الهند لن تحقق كامل طاقتها أبدًا إن لم تستغل نصف مواردها الطبيعية المتمثلة في نسائها.

عندما التقيت جايا خلال واحدة من زياراتي الأولى للهند، أخبرتني: «تدنِّي المكانة الاجتماعية والاقتصادية للمرأة في الهند هو أكبر عائق يعترض سبيل التنمية.» يعيش تحت خط الفقر المدقع نحو ٣٥٠–٤٠٠ مليون شخص، أغلبهم من النساء.[10] ويقدَّر عدد الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين السادسة والرابعة عشرة في الهند ولا يرتادون المدارس بنحو ثمانية ملايين طفل، أغلبهم من الفتيات.[11] مع تدنِّي المكانة في المجتمع والافتقار للتعليم، تصبح النساء عرضة للعنف الأسري، والاتجار بالبشر، والإصابة بفيروس نقص المناعة البشرية/الإيدز. ومما لا شك فيه أن عدم توافر المعلومات لدى النساء حول المرض وكيفية الوقاية منه، إضافة إلى عدم قدرتهن على اتخاذ القرار فيما يتعلق بالأمور الجنسية، يزيد من تعرُّضهن للخطر. بدأت جايا العمل على التشجيع على التحرُّك الجماعي من جانب أشد النساء فقرًا، محفِّزة إياهن على البدء في وضع تصور لمستقبل أفضل لأنفسهن ولأطفالهن.

في أثناء الفترة التي قويت فيها شوكة الحركة النسائية في الغرب، سعت جايا إلى تمكين النساء الهنديات اقتصاديًّا من خلال التمويل المتناهي الصغر، وتقول عن ذلك: «كثير من برامج التمويل المتناهي الصغر تبدأ وتنتهي بفكرة أنه إن أعطيت امرأة فقيرة قرضًا ضئيلًا لبدء مشروع صغير، فإنها لن تتمكن من إعالة أسرتها وحسب، بل إنها ستسدد القرض أيضًا. ونحن بمنتدى المرأة العاملة نؤمن بأن زيادة دخل الأسرة وحده لن ينتشل المرأة من الفقر. مفهوم الفقر لدينا هو انعدام السبيل إلى الموارد والتعليم والحقوق.» دافع منتدى المرأة العاملة منذ تأسيسه عن المبدأ القائل بأنه حتى يتحقق تغيير اجتماعي واقتصادي حقيقي، ينبغي تمكين النساء اقتصاديًّا وبوصفهن مواطنات فاعلات معًا؛ من أجل فهم قيمتهن في المجتمع وحقوقهن.

استخدمت جايا دراسات الحالة لتثقيف النساء بشأن تأثير تعليم أطفالهن وأهمية الرعاية الصحية. وقد نشرت جايا المعلومات لمساعدة النساء في الضغط على مسئولي الحكومة بشأن القضايا التي تمس حياتهن. وبإدراكها أنه ليس بوسع منظمة بعينها النضال من أجل التغيير بمفردها، حشدت جايا شبكة من الحقوقيين للعمل على نحو جماعي من أجل تحقيق التقدم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وسرعان ما وجدت نفسها في قلب ثورة الهند الصامتة؛ وهي حركة لتمكين أشد الناس فقرًا.

منذ عام ١٩٧٨، مكَّن منتدى المرأة العاملة ما يقرب من مليون سيدة فقيرة منتشرات في أنحاء ٣٠٠٠ قرية و١٦٠٠ حي فقير في مختلف أنحاء الهند. باستطاعة هؤلاء النساء اتخاذ القرار بشأن عدد الأطفال الذين يريدون إنجابهم، وكسب دخل للمساعدة في إعالة أسرهن، وفهم حقوقهن القانونية والسياسية والعمالية والإسكانية والنضال من أجلها. ومن خلال المسيرات بالشوارع واللقاءات الجماهيرية، يلفتن انتباه الجمهور إلى شواغلهن.

كثيرات من القائدات بشبكة جايا يُحدثن تغييرًا أكبر بكثير بتمثيل قراهن بالمجالس الحكومية المحلية المعروفة باسم البانشايات. ما يزيد على مليون سيدة يتقلدن مناصب بالبانشايات عن طريق الانتخابات المحلية. ويعد هذا أكبر تمثيل سياسي للمرأة في العالم. أشار تقرير التنمية العالمية المعني بالقضايا الجنسانية لعام ٢٠١١ إلى أن التمثيل النسائي القوي بالبانشايات — حيث تشغل النساء ٣٣ بالمائة من المقاعد في أغلب أقاليم الهند — أدى إلى تحقيق نمو أكبر في البنية التحتية، مثل الطرق والماء النظيف والتعليم، كما أدى إلى انخفاض نسب الفساد الحكومي والهدر.[12]

تدرك جايا أنه بمجرد أن يتم تمكين المرأة، فإن حياتها تتغير للأبد. عندما ضربت أمواج تسونامي الساحل الجنوبي للهند في ديسمبر ٢٠٠٤، كثيرات من المشتغلات بالصيد اللاتي كنَّ يشكِّلن جزءًا من شبكتها فقدن سبل عيشهم، فسافرت إلى الجنوب من أجل جبر خاطرهن، ومعاينة الدمار الذي حلَّ بالمنطقة، ومساعدتهن على إعادة الإعمار. ولأن هؤلاء النساء كُنَّ مُمكَّنات، عرفن أنهن يحظين بشبكة دعم تعضدهن. ورغم أنهن فقدن كل شيء، فإنهن لم يفقدن ثقتهن بأنفسهن. دعمت جايا أكثر من ألفين من المشتغلات بالصيد، وذلك عن طريق توفير المأكل والملبس والدعم المالي؛ لإعادة بناء مشروعاتهن وحياتهن، ولمواصلة إعالة أسرهن. تؤمن جايا إيمانًا راسخًا بقوتها الدافعة: «إعطاء القدوة والمشاركة فيما تدعو إليه.»

سمر منة الله خان

باكستان

> فيما يتعلق بحقوق المرأة أو حقوق الإنسان في باكستان، ثمة نوع من ثقافة الصمت. كان من الأهمية بمكان أن تظهر حركة ما تعتمد على وسائل الإعلام كي تتصدى لنمط التفكير السائد أو تساعد على كسر حاجز الصمت.

بوصفها ناشطة وسينمائية، تخطو سمر منة الله خان خطوات جريئة من أجل تغيير الثقافة السائدة. فلأكثر من عشرين عامًا، ناضلت من أجل حقوق الإنسان في باكستان، مع التركيز على أعمال العنف المجرَّمة قانونًا بحق المرأة والفتاة. وبالاستعانة بالأفلام الوثائقية وتوفير المساعدات للمحتاجين، أعلت سمر من صوت النساء، ومكَّنت الأبطال والحقوقيين من الرجال، وألقت بالضوء على انتهاكات غير مرئية لحقوق الإنسان في أنحاء البلاد.

غُرست بذور القيادة لدى سمر في سن مبكرة؛ فقد نشأت في الإقليم الشمالي الغربي الحدودي من باكستان، وكانت قريبة من والدها، الذي آمن بأهمية التعليم وشجع سمر على تعقب أحلامها. ورغم وفاته عندما كانت سمر في الثالثة عشرة من عمرها، تركت مُثُله التقدمية أثرًا لا يُمحى لديها، ما وفر لها الفرص التي حُرمت منها فتيات كثيرات جدًّا شبَّت سمر بينهن. تعقبت سمر أحلامها، وسافرت إلى جامعة كمبريدج لتحصل على درجة علمية في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والتنمية. وعندما عادت إلى وطنها باكستان، نظرت إلى بلدها ومجتمعها بمنظور جديد. وحين عاودت الاتصال بصديقاتها وزميلاتها القدامى، أدركت التأثير الذي خلفه والدها على الوجهة التي اتخذتها في حياتها؛ فبفضل ما تلقته من علم وما حظيت به من تمكين، تمتعت سمر بالاستقلال وحرية الاختيار، في حين افتقرت كثيرات من قريناتها للفاعلية وقاسَين العنف بالمنزل. شعرت سمر أن

ثقافتها المحلية تنظر للأفراد نظرة مختلفة؛ كلٌّ حسب نوعه؛ إذ يلقى الفتيان التقدير باعتبارهم أفرادًا بالمجتمع. أما الفتيات فيُعتبرن مجرد رموز للشرف. هذا الإدراك الهدَّام حفَّز سمر على التحرك. وإدراكًا منها للفرص التي وفرها لها والدها، بدأت تشجِّع على تبنِّي القيم التقدمية وتتحدى الممارسات الثقافية التمييزية، وتحض على المساواة بين الرجال والنساء في باكستان.

بلد كباكستان في أمسِّ الحاجة إلى قائدات مثل سمر؛ حيث لم تنل المرأة والفتاة حقوقها إلى الآن على أرض الواقع. تشير التقديرات إلى أن ثلاث نساء يقعن ضحايا لجرائم القتل بدعوى الشرف كل يوم، وأن ٨٠ بالمائة من البالغات كافة يتعرضن لاعتداء بدني من شريك حميم. وتعد باكستان منبعًا وقبلة للاتجار في البشر بغرض الجنس على نطاق عالمي، والزواج القسري أو زواج الأطفال، والتعدي بالمواد الكاوية، والعنف الأسري. أضف إلى ذلك حقيقة أن كثيرًا من المجتمعات الباكستانية تمارس عادة يُطلق عليها «سوارا» أو «فاني»؛ وهي تقليد يعود إلى ألف عام مضت يعتبر النساء والفتيات عطايا بغرض إحلال السلام. وتُتبع عادة سوارا عندما تهبُ عشيرةٌ عشيرةً أخرى إحدى عضواتها الإناث من أجل استعادة شرف أو تسوية خلاف، ثم تحدد العشيرة الجديدة مصير المرأة أو الفتاة؛ فأحيانًا تُجبر على الزواج من أحد أفراد العشيرة، وفي أحيان أخرى تُقتل.

في محاولة منها لمقاومة هذه الممارسات وتشكيل ثقافة مختلفة، أسست سمر «إثنوميديا»؛ وهي منظمة غير هادفة للربح، إذ من خلال ابتكار محتوى إعلامي أصيل والدفاع عن الحقوق ومساعدة المحتاجين، أمَّلتْ سمر أن تسلط الضوء على رؤى ومواقف وأولويات المرأة، وفي الوقت نفسه تُبرز العوائق الثقافية المؤذية التي تعترض حصول المرأة الكامل على حقوقها الإنسانية. لاحظت سمر أمرًا مهمًّا عندما بدأت عملها في منظمة إثنوميديا، فكثير من الرجال بمجتمعها يحملون انطباعًا سلبيًّا عن المنظمات غير الهادفة للربح. كانوا يشعرون أن هذه المنظمات تتبنى نظرة انتقادية لكل الرجال، بصرف النظر عن أفعالهم أو معتقداتهم. وإدراكًا من سمر لهذه الانطباعات ووعيها بموروث والدها، بذلت جهودًا استراتيجية لإشراك الرجال في عمل منظمتها. أثناء تطوير سمر للمحتوى الإعلامي، سلطت الضوء على أعضاء المجتمع من الرجال الذين يدعمون حقوق المرأة، والتمست مشاركة الرجال في الدفاع عن قضيتها. اليوم ترى سمر أن إعداد أجيال مستقبلية من الآباء المراعين للاعتبارات الجنسانية جزء لا يتجزأ من عملها.

على مدار العقدين الماضيين، ازداد نشاط منظمة إثنوميديا زيادة مذهلة. ومن خلال هذه المنظمة، أعدت سمر محتوًى إلكترونيًّا ومنشورات، وموضوعات إخبارية، وأفلامًا وثائقية، وبرامج تليفزيونية، وأغاني مصورة؛ ما نقل بفعالية المعلومات حول العنف الموجه ضد المرأة إلى الباحثين وقادة المجتمع المدني وصنَّاع السياسات والجمهور. علاوة على ذلك، أطلقت المنظمة حملات خدمية لنشر الديمقراطية ومكافحة العنف ضد المرأة، وتسليط الضوء على المحن التي تلم بالنساء في أوقات النزاع. ربما الشيء اللافت أن تعاون سمر مع إثنوميديا كُلل بالنجاح في مقاومة عادة سوارا، فبعد تجميع عدد ضخم من الأبحاث وتوثيق تأثير عادة سوارا على المرأة الباكستانية وأسرتها، تصدت سمر لهذه العادة بإشراك علماء إسلاميين وساسة وإقطاعيين في الحوار. وفي محاولة جريئة ومبتكرة من جانب سمر من أجل لفت الأنظار إلى تلك العادة، أقنعت أصحاب الشاحنات والعربات بلصق شعارات مناهضة لعادة سوارا على مركباتهم، مثل «تقديم الفتيات على سبيل التعويض لا يمت للإسلام بصلة فضلًا عن كونه عملًا غير إنساني.» وفي عام ٢٠٠٦، نجحت سمر في نقل نضالها ضد عادة سوارا إلى المحكمة العليا في باكستان. وبفضل جهودها المتواصلة، أصدرت المحكمة حكمًا تاريخيًّا بتجريم فعل «تقديم أو قبول أي طفلة أو امرأة ضد إرادتها الحرة على سبيل التعويض» في شهر يونيو من ذلك العام.

رغم أن جهود سمر عرَّضت سلامتها الشخصية للخطر، فإنها لم تُظهر أي بادرة للتراجع. عندما تفكر سمر في النجاح الذي أحرزته في حياتها المهنية، تتذكر حين تحدَّث إليها ابنها عندما كان في الحادية عشرة من عمره بشأن التهديدات بقتلها. نظر الفتى بجدية إلى أمه وقال لها إنه سيواصل عملها إن أصابها أي مكروه. وحتى اليوم، تَعتبر سمر تلك اللحظة واحدة من أكثر اللحظات المجزية في حياتها المهنية؛ ففي تلك اللحظة برهن لها ابنها أن موروث والدها سيبقى حيًّا في أسرتها وفي مجتمعها. إن الجهود التي تبذلها سمر من أجل توفير فرص للآخرين يعد مثالًا على تأثير رد الجميل.

الخاتمة

القيادة رحلة وليست وجهة

تقدمها سالي فيلد

ممثلة وناشطة وعضوة بمجلس إدارة أصوات حيوية

منذ سبعة عشر عامًا مضت، سافرتُ أنا أيضًا إلى بكين حيث حضرت وشاركت في مؤتمر الأمم المتحدة العالمي الرابع التاريخي المعني بالمرأة. لم أكن على علم بما سيحدث، وبالقطع لم أكن أستطيع التنبؤ بالتأثير العميق للمؤتمر عليَّ شخصيًّا، ومما زاد رحلتي أهميةً أن ابني البالغ ثلاثة وعشرين عامًا حينها، والذي كان يدرس في عامه الثالث بالجامعة كان برفقتي. بوصفي أمًّا، شاهدت هذا «الشاب الأمريكي» يقف في إجلال وهو يستمع إلى قصص النساء من مختلف الأعمار من شتى أنحاء الكوكب وهن يشرحن نضالهن الصعب من أجل ما رآه هو حاجات أساسية.

استطعت رؤيته والشعور به يتفاعل مع مدى أهمية وإلحاح ما يلقي الحضور الضوء عليه، وشاهدت تأثير ذلك عليه. الحق في الحصول على تعليم، الحق في الحصول على رعاية صحية مناسبة، الحق في الحديث بحرية، الحق في الحرية الاقتصادية، الحق في العيش دون خوف من التعرُّض لاعتداءات: هذه حقوق للمرأة بلا شك، لكنها حقوق الإنسان قبل كل شيء.

لم يخرج أحدٌ منا من المؤتمر بنفس الحال التي كان عليها عند دخوله.

تعلمتُ أنه حيثما تظل المرأة أمية، تكون المؤسسات الديمقراطية أكثر هشاشة، وتدار البيئة على نحو أقل كفاءة، وكذا تعلمتُ أن الاستثمار في تعليم الفتيات يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالفرص الاقتصادية. وحيثما تُمكَّن المرأة، فإنها لا تُحدث تحولًا في حياتها الشخصية فحسب، وإنما تغيِّر من حياة أسرتها ومجتمعها أيضًا.

أدركت كم كان مهمًّا بالنسبة إليَّ كامرأة في هذه الأسرة العالمية، وباعتباري أمًّا لثلاثة أبناء، أن أجد سبيلًا للانضمام إلى هذا المسعى بأي طريقة يسعني المشاركة بها. وفي السنوات اللاحقة، عملت القيادة التي تتولى زمامها نساء رائدات على إخراج هذه الدعوة للمساواة إلى النور. هؤلاء السيدات الجريئات كنَّ مصدر إلهام لأعضاء المجالس المحلية، ورواد المؤسسات الاجتماعية، وأرباب منظمات المجتمع المدني. والنساء اللاتي عرفتهن إبان الوقت الذي أمضيته مع منظمة أصوات حيوية يتمتعن بقدرة فريدة وعظيمة على القيادة القائمة على التعاون على نحو يحفِّز المجتمع ككلٍّ على المضي قدمًا من أجل التغيير، ليصبح أقرب إلى تحقيق السلام، وبلوغ الرخاء، والاستفادة المثلى من إمكاناته.

إن تحديات اليوم ضخمة، والتقدم المحرز سيظل غير ملموس إن لم يتم تعزيزه ويُبسط نطاقه. وعلينا، جميعًا، أن نمضي قدمًا يدفعنا الشعور بالواجب، ويحركنا الهدف ذاته الذي أنار الطريق أمام القيادات النسائية اللاتي تعرفنا عليهن عبر صفحات هذا الكتاب. من وجهة نظري، أرى أن الصمت قد كُسر والعمل قد بدأ في بكين. من فضلكِ، انضمي إلى المعركة كي تصنعي إرثًا باقيًا تصبح المرأة بفضله مؤثرة وفاعلة.

* * *

في يوم السبت الموافق ١٣ نوفمبر ٢٠١٠، أُطلق سراح أون سان سو تشي بعد أن قضت خمسة عشر عامًا من الواحد والعشرين عامًا المنصرمة رهن الإقامة الجبرية. تجمَّع أكثر من ألف من معجبيها من أهل بورما وصحافيي الوكالات العالمية أمام باب منزلها. وعندما خرجت إليهم، هللت الحشود وتغنى الرهبان وتراقص الأطفال، وفي ذات الوقت تملكت البهجة الآلاف غيرهم حول العالم.

قبل إطلاق سراح أون سان سو تشي بأسبوع، عقد نظام الحكم العسكري أول انتخابات خلال عشرين عامًا. رفض حزب سو الذي يحمل اسم الرابطة الوطنية الديمقراطية، المشاركة بالانتخابات، واصفًا الإجراء بالمزيف. توقع كثيرون أن يكون إطلاق سراح سو، رغم أنها كانت قد قضت مدة عقوبتها، مجرد حيلة من جانب الحكومة لالتماس شرعية دولية، ولفتح قنوات الحوار مع الغرب بشأن العقوبات التي شلَّت اقتصاد بورما.

حال إطلاق سراحها، أدلت أون سان سو تشي بتصريحٍ مُطالبةً المجتمع الدولي بالنظر من كثب لانتخابات السابع من نوفمبر. كانت السيدة سو يُطلق سراحها من حين لآخر في السنوات الماضية، لتُوضع مرة أخرى قيد الإقامة الجبرية. في الأيام والأسابيع اللاحقة، تساءل العالم إن كان النظام العسكري سيعيد الكرة أم أنه يسعى سعيًا صادقًا لكسر حدة الجمود الذي أصاب العلاقات.

عزمنا بمنظمة أصوات حيوية على فعل كل ما بوسعنا لدعم نضال سو الشجاع من أجل الديمقراطية، وإبداء تقديرنا له. قررنا تكريم السيدة سو بمنحها جائزة أصوات حيوية للريادة العالمية، التي كان من المقرر أن تقدمها وزيرة الخارجية هيلاري كلينتون بمركز كينيدي في واشنطن العاصمة في أبريل ٢٠١١. تنامى إلى علمنا أنه إذا غادرت السيدة سو بورما، فقد لا تتمكن من العودة إليها أبدًا. عوضًا عن ذلك، تقرر أن أسافر أنا للقائها في صحبة آرون كيسنر؛ المدير المبدع بمنظمة أصوات حيوية. أردنا التباحث حول الطرق التي بإمكان المنظمة دعم سو بها، كما أردنا تسجيل رسالة مصورة لنقل كلماتها إلى قاعدة أعرض من الجمهور.

استغرقت مغامرتنا أشهرًا من الإعداد، واستلزمت مساعدة من شبكة من الأفراد الذي كرَّسوا حياتهم لشعب بورما. كنا على دراية بأن كثيرين من الصحافيين بل وقادة العالم، مثل رئيس الوزراء البريطاني السابق جوردن براون، لم يُسمح لهم بدخول بورما في الماضي، وبعضهم حط بطائرته في مطار يانجون ليُرفض دخوله البلاد، لكن حالفنا الحظ ومررت أنا وآرون رغم كل ذلك.

لم تتمتع بورما آنذاك إلا باتصال محدود بالعالم الخارجي. لم تكن خدمة الاتصال الدولي عبر الهواتف المحمولة تعمل؛ ما صعَّب علينا الاتصال بمعارفنا المحليين. ولتنسيق لقائنا، اضطررنا إلى أن نجوب أرجاء المدنية، وأن نجري مكالمات مستعينين بأكشاك هاتفية مؤقتة صغيرة في الشارع. رغم أن بورما قائمة على الاقتصاد النقدي وحده، لم

نجد ماكينات صرافة آلية؛ ما جعل الحصول على نقودٍ أمرًا أشبه بالمستحيل. ومع وجود عدد محدود جدًّا من الغربيين بالمدينة، لم نتمكن من التعامل باعتبارنا سياحًا لوقت طويل. وبنهاية الأمسية الأولى بالبلد، سلمنا بحقيقة وجود «رقيب» يتبعنا.

صبيحة يوم ٢ مارس، استقللنا سيارة أجرة إلى معبد شويداجون، المكان الذي ألقت فيه السيدة سو خطبتها الشهيرة عام ١٩٨٨ التي استهلت بها رحلتها السياسية. كان ذلك اليوم يوم عطلة في بورما؛ إذ شهد إحياء الذكرى التاسعة والأربعين لانقلاب عام ١٩٦٢ الذي أسس لهيمنة الجيش السياسية. يا له من يوم غريب ألتقي فيه بأبرز أصوات بورما المطالبة بالديمقراطية.

قفزنا في سيارة أجرة ثانية، وبدا على السائق التوتر عندما طلبنا منه التوجه إلى عنوان مقر حزب الرابطة الوطنية الديمقراطية. لم نبعد عن وجهتنا كثيرًا، لكن ونحن نتتبع الأرقام على البنايات في السيارة لاحظنا أننا نسير في الاتجاه الخطأ، وتساءلت إن كان السائق يخطط لتسليمنا للشرطة. بعد رحلة غير مباشرة، وصلنا إلى ما بدا لنا بناية خاوية: رقم ٩٧ب. لاحظت أن يدي السائق كانتا ترتعشان وهو يُمسك بعجلة القيادة. ترجَّلنا مسرعين بحيث لا يُفتضح أمره ويتعرض له أحد، وتخطينا بعض فتات الصخور، ودلفنا البناية. شعرت أنه بوسعي تنفس الصعداء لأول مرة منذ أن وطئت قدماي بورما.

داخل جدران مقر حزب الرابطة الوطنية الديمقراطية، كان مكتب السيدة سو هادئًا؛ لأن اليوم كان عطلة وطنية، وعلى مكتبها استقرت صور قديمة لوالدها؛ البطل الثوري الجنرال أون سان، ومجموعة من الخطابات من المؤيدين لها حول العالم، وكمبيوتر أبل عتيق الطراز يعلوه الغبار، وأكوام من الدراسات والتقارير الدولية.

دخلت علينا السيدة سو في هدوء. كانت ترتدي بلوزة أنيقة قرمزية اللون، وتعقد شعرها بمجموعة من الورود الناضرة. كانت ترتدي السارنج؛ وهو الزي التقليدي في البلاد. كانت تبدو أكثر جمالًا — جمال لم يخلُ من قوة — من أي صورة طالعتُها لها. توقعت منها أن تعاملني معاملة رسمية، لكنها سرعان ما رحبت بي وطمأنتني إليها بطلاوتها وتواضعها وحسِّها الفكاهي وحنانها. حدث أكثر من مرة ونحن نتحدث أن تداعى الحوار لدرجة أني كنتُ أنسى المكان الذي نحن فيه. انطباعي عنها أنها امرأة تتمتع بكامل السيطرة.

رغم التضحيات العظيمة التي بذلتها السيدة سو لأكثر من عشرين عامًا، أخبرتني أنها لا تحمل أي ضغينة شخصية تجاه المجلس العسكري، واعترفت لي بأنها أحيانًا ما

تصاب بالإحباط، لكنها سرعان ما تتغلب على الإحباط بالأمل. إنها تعشق حماس الشباب وتخطط للخروج إلى العالم يومًا ما من أجل التحدث إلى الطلاب.

إن قضاء ساعة واحدة مع أون سان سو تشي كان بمثابة تجربة رائعة؛ فقد أسرتني قصتها منذ أن سمعتها تتحدث لأول مرة عبر الفيديو بمؤتمر الأمم المتحدة في بكين منذ سبعة عشر عامًا، إلا أنها طيلة ذلك الوقت كانت تمثل بالنسبة إليَّ أيقونة وليس شخصًا فعليًّا. كنت أنظر إلى صورتها على الملصقات كمثال للشجاعة؛ حيث لم أكن أتوقع أن تكون تلك المرأةَ الصريحة واللطيفة التي جلستُ معها في مكتب متواضع في يانجون.

سألتها إن كان مر عليها وقت من الأوقات شعرت فيه بعبء التعامل معها باعتبارها أيقونة، فردَّت بأنها لا تنظر إلى نفسها من هذا المنطلق، وأنها مجرد سيدة تؤدي عملًا. كان من المذهل اعتبار التضحيات التي بذلتها «عملًا» في الوقت الذي تستمد فيه قوتها من قناعتها بأنها تدافع عن شيء يتجاوز حدود ذاتها. ورغم أنها لم تسعَ قط لأن تكون قائدة، كانت على استعداد لأن تقوم بهذا الدور إن كان سيعود بالفائدة على غيرها.

تحدثنا عن النساء حول العالم اللاتي يناضلن على الخطوط الأمامية للتغيير، وطلبت مني تبليغ رسالة إلى النساء اللاتي أقابلهن؛ هي لا تريد منهن فقدان الأمل، فهذا اختبار يمر به القادة، وعلى القائد أن يتحلى بروح المثابرة. تحدثنا عن الربيع العربي ومدى واقعية واستدامة التغيير الحادث.

ونحن نغادر مكتب حزب الرابطة الوطنية الديمقراطية، ألقيتُ نظرة أخيرة على مقرها المتواضع متسائلة: كم كانت ستصبح بورما مختلفة تحت قيادة أون سان سو تشي! ربما يملك الحكام العسكريون سلطة الإكراه، لكن أون سان سو تشي تملك سلطة قلوب الشعب، مانحة إياهم الأمل في الوقت الذي لا يملكون سواه.

شعرت بأن لقائي بها كان بمنزلة الخطوة الأخيرة التي اكتملت بها رؤيتي عن القيادة في رحلة كثيرًا ما كنتُ أنظر خلالها إلى صورة سو كي أستمد منها الإلهام. لم أتخيل قط عندما سافرت إلى بكين في صيف ١٩٩٥ أن النساء اللاتي سأقابلهن هناك سيغيِّرن مسار حياتي. إن دروس القيادة التي كشفت عنها قصصهن — الدروس التي عززتها النساء المؤثرات اللاتي قابلتهن مذ ذلك الحين — غذت قناعتي بأن تصوُّرًا جديدًا للقيادة بصدد الخروج إلى النور. إنه تصوُّر تضرب السيدات الأمثلة عليه، لكنه لا يقتصر عليهن. هذا اللقاء بأون سان سو تشي ذكَّرني بأنه قد لا يتوفر لنا أبدًا الصيغة أو الموقف المثالي لقيادة التغيير. يجب أن نتمتع بالبرجماتية ونغتنم الفرص متى ظهرت.

لقد جعلتني سو أدرك أنه يتعين نشر هذه الدروس، ونقل هذا النموذج على نطاق أوسع، فهو نموذج بوسع أي شخص اتباعه؛ إنه نموذجٌ عالمُنا في أمسِّ الحاجة إليه اليوم.

إن التحديات المعاصرة التي تواجه عالمنا تستدعي تصوُّرًا جديدًا للقيادة. إن كنا نريد أن نلمس تحولًا يحدث، ينبغي لنا التسليم بقوة الإمكانات التي يحملها هذا النموذج، ودورنا في تحقيقه على أرض الواقع.

عالم يزداد تشابكًا في حاجة إلى قادة تشاركيين

عالم لا تبرح الهُوة فيه بين الأغنياء والفقراء تتسع. إنه بحاجة إلى قادة ذوي وجهة تفكير تقوم على الشمول والمشاركة.

عالم مزَّقه سوء الفهم وغياب الثقة بين الشعوب والأديان والثقافات. إنه عالم بحاجة إلى قادة راسخة جذورهم في مجتمعاتهم، وفي الوقت نفسه عازمين على مد جسور التواصل مع الآخرين.

عالم تواجهه تحديات ملحَّة، بعضها موجود منذ أمد طويل، والبعض الآخر منها يثب إلى الوجود بوتيرة سريعة. إنه عالم في حاجة إلى قادة مبدعين يستثمرون من جديد في الأجيال الصاعدة تلك المكاسب التي جنَوها من خبرتهم.

وفوق كل ذلك، عالم في صيرورة دائمةٍ في حاجة إلى قادة يضطلعون من فورهم بمهامهم، بغض النظر عن حالتهم أو موقعهم أو وسائلهم الراهنة.

إن النساء اللاتي قمن بتثقيفنا بشأن القيادة لم يقفن مكتوفات الأيدي، فهن لم يتأخرن في اتخاذ إجراءات من أجل التماس التمويل أو التدريب أو الخبرة، أو دعوة الأخريات، أو الإعراب عن تقديرهن لهن. لقد أدركن أنه لا توجد لحظة مثالية تبدأ فيها القيادة. لقد برزن بغض النظر عن الموقع الذي كنَّ فيه، وعن الموارد التي كانت تحت أيديهن، لتحدي الوضع الراهن بكل ما في وسعهن.

تُذكِّرنا قصصهن بأنه لا يوجد بيننا من لا يملك قدرة على إحداث تغيير حتى في البيئات التي لا تتوقف عن قمع حقوق النساء وإنكارها، بوسعهن الارتقاء كمدافعات عن الإصلاح السياسي، أو الفرص الاقتصادية، أو التنمية البشرية. إضافة إلى ذلك، الأمثلة التي يَضرِبْنها تعلمنا أن القيادة ليست وجهة يطمح المرء إلى بلوغها بعد تحقيقه أهدافًا

أخرى كثيرة؛ بل إنها ليست وجهة على الإطلاق. إنها اختيارٌ نُقدِم عليه كل يوم، مدركين أن أهم خطوة في رحلة القائد هي دومًا الخطوة التي نحن بصدد أن نخطوها.

بوسع أي شخص التغيير

فرصة إحداث التغيير متاحة لنا في كل مكان وزمان، وإحداث التغيير لا يقتصر على سن معينة أو قدر محدد من الخبرة. في الواقع الشباب هم أكثر من يتَّسمون بالبصيرة في التعرُّف على هذه الفرص، وهم الأقل تشاؤمًا حيال فرص النجاح بالمستقبل.

على سبيل المثال، في خريف عام ١٩٩٩، سمعت ميجان جرينويل وإيليانا مونتوك — مراسلتان صحافيتان بالمدرسة الثانوية في بيركلي بكاليفورنيا — عن الوفاة المأساوية لشابة هندية جرَّاء التسمم بأول أكسيد الكربون؛ كانت تعيش في مجمع سكني يبعد بضعة شوارع عن مدرستهما، وكانت في مثل عمرهما وقت وفاتها. بدأت ميجان وإيليانا تطرحان الأسئلة: «أين كان والداها؟ لماذا لم تكن بالمدرسة؟» شكَّتا في أن القصة تتضمن أكثر مما قرأتا بالصحف المحلية.

أجرتا مقابلات مع طالبات أخريات من جيرانها ومع سكان من المجمع السكني، ومع أعضاء من جالية جنوب آسيوية بالمنطقة. اكتشفت الفتاتان أن المتوفاة دخلت الولايات المتحدة بطريقة غير شرعية؛ حيث جرى تهريبها إلى الولايات المتحدة ضمن شبكة للاتجار بالبشر وتم استرقاقها قسرًا. نشرت الفتاتان القصة في صحيفة المدرسة، «بيركلي هاي جاكيت»؛ ما أدى إلى إلقاء القبض على مالك عقارات بارز بالمنطقة يُدعى لاكيريدي بالي ريدي، وسقوط شبكة إجرامية قوية في نهاية الأمر.[1]

هذه قصة غريبة، لكنها ليست نادرة كما قد يظن المرء؛ ففي جميع أنحاء العالم، توجد فتيات ونساء يقدن التغيير. في عام ٢٠٠٨، تزوجت نجود علي؛ وهي فتاة يمنية من أسرة فقيرة وأُمِّيَّة، من عامل توصيل طلبات يكبرها بعشرين عامًا، وبموجب قانون الأحوال المدنية اليمني، كان هذا الزواج لا غبار عليه من الناحية القانونية.

على مدار الأشهر الأولى من زواجهما، قاست نجود تعرضها للاغتصاب والضرب مرارًا وتكرارًا إلى أن جاء يوم وجدت في نفسها الشجاعة لأن تقرر مصيرها بنفسها. هربت من المنزل واستقلت سيارة أجرة متجهة إلى المحكمة المحلية، وهناك أذهلت الجميع بتقديمها طلب طلاق. لم تدافع فتاة صغيرة من قبلُ عن نفسها على رءوس الأشهاد على ذاك النحو، وسرعان ما لفتت انتباه الصحافة المحلية. تولَّت شذى ناصر؛ أول محامية

في اليمن، قضيتها. ذهبتا إلى المحاكمة حيث طلَّقها القاضي ثم أمر بإلقاء القبض على زوجها ووالدها.

انتشرت قصة نجود حول العالم سريعًا؛ ما أعطى زخمًا جديدًا للوعي بمسألة زواج الأطفال الذي يؤثر على أكثر من عشرة ملايين فتاة تحت سن الثامنة عشرة حول العالم كل عام،[2] كما أذكى جذوة حملة عالمية لوضع نهاية لهذه العادة. في وقت لاحق من ذلك العام، أعد البرلمان اليمني قانونًا حدد الحد أدنى لسن الزواج بسبعة عشر عامًا. وفي عام ٢٠١١، دشَّن حكماء العالم — مجموعة من رؤساء الدول وقادة العالم السابقين — حملة «فتيات ولسن عرائس»؛ لوضع حد لزواج الأطفال خلال جيل واحد.[3] أعلن كبير الأساقفة، ويُدعى ديزموند توتو، أن هذه العادة «استرقاق»، وتعهَّد بتكريس نفس القدر من الجهد والحماس والالتزام الذي كرَّسه لإنهاء الفصل العنصري في جنوب أفريقيا.

وكذا في عام ٢٠١١، انضمت منظمة أصوات حيوية إلى شركة آن؛ وهي الشركة الأم لمتجري آن تايلور ولوفت للملابس، إذ جمع بينهما إيمان مشترك بالشابات والفتيات بوصفهن عاملًا جوهريًّا في إحداث التغيير. أطلقت شركة آن ومنظمة أصوات حيوية مبادرة آن باور. يكتشف البرنامج الفتيات الأمريكيات بسن المدرسة الثانوية، مثل ميجان وإيليانا ونجود، اللاتي يُظهرن قدرةً على تحفيز التغيير الإيجابي في مجتمعاتهن وحول العالم. في كل عام، تتلقى مجموعة من خمسين فتاة تدريبات على القيادة على يد العديد من القيادات النسائية الرائعة اللاتي سلطنا الضوء عليهن في هذا الكتاب، إضافة إلى وجود شبكة داعمة نابضة بالحيوية لمساعدتهن في إحداث موجات التغيير الأولى.

كثيرًا ما يبدأ التغيير الكبير بمساعٍ بسيطة

في إطار الإعداد لمؤتمر الأمم المتحدة العالمي الأول المعني بالمرأة في عام ١٩٧٥، سافرت موفدة كينية، تُدعى وانجاري ماثاي، تجوب أنحاء بلدها متحدثة إلى النساء حول التحديات التي يواجهنها في حياتهن اليومية. أخبرنها عن الفقر وافتقارهن لماء الشرب النظيف والطعام المغذي وحطب الوقود.

ذهلت وانجاري، التي غادرت كينيا عام ١٩٦٠ لتستكمل دراساتها في الولايات المتحدة، أمام أوجه التباين بين الحياة التي عاشتها وهي تترعرع في أربعينيات وخمسينيات القرن العشرين، والوقائع التي تجابهها المرأة الكينية بعد انقضاء خمسة عشر عامًا وحسب. رغم أن عائلتها لم تكن ثرية في أي وقت من الأوقات، فإن هذه العائلة

لم تعتبر نفسها عائلة فقيرة. كانوا يقتاتون على ما تطرحه لهم الأرض، فتوفر لديهم طيلة الوقت ما يكفي من الطعام وماء الشرب النظيف والحطب لإيقاد النار.

إلا أن سبعينيات القرن العشرين جاءت بممارسات إزالة الغابات ونزع الغطاء النباتي — تلك الممارسات التي أُجريت بهدف إعداد الأرض للمحاصيل التجارية — التي أدت إلى تجريف التربة. أخلَّت التنمية الصناعية بأنماط الحياة القديمة في كينيا الريفية، وتركت السكان دون الموارد الطبيعية التي يحتاجونها لإعالة أنفسهم، وكثيرًا ما كانت النساء هن أكثر المتضررين، فكن المسئولات عن جلب المياه والحطب. ومع ندرة الموارد، كنَّ يضطررن إلى الخروج في حذر إلى بقاع أبعد وأبعد كل يوم من أجل إعالة أسرهن.

توصلت وانجاري إلى خطة بسيطة: زرعت أشجارًا محلية، فذاع صيت فكرتها وانتشر تطبيقها، وفي غضون عشرين عامًا وحسب، ومع ندرة الموارد وشح التكنولوجيا، غيرت وانجاري من وجه كينيا؛ فاعتبارًا من عام ٢٠١٢، زرعت حركة الحزام الأخضر التي شكلتها وانجاري ما يربو على أربعين مليون شجرة، وغيرت حياة عدد لا حصر له من الأشخاص إلى الأفضل؛ وهو الإنجاز الذي رشحها لنيل جائزة نوبل للسلام عام ٢٠٠٤.

القيادة تستدعي الصبر والالتزام بالمثابرة

في عام ٢٠١١، توفيت د. وانجاري ماثاي جرَّاء مضاعفات سرطان المبيض. قبل وفاتها ببضع سنوات، سنحت لي فرصة لقائها وسؤالها عن وجهة نظرها بشأن أهم خصيصة يتمتع بها القائد، وكانت إجابتها: «إن تأمَّلتِ مَن هم مثل مهاتما غاندي أو أنديرا غاندي ذاتها، فستجدين أنهم يمتلكون رؤية، ويتمتعون بالحماس، ويسعون خلف حماسهم بإصرار، ويتحلَّون بالصبر؛ لأنهم أدركوا أن الأهداف لا تتحقق بين عشية وضحاها، لكنهم كانوا أيضًا مثابرين. استمسكوا بتلك الفكرة لأنهم آمنوا بها إيمانًا راسخًا.»

إن التغيير المستدام لا يحدث بين عشية وضحاها. كشفت أبحاث أندرس إريكسون؛ اختصاصي العلوم الاجتماعية، في مطلع تسعينيات القرن العشرين، عن أنك تحتاج إلى عشرة آلاف ساعة من التدريب المتواصل حتى تصير خبيرًا في أي شيء؛ سواء كان مجال العزف على آلة موسيقية، أو ممارسة رياضة ما، أو القيادة في مجال مهني معين. بالمثل، فإن خلق تغيير حقيقي سيستغرق عادة سنوات من الالتزام. وصفت جيو جيانمي أيامها الأولى في الدفاع عن حقوق المرأة في الصين بأنها أشبه «بصعود جبل مع الدفع

بعربة مثقلة بالأحمال في مواجهة ريح عاتية.» تحدثت إينيز ماكورماك كيف أن عملها من أجل السلام والحقوق المدنية في أيرلندا الشمالية «شُوِّه في البداية، لكنه الآن يُحتفى به.»

القادة تصنعهم الإخفاقات ولا تهزمهم

أغلب القيادات النسائية اللاتي قابلتهن لهن قصة تدور حول إخفاق حدث لهن. روشانا ظفر من باكستان تعتقد أن خطأها الأساسي — وهو استبعاد الرجال من استراتيجية الإقراض التي وضعتها — هو الذي سلَّحها بالمعرفة التي كانت في حاجة إليها كي تجعل مؤسسة كشف مؤسسة ناجحة اليوم. وأدركت سونيتا كريشنان من الهند في وقت مبكر أن الحماس وحده لا يكفي من أجل بقاء منظمتها. وكانت كاكينيا نتايا عاقدة العزم على تغيير حياة فتيات شعب الماساي لدرجة أنها استخفت بالحواجز التي تعترض سبيل أفكارها الجديدة؛ كان عليها الرجوع خطوتين للوراء كي تكتسب ثقة مجتمعها قبل أن تقطع خطوتين للأمام نحو تحسين ذلك المجتمع.

ليس الفشل هو الأهم، وإنما الكيفية التي ننهض بها من كبوتنا، ونستعيد بها قوتنا، وكذلك الدروس التي تعلمناها. تسدي آريانا هافينجتون نصيحة حكيمة: «لا تخشوا الفشل؛ فالفشل ليس عكس النجاح. إنه خطوة نحو النجاح.» إن قوة هؤلاء القائدات المعنيات بقضايا تكمن في الوعي الذاتي: وضوح الهدف، إضافة إلى تواضع المرء إزاء مكامن قوته ومواطن ضعفه.

لكل شخص منبر باستطاعته القيادة من خلاله

صرحت بيث بروك؛ نائبة رئيس مجلس إدارة شركة إرنست آند يونج للشئون العالمية، بأن الإلهام أتاها في عام ٢٠٠٣، فبإحدى الأمسيات على طاولة العشاء، قالت لها مباشرة أعز صديقاتها: «أنت لا تقومين بما يكفي من أجل النساء.» كادت بيث يغشى عليها إثر ما سمعت، وانفعلت وأخذت تعدد متباهية كل الأمور التي صنعتها من أجل المرأة، وأنه لم يعد بوسعها فعل المزيد. تتذكر بيث قائلة: «لكنني عدت إلى منزلي تلك الليلة وفكرت فيما حدث، وأدركت أنها على حق.» ما كانت صديقتها تعنيه أن بيث بوصفها مسئولة تنفيذية كُبرى بمؤسسة فورتشن ٥٠٠ تمتلك منبرًا، وبإمكانها استخدام منبرها لدفع

التغيير ليس بداخل الشركة وحسب، وإنما في العالم الخارجي أيضًا مع قادة الحكومات، وكبار التنفيذيين، ووسائل الإعلام. تقول بيث: «لم أكن أستخدم منبري الأكبر بأي طريقة استراتيجية لدعم قضية المرأة على نطاق أوسع. صحيح أنني كنت أقدم التوجيه والرعاية والتشجيع وغير ذلك، وقيامي بكل ذلك كان منتظرًا مني ... لكن كان هناك مقدار أكبر بكثير من التأثير بوسعي تحقيقه إن استغللت منبري على نحو مدروس، وبطرق لن يتوقعها أحد مني، من شأنها بالطبع أن تجعل منه أكثر قوة وتأثيرًا.» وفي أعقاب الأزمة المالية العالمية في ٢٠٠٨، أصبحت إرنست آند يونج تحت قيادة بيث المتينة واحدة من المؤسسات المشهورة بالترويج لقيمة استغلال إمكانات المرأة لإخراج الشركات والبلدان من هوة الركود، وفي إطار ذلك أطلقت سلسلة من الدراسات والنقاشات حول المسألة.

لستِ بحاجة إلى دعم من مؤسسة متعددة الجنسيات كي تتولَّي قيادةَ التغيير؛ فالفتاتان في بيركلي، كاليفورنيا، لم تمتلكا سوى شبكتهما المكوَّنة من آبائهما ومدرسيهما وصحيفتهما المدرسية، إلا أنهما استغلتا المنبر المتاح لهما لبناء قاعدة دعم عريضة، وفي النهاية الحصول على منبر أكثر تأثيرًا. لكل شخص دائرة تأثير مهمة، بغض النظر عن صغر حجمها؛ فموجات التغيير الصغيرة يتسع تأثيرها، وتنمو دوائر التأثير تلك.

الفرصة تنتظر مَن يغتنمها

أحيانًا ما أتساءل عن المسار الذي كانت حياتي ستتخذه إن لم أسافر إلى مؤتمر المرأة ببكين حين كنت في الحادية والعشرين من عمري. ماذا لو عاقني قرار الحكومة الصينية برفض منحي تأشيرة المؤتمر؟ ماذا لو لم أخطُ تلك الخطوة غير المحسوبة؟ إن المخاطر التي نقدم عليها هي التي تشكل الشخصية التي نحن عليها، والدروس التي نختار تعلمها من الخبرة هي التي تمنحنا الثقة التي نحتاجها كي نواجه كل تحدٍّ جديد.

إن قيادة المستقبل تبدأ بإطار العمل الذي وضعته النساء اللاتي أطللنا عليهن في هذا الكتاب:

- قوة دافعة أو شعور بالواجب.
- وجود راسخ بالمجتمع.
- قدرة على الوصل بين مواطن الفصل.
- أفكار جريئة وأفعال جسورة.

- إصرار على رد الجميل.

بالرغم من كل هذه الخصائص المشتركة، ستواجه كل قائدة جديدة سياقًا وتحديات واستراتيجيات نجاح مختلفة.

إن الدروس التي تضمنها هذا الكتاب مستقاة على نحو مباشر من عصارة خبراتنا مع قيادات نسائية من مختلف أنحاء العالم. إننا ننحني تواضعًا أمام هؤلاء النساء، ونستمد منهن الإلهام كل يوم؛ فهن يمنحننا معنًى جديدًا ومصداقية جديدة للقب «قائدة»، وكل واحدة منهن رائعة بمفردها، وهن مُجتَمِعات يمثلن قوة قادرة على إحداث تحول. إن كل واحدة منهن تمثل نهجًا لا يعرف المستحيل.

إن القيادة معنية بالقرارات التي يصنعها المرء والأفعال التي يُقدم عليها كل يوم. العالم بانتظارِك، والقيادة اختيار، وهي تبدأ بك.

كلمة ختامية

سوزان آن ديفيز
رئيسة مجلس إدارة منظمة أصوات حيوية
بوبي جرين ماكارثي
نائب رئيس مجلس إدارة منظمة أصوات حيوية

نشعر بالامتنان والفخر كوننا جزءًا من منظمة أصوات حيوية، ونحن نجوب العالم بحثًا عن القائدات اللاتي نتوسم فيهن الاستعداد لإحداث تأثير كبير. لا يخبو أبدًا إعجابنا بهؤلاء الرائدات ونحن نستثمر في إمكاناتهن لتحقيق ما حلُمن به من أجل مجتمعاتهن وعالمنا.

خرجت سونيتا كريشنان من وسط أعتم صور العنف، فعزمت على أن تخلق عالمًا تُحمى فيه الكرامة الإنسانية، ولا تُشترى فيه حياة الإنسان أو تُقايض أو تُهمل. واليوم، شعورها بالواجب يعطي زخمًا للجهود الهادفة إلى القضاء على الاتجار بالبشر والاسترقاق في الهند.

تفهُّم ماريا باتشيكو الفريد لاحتياجات مجتمعها في جواتيمالا يوجهها وهي تحوِّل ما كان فقرًا مدقعًا ضرب المناطق الريفية إلى تنمية مستدامة عن طريق الربط بين الشعوب الأصلية والأسواق الدولية.

وصلت إينيز ماكورماك بين مواطن الفصل، بدافع من التزامها بتحقيق سلام شامل ودائم لأيرلندا الشمالية، ووحدت الجميع حول رؤية مشتركة للمستقبل.

أدَّت شجاعة ريبيكا لولوسولي الاستثنائية إلى تحدُّثها بحرية ضد الظلم، وإقامتها مأوًى للكينيات الناجيات من العنف، واللاتي نبذتهن أسرهن ومجتمعاتهن.

تؤسس مواطنتان إسرائيليتان — إحداهما عربية هي نُهى الخطيب، والأخرى يهودية هي ليرون بيليج-هادومي — لموروث من التسامح والتفاهم؛ ليكون بمثابة مثال حي على السلام الذي تطمح إليه صانعات السلام الشابات اللاتي تقومان بتوجيههن.

هؤلاء النساء وعدد لا حصر له من نساء أخريات يتولين قيادتنا للأمام. في المجتمعات العصية على التغيير والبيئات التي يغيب عنها التسامح، تنير هؤلاء النسوة الطريق؛ فبفضل إيمانهن الرصين، يشجعننا على المضي قدمًا نحو العالم الذي يتصورنه؛ عالم حر، عادل، وواعد.

ما بدأ كفكرة؛ تطلُّعٌ إلى إتاحة منبر لبطلات مغمورات يأخذن بيد أخريات نحو الارتقاء، أصبح الآن عاملًا حافزًا لتشكيل قيادة المستقبل.

إن منظمة أصوات حيوية تضفي حماسًا وغاية جديدة على حياتنا، فنحن نشعر بأننا وافرتا الحظ لمشاركتنا في هذه الرحلة — وهذا الكوكب — مع هؤلاء السيدات المدهشات اللاتي يمثلن أفضل ما يمكن أن تقدمه الإنسانية.

معلومات إضافية عن السيدات اللاتي سُلِّط عليهن الضوء في هذا الكتاب

بإمكانك في هذا القسم من الكتاب معرفة المزيد من المعلومات عن السيدات اللاتي سلطنا الضوء عليهن في هذا الكتاب، أو عن المنظمات التي أسسنها أو انضممن إليها.

إسراء عبد الفتاح
مصر
المعهد المصري الديمقراطي

http://egyda.org/blog/

عرف العالم إسراء لدورها في إشعال شرارة ثورة ٢٠١١ في مصر باستخدامها وسائل التواصل الاجتماعي، الأمر الذي جذب اهتمام آلاف المصريين وحشدهم. والمعهد المصري الديمقراطي منظمة شبابية أسستها مجموعة من نشطاء حقوق الإنسان والديمقراطية يعملون من أجل تعزيز قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان والمشاركة السياسية.

حواء عبدي
الصومال
مستشفى حواء عبدي ومؤسسة حواء عبدي

http://www.dhaf.org/

الدكتورة حواء عبدي، طبيبة لديها ابنتان تدعيان أمينة وديقة محمد، وهما أيضًا طبيبتان، وجميعهن مسئولات عن مخيم للاجئين يوفر المأوى والتعليم

والرعاية الطبية لما يقرب من ٧٨ ألف صومالي في ملاذ آمن نابذ للعنف مُعلن عنه يقع خارج مقديشيو التي مزقتها الحرب. كانت منظمة حواء عبدي من أوليات المنظمات التي عملت في الصومال، وتهدف إلى توفير مستوًى متميز من الرعاية الصحية والتعليم للممرضات والقابلات، والعمل على تمكين النساء في مجتمعاتهن. لمزيد من المعلومات، طالع الكتاب «إحياء الأمل» للدكتورة حواء عبدي وسارة جيه روبنز.

حفصة أبيولا
نيجيريا
مبادرة خضيرة من أجل الديمقراطية

www.kind.org

دشَّنت حفصة مبادرة خضيرة من أجل الديمقراطية في نيجيريا للتشجيع على المشاركة الكاملة للمرأة في المجتمع من خلال التدريب والنشاط الحقوقي. تدرِّب المبادرة الشابات على تولي مسئولية حياتهن الشخصية والمهنية، وعلى المشاركة في السياسة وصنع القرار على مستوى المجتمع وعلى المستوى الوطني.

أفنان الزياني
البحرين
الزياني للخدمات التجارية: جمعية سيدات الأعمال البحرينية

http://www.bahrainbusinesswomen.com/

http://www.menabwn.org/

أفنان الزياني مديرة تنفيذية، ومؤلفة ومقدمة برنامج تليفزيوني، وتترأس جمعية سيدات الأعمال البحرينية، التي تُعلي من شأن دور المرأة، لا سيما سيدات الأعمال، في جميع الأنشطة التجارية والاقتصادية، وتدعم النساء في كل المجالات التي تبرز مشاركتهن على المستوى المحلي والمستوى الخليجي والمستوى الدولي. كما تتولى قيادة شبكة سيدات أعمال الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

لُبنى القاضي
الكويت
أستاذة جامعية بجامعة الكويت والرئيسة السابقة للجمعية الثقافية الاجتماعية النسائية بالكويت

لُبنى أستاذة تدرس علم الاجتماع وحقوقية بارزة تدعو إلى نيل المرأة حقوقًا مكافئة للحقوق التي يتمتع بها الرجال في الكويت، وكان لنشاطها الحقوقي أهميته البالغة في الموافقة عام ٢٠٠٥ على قانون يمنح المرأة الكويتية حق التصويت والترشح للمناصب الحكومية. في ١٩٩١، ترأست لُبنى الجمعية الثقافية الاجتماعية النسائية بالكويت؛ وهي المجموعة الرائدة في مجال حقوق المرأة بالكويت.

لورا ألونسو
الأرجنتين
عضوة بالكونجرس في الأرجنتين

http://www.poderciudadano.org.ar

تركت لورا منصبها باعتبارها مديرة تنفيذية بمنظمة «قوة المواطن»؛ وهي مجموعة رقابية ذائعة الصيت تعلي من الشفافية وتحارب الفساد، كي تكون عضوة بالبرلمان عن حزب الاقتراح الجمهوري. وقد اتخذت خطوات شخصية وعلنية لإعلاء الشفافية بوصفها رسالتها الشخصية من داخل الحكومة.

جايا أروناشالام
الهند
منتدى المرأة العاملة

http://www.workingwomensforum.org

بصفتها رئيسة منتدى المرأة العاملة، تعمل جايا من أجل توفير الاستقرار الاقتصادي للعاملات الريفيات في الهند من خلال التدريب، وتوفير الموارد، والنشاط الحقوقي من أجل تعريف الجميع بنضالهن واحتياجاتهن. مهمة المنتدى هي تخفيض معدلات الفقر، وتعزيز الحالة الاقتصادية والاجتماعية

والثقافية للعاملات الفقيرات؛ من خلال الائتمان المتناهي الصغر والتدريب والتعبئة الاجتماعية وغير ذلك من صور التدخُّل لصالح المرأة الفقيرة.

بانميلا كاسترو

البرازيل

أناركيا جرافيتي

http://www.anarkiaboladona.com/

ريدي نامي

http://www.redenami.com/

حصلت بانميلا على درجة علمية في الفنون، وذاع صيتها كفنانة جرافيتي في ريو دي جانيرو؛ وتستخدم فنها للفت الانتباه إلى قضايا متعلقة بالمرأة مثل العنف الأسري، كما تصمم جداريات لنشر خبر الموافقة التاريخية على قانون ماريا دا بينيا، الذي جرَّم العنف الأسري في البرازيل.

ريتا شايكن

إسرائيل

منظمة امرأة لامرأة – مركز حيفا النسوي للدراسات

http://www.isha.org.il/eng/

تعمل ريتا من أجل القضاء على الاتجار في البشر بإسرائيل، وساعدت الحكومة ومسئولي إنفاذ القانون والمنظمات غير الحكومية على التعاون على نحو أفضل من أجل اكتشاف الضحايا ومساعدتهن وحمايتهن، وأيضًا من أجل ملاحقة المتاجرين بالبشر وتوعية الجمهور.

سوهيني تشاكربورتي

الهند

كلكتا سانفيد

http://kolkatasanved.org/

تسافر سوهيني إلى مختلف أنحاء الهند مستخدمة الرقص كشكل من أشكال التعبير والتعافي من أجل إعادة تأهيل الأطفال الذي سقطوا ضحايا للاتجار

بالبشر. تعمل منظمة كلكتا سانفيد في المناطق الريفية والحضرية من الهند وبنجلاديش ونيبال من أجل ترسيخ حركة الرقص؛ لتكون منهجًا بديلًا للتعافي بهدف إعادة تأهيل ضحايا العنف والاتجار بالبشر، ومرضى الأمراض العقلية، والنساء والأطفال المصابين بفيروس نقص المناعة البشرية/الإيدز، والعاملات بالمنازل، والأطفال على أرصفة السكك الحديدية، وأطفال المدارس التقليدية. وقد أعدت المنظمة وأقامت ورش عمل على مستوى العالم.

أنابيلا دي ليون
جواتيمالا

أنابيلا عضوة بالكونجرس في جواتيمالا والأمينة الثالثة للحزب الوطني، أمضت حياتها تحارب الفساد وتعلي من الشفافية رغم المخاطر الشخصية التي تعرَّضت لها. يُعرف عنها تصدِّيها للدفاع عن حقوق الشعوب الأصلية في جواتيمالا، كما شاركت في اتفاقيات السلام في جواتيمالا التي أنهت الحرب الأهلية التي التهمت البلاد لعقود من الزمان.

ناتاليا دميتروك
أوكرانيا
مترجمة للغة الإشارة

لفتت ناتاليا انتباه العالم في عام ٢٠٠٤ عندما كانت تعمل بالتليفزيون الوطني؛ لرفضها ترجمة خبر فوز فيكتور يانوكوفيتش بالانتخابات الرئاسية إلى لغة الإشارة، بسبب الفساد الواسع الانتشار وتزوير الانتخابات، فترجمت بدلًا من ذلك: «كل ما سمعتموه حتى الآن بالأخبار كذب. إنني أخجل من أن أترجم هذه الأكاذيب. يوشتشينكو هو الرئيس. وداعًا؛ فأغلب الظن أنكم لن تشاهدوني ثانية.»

بريجيت دجوبينوكو
غانا
توجيه نساء غانا

http://www.mwghana.org/home/index.php?option=com_content&view=article&id=21&Itemid=8

بريجيت خبيرة في اللياقة البدنية والصحة العقلية. بعد مشاركتها في شراكة التوجيه العالمية للمرأة بين وزارة الخارجية الأمريكية ومجلة فورتشن، بدأت برنامج سيستا هوبس؛ وهو برنامج توجيهي يستخدم الرياضة كوسيلة للتمكين والثقة بالنفس.

أنديشا فريد

أفغانستان

منظمة تعليم ورعاية الطفل الأفغاني

http://www.afceco.org/index.php/home

أنديشا مسئولة عن عشرة ملاجئ للأيتام في أفغانستان، حيث لا تكتفي بتوفير الملاذ من أجل ٤٥٠ طفلًا وحسب بل تقدم لهم التعليم وتعمل على تغيير النظرة العامة إلى هؤلاء الأطفال في كابول.

أودا كاسينزيجوا

رواندا

كبيرة مراقبي الشئون الجنسانية، رواندا

تعمل أودا من أجل خلق فرص للنساء في رواندا إضافة إلى إجراء أبحاث على صور اللامساواة القائمة. كانت تؤدي دورًا حقوقيًّا من أجل ضمان سماع أصوات النساء إبان إعمار البلاد عقب الحرب الأهلية.

ليما جبوي

ليبيريا

الشبكة النسائية من أجل السلام والأمن في أفريقيا

http://www.wipsen-africa.org/wipsen/

تشغل ليما منصب المديرة التنفيذية للشبكة النسائية من أجل السلام والأمن في أفريقيا، وحازت جائزة نوبل للسلام لعام ٢٠١١؛ لعملها على حشد النساء من مختلف الانتماءات العرقية والثقافية من أجل بناء السلام عقب الحرب الأهلية المدمرة التي شهدتها ليبيريا، إلى جانب عملها بلجنة الحقيقة والمصالحة.

عائشة حجي علمي

الصومال

منظمة إنقاذ النساء والأطفال الصوماليين

تعمل عائشة من أجل تحقيق السلام في الصومال من خلال دعم المرأة وتمكينها. معروف عن عائشة تأسيسها للعشيرة السادسة؛ وهي عشيرة من النساء أمكن إدماجها في البنية التقليدية للسلطة المشكَّلة من خمس عشائر في الصومال. أسست عائشة منظمة «إنقاذ النساء والأطفال الصوماليين»؛ وهي منظمة غير هادفة للربح مقرها مقديشيو ولها حضور في جميع أنحاء البلاد، من أجل الدعوة إلى الاعتراف الرسمي بالهويات والحقوق الفردية للنساء الصوماليات.

لطيفة جبابدي

المغرب

اتحاد العمل النسائي

http://www.uaf.ma/an/file.php

لطيفة ناشطة تدافع عن حقوق المرأة في المغرب، وتعمل من أجل نيل المرأة نفس الحقوق التي يتمتع بها الرجال. كان لها دور بالغ الأهمية في التغيير التاريخي الذي أُدخل على قانون الأسرة عام ٢٠٠٤.

جيو جيانمي

الصين

مركز الدراسات والخدمات القانونية للمرأة

http://www.woman-legalaid.org.cn/#

جيو محامية وناشطة تدافع عن حقوق الإنسان. قامت بتوفير الدعم القانوني للنساء من خلال منظمتها، وكان لها دور فاعل في مساعدة الحكومة على إعادة صياغة القوانين التي تحمي المرأة. أنشأت جيو المجموعة التعاونية للدعم القانوني — وهي منظمة غير حكومية — وشبكة الدعم القانوني لنساء الصين؛ لتجمع شمل الحقوقيين والمحامين والمستشفيات، وعلماء الاجتماع، والمسئولين الحكوميين، والمحاكم والمدارس والصحافيين، والمنظمات غير الحكومية، وعلماء النفس من ثمانية وعشرين إقليمًا في مختلف أنحاء الصين.

توكل كرمان
اليمن
صحافيات دون قيود

http://womenpress.org/index.php?lng=english

أسست توكل منظمة صحافيات بلا قيود، وحازت جائزة نوبل للسلام لعام ٢٠١١ تقديرًا لعملها كصحافية وناشطة تدافع عن حقوق الإنسان، ولدورها القيادي الصاعد إبان احتجاجات اليمن التي أدت إلى إيداعها السجن لفترة مؤقتة.

نُهى الخطيب
إسرائيل
مديرة التعليم المدني والتعليم المتعدد الثقافات بوزارة التعليم الإسرائيلية

عملت نُهى لما يربو على العشرين عامًا من أجل تيسير سبل التفاهم بين يهود وعرب إسرائيل من خلال مدارس «يدًا بيد» المتكاملة في إسرائيل، وعبر تصميم مناهج للمدارس اليهودية والعربية لصالح وزارة التعليم الإسرائيلية.

سونيتا كريشنان
الهند
براجوالا

http://www.prajwalaindia.com

أسست سونيتا منظمة براجوالا في مدينة حيدر آباد لإنقاذ النساء من أوكار الدعارة وتوفير التعليم لأطفالهن. تعلم المنظمة ٥٠٠٠ طفل من خلال سبع عشرة مدرسة. واعتبارًا من ديسمبر ٢٠١١، أنقذت المنظمة ما يربو على ٦٤٢٦ سيدة وطفلًا من براثن الدعارة.

ريبيكا لولوسولي
كينيا
قرية أوموجا النسائية

http://www.umojawomen.org/

لما أعيا ريبيكا العنف الذي تتعرض له المرأة في مجتمع السامبورو الذي تنتمي إليه، أنشأت ملاذًا آمنًا للنساء بقرية في شمال كينيا؛ حيث تدعو إلى نبذ العنف، والعمل على خلق فرص اقتصادية للمقيمات عن طريق مشغولات الخرز.

مختاران ماي
باكستان
ناشطة تدافع عن حقوق الإنسان
منظمة رفاهة المرأة

http://www.mukhtarmai.org/

امتدح العالم مختاران لمقاضاتها الرجال الذين اغتصبوها، وهي الجريمة التي أَمَر بها كبراء القرية للاقتصاص من أفعال أقدم عليها أخوها. أُلِّفت كُتبٌ وصُنعت أفلامٌ تروي قصتها، مثل كتاب «باسم الشرف: قصة حياة». استغلت المال الذي حصلت عليه من المحكمة في بناء مدارس في قريتها.

سومالي مام
كمبوديا
مؤسسة سومالي مام؛ التحرك من أجل النساء المستضعفات

http://www.somaly.org/about-smf/somaly-mam

http://www.afesip.org/

استغلت سومالي ماضيها الحالك الذي شهد بيعها في تجارة الاسترقاق الجنسي وهي فتاة صغيرة؛ لتجعل رسالتها الشخصية إنقاذ وإعادة تأهيل الفتيات اللاتي سقطن ضحية للمصير نفسه. لمزيد من المعلومات، طالع كتاب سومالي «طريق البراءة المفقودة: القصة الحقيقية لبطلة من كمبوديا».

إينيز ماكورماك
أيرلندا الشمالية
المشاركة وممارسة الحقوق

http://www.pprproject.org/

إينيز ناشطة رائدة عملت من أجل إحلال السلام في أيرلندا الشمالية، وشاركت في خروج اتفاقية الجمعة المجيدة للسلام عام ١٩٩٨ إلى النور. تدعم مبادرة المشاركة وممارسة الحقوق الجماعات المستضعفة في الدفاع عن حقها في المشاركة في القرارات الاجتماعية والاقتصادية التي تمس حياتها. تضطلع المبادرة حاليًّا بقضايا من بينها الصحة العقلية وتوفير السكن الملائم وغير ذلك من حقوق الجماعات التي تعيش في مختلف أنحاء جزيرة أيرلندا.

سمر منة الله خان
باكستان
إثنوميديا

http://www.ethnomedia.pk/

سمر صانعة أفلام وثائقية، وصحافية، وناشطة تدافع عن حقوق الإنسان، وعالمة أنثروبولوجيا. أعدت فيلمًا وثائقيًّا عن عادة سوارا — وهي عادة تُقدَّم فيها الفتيات كتعويض لإنهاء الصراعات — ما أدى إلى تجريم العادة في عام ٢٠٠٤. تدير سمر مبادرة إثنوميديا؛ وهي مبادرة إعلامية غير حكومية تلفت الانتباه إلى أنماط العنف المُجازة ثقافيًّا.

شوشو ناميجابي دوبوسون
جمهورية الكونغو الديمقراطية
الاتحاد الإعلامي النسائي في كيفو الجنوبية

http://www.afemsk.blogspot.com/

شوشو صحافية ومقدمة برنامج إذاعي استغلت تأثيرها لإلقاء الضوء على فظائع انتهاكات حقوق الإنسان المتفشية في الكونغو التي مزقتها الحرب. بالاستعانة بالاتحاد الإعلامي النسائي في كيفو الجنوبية، جذبت اهتمام الجمهور إلى قصص النساء، ولفتت انتباه العالم إلى الخسائر في الأرواح التي مُنيت بها بلدها.

كاكينيا نتايا
كينيا
مركز كاكينيا للتميز

http://kakenyasdream.org/academy.html

بعد نضالها من أجل مواصلة تعليمها في قرية الماساي التي كانت تقطنها في إينوسن، وعقب نيلها درجة الدكتوراه في التربية، عادت كاكينيا إلى وطنها لإنشاء مدرسة للفتيات على أمل ألا تضطر فتاة إلى النضال من أجل تعليمها مجددًا في المستقبل.

كارمليتا جوبيز نوكوي
الفلبين
العمل الإنمائي من أجل الشبكة النسائية

http://www.dawnphil.org/milestones.htm

أسست كارمليتا منظمة «دون» للفت الانتباه إلى قضية الاتجار في البشر، والدعوة إلى تخفيض عدد التأشيرات السياحية التي تمنحها الفلبين إلى اليابان، بعد أن اكتشفت أنها تُستخدم لتهريب النساء.

ماريا باتشيكو
جواتيمالا
شركة «غزال الغابة»

http://www.kiejdelosbosques.com/index.html

تعمل ماريا على ربط الشعوب الأصلية في جواتيمالا وغيرها من بلدان أمريكا اللاتينية بالأسواق من أجل تعزيز الاستقلال الاقتصادي، والحفاظ على ثقافة الشعوب الأصلية، كما دشنت فرع منظمة أصوات حيوية في أمريكا الوسطى.

ليرون بيليج-هادومي
إسرائيل
منسقة برنامج ليد حيفا

ليرون أخصائية اجتماعية تقدم خدماتها للمجتمع، وتعاونت مع المنظمات غير الحكومية التي تكرِّس جهودها لتعضيد العلاقات بين اليهود والعرب

في إسرائيل. ليرون منسقة برنامج ليد حيفا، وتتعاون مع القادة والقائدات من القطاع الخاص والمجتمع المدني وبلدية حيفا بشأن قضايا تطوير الذات، والتعليم المشترك، والتغيير الاجتماعي.

مارينا بيسكلاكوفا
روسيا
المركز الوطني للوقاية من العنف

http://anna-center.ru

المركز الوطني للوقاية من العنف أول خط ساخن مخصص للمرأة يهدف إلى مواجهة أشكال العنف المختلفة التي تُمارس ضد النساء في روسيا على جميع المستويات. واعتبارًا من عام ٢٠١٢، ضمت الشبكة أكثر من ١٦٠ منظمة. ساعد المركز وشبكته من الشركاء ما يربو على ٢٠٠ ألف سيدة.

دانييل سان-لوت
هاييتي
نساء من أجل الديمقراطية

http://fed.org.ht/

كرَّست دانييل حياتها المهنية للدعوة إلى حقوق المرأة وتمكينها من خلال مجموعة متنوعة من المنافذ في هاييتي. فمن دعم المرشحات السياسيات حتى تدشين مبادرة حِرفيات هاييتي، تفانت دانييل وفرع أصوات حيوية في تدبير سبل رخاء المرأة في هاييتي.

روزانا شاك
ليبيريا
منظمة ثينك

http://www.thinkliberia.com/

أسست روزانا منظمة «بشر في حاجة إلى العطف» (ثينك) في أبريل ٢٠٠٣؛ لتوفير الدعم على المستوى الشعبي لعمليات السلام في ليبيريا. وفي أكتوبر ٢٠٠٣، افتتحت ملجأ ثينك لإعادة التأهيل، الذي يوفر العلاج والتعليم والدعم

للفتيات اللاتي كنَّ جندياتٍ، أو نجون من الاتجار بالبشر، أو كنَّ ضحايا للعنف، أو اشتغلن بالدعارة، أو انفصلن عن أسرهن على خلفية الحرب.

مو سوشوا
كمبوديا
عضوة بالبرلمان الكمبودي

http://musochua.org/

استغلت سوشوا منصبها عضوة بالبرلمان الكمبودي في إلقاء الضوء على انتهاكات حقوق الإنسان والقضايا المتعلقة بالمرأة في جميع أنحاء البلاد.

أديميمالاجا تافوناي
ساموا
منظمة المشتغلات بتنمية الأعمال

http://www.womeninbusiness.ws/

شاركت آدي في إقامة منظمة المشتغلات بتنمية الأعمال في عام ١٩٩١؛ لمواجهة التحديات الاقتصادية التي تعانيها نساء ساموا الريفيات. علاوة على ذلك، أقامت آدي شراكة بين المؤسسة وشركة ذا بودي شوب، التي تبيع فيها العضوات حاليًّا زيت جوز الهند البكر العضوي. تتولى آدي منصب المديرة التنفيذية لمنظمة المشتغلات بتنمية الأعمال؛ حيث تشرف على برامج التمويل المتناهي الصغر والتثقيف المالي.

أنيل تاونسند دييز-كانسيكو
بيرو
عضوة سابقة بالكونجرس؛ وزيرة شئون المرأة والتنمية الاجتماعية

امتهنت أنيل الصحافة ثم ولجت مجال السياسة في عام ١٩٩٥ لمكافحة الفساد، وتشجيع مشاركة المرأة في العملية السياسية. تواصل أنيل دعوتها إلى المساواة بين الجنسين، وإلى تحقيق مزيد من الشفافية في المؤسسات الحكومية في بيرو وأمريكا اللاتينية. وتعمل مستشارة لمنظمات عديدة مثل: مصرف التنمية للبلدان الأمريكية، واللجنة النسائية للبلدان الأمريكية، ومنظمة الدول الأمريكية والبنك الدولي.

كاه والا
الكاميرون
مكتب ستراتيجيز

http://www.kahwalla.com

كاه رائدة أعمال، وهي المسئولة التنفيذية لمكتبها الاستشاري ستراتيجيز. منذ عام ٢٠٠٧، تقلدت منصبًا بمجلس المدنية، وترشحت لمنصب رئيس الكاميرون في عام ٢٠١١ ببرنامج انتخابي يعد بمحاربة الفساد وتلبية احتياجات سكان الكاميرون المهمشين.

روشانا ظفر
باكستان
مؤسسة كشف

http://www.kashf.org/site_files/default.asp

تعمل روشانا من أجل التمكين الاقتصادي للباكستانيات الفقيرات من خلال قروض الائتمان المتناهي الصغر وخلق فرص العمل، بتوفير العمل للنساء بمصرفها، الذي يقوم بتوزيع القروض. بدأت مؤسسة كشف (التي تعني معجزة أو وحيًا؛ وهي عملية يدرك فيها المرء ذاته) في عام ١٩٩٦، وكانت أول مؤسسة للتمويل المتناهي الصغر تستهدف النساء وحدهن من المجتمعات المتدنية الدخل، كما أنها كانت أول مؤسسة تمويل متناهي الصغر تطلب سعرًا مناسبًا مقابل خدماتها.

ملاحظات

مقدمة

(1) O’Connor, Sarah. “Iceland Calls in Women Bankers to Clean Up ‘Young Men’s Mess,’” *Financial Times,* Oct. 14, 2008. http://www.ft.com/intl/cms/s/0/6107e59c-9988-11dd-9d48-000077b07658.html#axzz1gQtr7LMQ.

(2) Lagarde, Christine. “Women, Power, and the Challenge of the Financial Crisis.” *New York Times,* May 11, 2010. http://www.nytimes.com/2010/05/11/opinion/11iht-edlagarde.html.

(3) “Women: A Work Never Done,” *The Economist Online*, Mar. 8, 2011. http://www.economist.com/blogs/dailychart/2011/03/women.

(4) “The lion kings?” *The Economist Online,* Jan. 6, 2011. http://www.economist.com/node/17853324.

(5) Lawson, Sandra, and Goldman Sachs. “Women Hold Up Half the Sky.” Global Economics Paper No: 164, Mar. 4, 2008.

(6) Summers, Lawrence H., and World Bank. “Investing in All the People: Educating Women in Developing Countries.” EDI Seminar Paper No. 45, 1994.

(7) Kent, Muhtar. "Who Will Drive the 21st Century Agenda? Women," Coca-Cola Company. http://www.thecoca-colacompany.com/dynamic/leadershipviewpoints/2010/10/women-key-to-global-economic-growth-kent-tells-yale-students.html.

(8) *UNESCAP.* "Economic and Social Survey of Asia and the Pacific 2007: Surging Ahead in Uncertain Times," 2007, (103). http://www.unescap.org/survey2007/download/01_Survey_2007.pdf.

(9) *UNICEF.* "The State of the World's Children 2011." Chapter 4: Investing in Adolescents. (74) http://www.unicef.org/sowc2011/pdfs/SOWC-2011-Main%20Report-chapter%204_12082010.pdf.

(10) "The importance of sex." *The Economist,* Apr 12th, 2006. http://www.economist.com/node/6800723.

(11) *United Nations Development Fund for Women,* "Investing in Women-Solving the Poverty Puzzle." 2007. www.womenfightpoverty.org/docs/WorldPovertyDay2007_FactsAndFigures.pdf.

(12) Rampell, Catherine. "Women Now a Majority in American Workplaces." *The New York Times.* Feb. 5, 2010. http://www.nytimes.com/2010/02/06/business/economy/06women.html.

(13) *World Bank.* "Gender Action Plan: Gender Equality as Smart Economics." 2011. http://www.web.worldbank.org/WBSITE/EXTERNAL/TOPICS/EXTGENDER/0,,contentMDK:21983335~pagePK:210058~piPK:210062~theSitePK:336868,00.html.

(14) *White House.* "United States National Action Plan on Women, Peace, and Security," Dec. 2011. http://www.whitehouse.gov/sites/default/files/email-files/US_National_Action_Plan_on_Women_Peace_and_Security.pdf.

(15) Benschop, Marjolein. "Women's Rights to Land and Property," Commission on Sustainable Development, Apr. 2004. http://www.unhabitat.org/downloads/docs/1556_72513_CSDWomen.pdf.

(16) *Women's Economic Opportunity Index* (New York: Economist Intelligence Unit Limited, 2010), 23.

Women's Economic Opportunity Index (New York: Economist Intelligence Unit Limited, 2010), 23–24.

Women's Economic Opportunities in the Formal Private Sector in Latin America and the Caribbean (Washington DC: The International Bank for Reconstruction and Development/The World Bank, 2010), 11.

Rama Ramaswami et al., *Scaling up: Why Women-owned Businesses Can Recharge the Global Economy* (EYGM Limited, 2009), 14.

Martin Valdivia, "Training or Technical Assistance? A Field Experiment to Learn What Works to Increase Managerial Capital for Female Microentrepreneurs." (Paper presented at the World Bank Conference on Female Entrepreneurship, Washington, DC, April 6, 2011), 47.

Kirrin Gill, et al., *Bridging the Gender Divide: How Technology Can Advance Women Economically* (Washington DC: The International Center for Research on Women, 2010), 2.

Kirrin Gill, et al., *Bridging the Gender Divide: How Technology Can Advance Women Economically* (Washington DC: The International Center for Research on Women, 2010), 3.

Women's *Economic Opportunities in the Formal Private Sector in Latin America and the Caribbean* (Washington DC: The International Bank for Reconstruction and Development/The World Bank, 2010), 11.

Sarah Gammage, et al., *Enhancing Women's Access to Markets: An Overview of Donor Programs and Best Practices* (Washington DC: USAID, 2005), 11.

Enhancing Women's Market Access and Promoting Pro-poor Growth, in *Promoting Pro-Poor Growth: Private Sector Development* (Paris: OECD, 2006), 67.

Donna J. Kelley, et al., *Global Entrepreneurship Monitor 2010 Report: Women Entrepreneurs Worldwide* (Babson College and the Global Entrepreneurship Research Association, 2011), 42.

Donna J. Kelley, et al., *Global Entrepreneur Monitor 2010 Report: Women Entrepreneurs Worldwide* (Babson College and the Global Entrepreneurship Research Association, 2011), 29.

Donna J. Kelley, et al., *Global Entrepreneur Monitor 2010 Report: Women Entrepreneurs Worldwide* (Babson College and the Global Entrepreneurship Research Association, 2011), 43.

Claudia Piras, "Chile Emprendedoras: Promoting Women in Dynamic Business," Presentation at the World Bank Conference on Female Entrepreneurship, Washington, DC, April 6, 2011.

Women's Economic Opportunities in the Formal Private Sector in Latin America and the Caribbean (Washington DC: The International Bank for Reconstruction and Development/The World Bank, 2010), 36–37.

Elaine Allen, et al., *Global Entrepreneurship Monitor 2007 Report on Women and Entrepreneurship* (Babson College and the Global Entrepreneurship Research Association, 2007), 9.

Women, Business and the Law: Measuring Legal Gender Parity for Entrepreneurs and Workers in 128 Economies (Washington DC: The International Bank for Reconstruction and Development/The World Bank, 2010), 5 and 8.

(17) Katz, Jonathan. "The Business Case for Supply Chain Diversity." *Industry Week.* Nov. 16, 2011. http://www.industryweek.com/articles/the_business_case_for_supply_chain_diversity_26010.aspx?ShowAll=1.

(18) Economist Intelligence Unit, Women's Economic Opportunity Index, 2010, page 13.

(19) Bachelet, Michelle. "A Comprehensive Policy Agenda to End Violence Against Women: Prevention, Protection and Provision of Services

Key." *UN Women.* Nov. 22, 2011. http://www.unwomen.org/2011/11/a-comprehensive-policy-agenda-to-end-violence-against-women/.

(20) *United Nations Development Fund for Women.* "Violence Against Women—Facts and Figures," Nov. 2007. http://www.unifem.org/attachments/gender_issues/violence_against_women/facts_figures_violence_against_women_2007.pdf.

(21) *United Nations Entity for Gender Equality and the Empowerment of Women.* "2011-2012 Progress of the World's Women: In Pursuit of Justice." http://progress.unwomen.org/pdfs/EN-Report-Progress.pdf.

الفصل الأول: قوة دافعة أم شعور بالواجب؟

(1) *US Department of State.* "Background Note: Burma." Aug. 3, 2011. http://www.state.gov/r/pa/ei/bgn/35910.htm.

(2) *US Department of State.* "Background Note: Burma." Aug. 3, 2011. http://www.state.gov/r/pa/ei/bgn/35910.htm.

(3) Sejersted, Francis. "Award Ceremony Speech." *Nobel Prize.* 1991.http://www.nobelprize.org/nobel_prizes/peace/laureates/1991/presentation-speech.html?print=1.

(4) "Gendercide: The War on Baby Girls." *The Economist.* March 4, 2010. Accessed August 15, 2011. http://www.economist.com/node/15606229?story_id=15606229&source=most_commented. "Tens of Millions of 'Missing' Girls." *CNN.* September 5, 2010. Accessed August 18, 2011. http://www.articles.cnn.com/2010-09-05/opinion/wudunn.women.oppression_1_baby-girls-sheryl-wudunn-girls-in-many-countries?_s=PM:OPINION.

(5) "Hillary Clinton Urged to Skip China; Dole, Lugar Say Trip to Women's Conference Would Not Help U.S." *Washington Post,* Aug. 21, 1995.

(6) Clinton, Hillary Rodham. *Living History.* New York: Simon & Schuster, 2004, 298.

(7) *Inter-Parliamentary Union.* "Equality in Politics: A Survey of Women and Men in Parliaments," 2008, (26) http://www.ipu.org/PDF/publications/equality08-e.pdf.

(8) *Amnesty International.* "Russian Federation: Nowhere to turn to: violence against women in the family." Dec. 14, 2005. (1) http://www.amnesty.org/en/library/asset/EUR46/056/2005/en/d61aeef6-d47e-11dd-8743-d305bea2b2c7/eur460562005en.pdf.

(9) Obadina, Tunde. "Nigeria's Economy at the Crossroads," *Africa Recovery 13*(1), June 1999, 8. http://www.un.org/ecosocdev/geninfo/afrec/subjindx/subpdfs/131nigr.pdf.

(10) *UNICEF.* "The Nigeria Situation." http://www.unicef.org/nigeria/1971_2199.html.

(11) Obadina, Tunde. "Nigeria's Economy at the Crossroads," *Africa Recovery 13*(1), June 1999, 8. http://www.un.org/ecosocdev/geninfo/afrec/subjindx/subpdfs/131nigr.pdf.

(12) Ibid.

(13) Ibid.

(14) Ibid.

(15) Vera, Dr. Raúl R. "Peru." *Food and Agriculture Organization of the United Nations.* 2006. http://www.fao.org/ag/AGP/AGPC/doc/Counprof/PDF%20files/Peru_English.pdf.

(16) *International Crisis Group (2008).* "Somalia: To Move Beyond a Failed State." *Africa Report.* (47). http://www.crisisgroup.org/home/index.cfm?id=5836&l=1.

(17) *United Nations Population Fund.* "Country Programme Document for Somalia," Executive Board of the United Nations Development Programme and of the United Nations Populations Fund, 2007. Retrieved

from http://www.unfpa.org/exbrd/2008/first session/dpfpa_cpd_som_1 .pdf.

(18) *UNICEF.* "Eastern and Southern Africa – Child Protection Issues." http://www.unicef.org/esaro/5480_child_protection.html.

الفصل الثاني: جذور راسخة في المجتمع

(1) "Researchers Warn of Impending Disaster from Mass Arsenic Poisoning," *Bulletin of the World Health Organization,* Sept. 2000. http://www.who.int/inf-pr-2000/en/pr2000-55.html.

(2) Healy, Ann Marie and Andrew Zolli. "Vision Statement: When Failure Looks Like Success." *Harvard Business Review Magazine.* Apr. 1, 2011.

(3) Ibid.

(4) "Hillary Rodham Clinton," *New York Times,* Dec. 1, 2011. http://topics.nytimes.com/top/reference/timestopics/people/c/hillary_rodham_clinton/index.html.

(5) Eagly, Alice H., and Linda L. Carli. "The Female Leadership Advantage: An Evaluation of the Evidence," *Leadership Quarterly,* 2003, 14, 807–34.

(6) *Inter-Parliamentary Union.* "Equality in Politics: A Survey of Women and Men in Parliaments," 2008, (16). http://www.ipu.org/PDF/publications/equality08-e.pdf.

(7) Goleman, Daniel. "What Makes a Leader?" *Harvard Business Review, Nov. 2011, www.hbr.org/2004/01/what-makes-a-leader/ar/pr.*

(8) *Embassy of the State of Kuwait - Australia and New Zealand.* "The Role of Women in Kuwait." http://www.kuwaitemb-australia.com/women.html.

(9) Eltahawy, Mona. "Kuwait rejects political rights for women." *The Guardian.* Nov. 30, 1999. http://www.guardian.co.uk/world/1999/dec/01/1.

(10) *Global Security.* "Guatemala Civil War 1960–1996," (3). http://www.globalsecurity.org/military/world/war/guatemala.htm.

(11) *Lonely Planet.* "History: Guatemala." http://www.lonelyplanet.com/guatemala/history#160740.

(12) "Timeline: Guatemala's History of Violence" *PBS Frontline World.* http://www.pbs.org/frontlineworld/stories/guatemala704/history/timeline.html#.

(13) *U.S. Department of State: Bureau of East Asian and Pacific Affairs.* "Background Note: Cambodia." Aug. 10, 2011. http://www.state.gov/r/pa/ei/bgn/2732.htm.

(14) *Mu Sochua: MP & Human Rights Advocate.* "Bio." http://sochua.wordpress.com/history/biography/.

(15) *CIA* Factbook. "Pakistan." https://cia.gov/library/publications/the-world-factbook/geos/pk.html.

(16) *US Department of State.* "Background Note: Cameroon." Jan. 1, 2012. http://www.state.gov/r/pa/ei/bgn/26431.htm.

(17) *International Monetary Fund.* "Cameroon: Poverty Reduction Strategy Paper." IMF Country Report No. 10/257. Aug 2010. (14-15, 41) http://www.imf.org/external/pubs/ft/scr/2010/cr10257.pdf.

(18) Hamano, Aya. "GDP for American Samoa, the Commonwealth of the Northern Mariana Islands, Guam, and the U.S. Virgin Islands." *US Department of Commerce: Bureau of Economic Analysis.* Sept. 2011. (42).http://www.bea.gov/scb/pdf/2011/2009%20September/0911_territories.pdf.

(19) *World Health Organization.* "WHO Multi-country Study on Women's Health and Domestic Violence against Women: Samoa." 2005. http://www.who.int/gender/violence/who_multicountry_study/fact_sheets/Samoa2.pdf.

(20) *Millennium Development Goals Indicators.* "Seats held by women in national parliament, percentage." Aug. 29, 2011. http://mdgs.un.org/unsd/mdg/SeriesDetail.aspx?srid=557&crid=882.

الفصل الثالث: القدرة على الوصل بين مواطن الفصل

(1) "Betty Williams—Nobel Lecture." http://www.nobelprize.org/nobel_prizes/peace/laureates/1976/williams-lecture.html.

(2) Ibid.

(3) Aarvik, Egil. "Award Ceremony Speech," *Nobel Prize,* Dec. 10, 1977. http://www.nobelprize.org/nobel_prizes/peace/laureates/1976/press.html#.

(4) Finch, Cristina. "No Woman, No Peace,"*Amnesty International,* Dec. 19, 2011. http://www.blog.amnestyusa.org/women/no-woman-no-peace/.

(5) Nye, Joseph S. "When women lead the world," *Al Jazeera,* Feb. 17, 2012. http://www.aljazeera.com/indepth/opinion/2012/02/201221075020654159.html?utm_content=automateplus&utm_campaign=Trial6&utm_source=SocialFlow&utm_term=tweets&utm_medium=MasterAccount.

(6) Fisher, Helen. The First Sex: The Natural Talents of Women and How They Are Changing the World, New York: Random House, 1999.

(7) Goleman, Daniel. "What Makes a Leader?" *Harvard Business Review,* Nov. 2011. www.hbr.org/2004/01/what-makes-a-leader/ar/pr.

(8) Eagly, Alice H., Mary C. Johannesen-Schmidt, and Marloes L. van Engen. "Transformational, Transactional, and Laissez-Faire Leadership Styles: A Meta-Analysis Comparing Women and Men," *Psychological Bulletin 129*(4), 2003, 569–91.

(9) Burke, Sarah and Karen M. Collins. "Gender Differences in Leadership Styles and Management Skills," *Women In Management Review, 16*(5),

pp. 244–257, 2001 Rosener, J. B. “Ways Women Lead,” *Harvard Business Review, 68*,(6), 119–125, 1990 Fine, Marlene G. “Women, Collaboration, and Social Change: An Ethics Based Model of Leadership,” in *Women and Leadership: Visions and Diverse Voices*, ed. Jean Lau Chin, Betrice Lott, Joy K. Rice, and Janis Sanchez-Hucles, 177–91. Boston: Blackwell, 2008.

(10) Summers, Chris. “Lives lost to the Troubles.”*BBC News.* Jan. 28, 2009. http://news.bbc.co.uk/2/hi/7853266.stm.

(11) Kershner, Isabel. “Elusive Line Defines Lives in Israel and the West Bank.” *The New York Times.* Sept. 6, 2011. http://www.nytimes.com/2011/09/07/world/middleeast/07borders.html?pagewanted=all.

(12) *The Sixth African Development Forum.* “Achieving gender equality and women’s empowerment in Africa Progress Report.” Nov. 19–21, 2008. (23). http://www.uneca.org/adfvi/documents/ADFVI_Progress_Report_ENG.pdf.

(13) “Women: A Work Never Done,” *The Economist Online,* Mar. 8, 2011. http://www.economist.com/blogs/dailychart/2011/03/women.

(14) *The Sixth African Development Forum.* “Achieving gender equality and women’s empowerment in Africa Progress Report.” Nov. 19–21, 2008. (22). http://www.uneca.org/adfvi/documents/ADFVI_Progress_Report_ENG.pdf.

(15) Coleman, Isobel. “The Better Half.” *Foreign Affairs.* Jan/Feb 2010. http://www.foreignaffairs.com/articles/65728/isobel-coleman/the-better-half?page=show.

(16) *Health Poverty Action.* “Success Stories: Using Radio to improve health education.” http://www.healthpovertyaction.org/where-we-work/africa/rwanda/radio/.

الفصل الرابع: أفكار جريئة وأفعال جسورة

(1) Gbowee, Leymah. "Nobel Lecture," *Nobel Prize,* Dec. 10, 2011.http://www.nobelprize.org/nobel_prizes/peace/laureates/2011/gbowee-lecture_en.html.

(2) Sirleaf, Ellen Johnson. "Nobel Lecture," *Nobel Prize,* Dec. 10, 2011. http://www.nobelprize.org/nobel_prizes/peace/laureates/2011/johnson_sirleaf-lecture_en.html.

(3) *U.S. Department of State, Bureau of African Affairs.* "Background Note: Liberia," Nov. 22, 2011. http://www.state.gov/r/pa/ei/bgn/6618.htm.

(4) Karman, Tawakkol. "Nobel Lecture," *Nobel Prize,* Dec. 10, 2011. http://www.nobelprize.org/nobel_prizes/peace/laureates/2011/karman-lecture_en.html.

(5) Maxfield, Sylvia, Mary Shapiro, Vipin Gupta, and Susan Hass. "Gender and Risk: Women, Risk Taking and Risk Aversion," *Gender in Management: An International Journal 25*(7), 2010, 586–604.

(6) *U.S. Department of State, Bureau of Western Hemisphere Affairs.* "Background Note: Argentina," Mar. 12, 2012. http://www.state.gov/r/pa/ei/bgn/26516.htm.

(7) *BBC News.* "Argentine Mothers Mark 30 Years." Apr. 30, 2007. http:/news.bbc.co.uk/2/hi/americas/6608871.stm.

(8) Boustany, Nora. "As Ukraine Watched the Party Line, She Took the Truth into Her Hands," *Washington Post,* Apr. 29, 2005. http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2005/04/28/AR2005042801696.html.

(9) Ibid.

(10) *National Democratic Institute.* "Campaign Schools Prepare Egyptian Women to Run for Office." Sept. 29, 2011. http://www.ndi.org/campaign-schools-Egypt.

(11) Ryan, Michelle K., and S. Alexander Haslam. "The Glass Cliff: Evidence That Women Are Over-Represented in Precarious Leadership Positions," *British Journal of Management, 16,* 81–90, 2005.

(12) Mather, Mara, Nicole R. Lighthall, Lin Nga, and Marissa A. Gorlick. "Sex Differences in How Stress Affects Brain Activity During Face Viewing," *Neuroreport 21*(14), 2010, 933–37. Accessed Aug. 15, 2011, doi:10.1097/WNR.0b013e32833ddd92.

(13) Hossain, Dr. Naomi, and Dr. Celestine Nyamu Musembi. "Corruption, Accountability and Gender: Understanding the Connections." United Nations Development Fund for Women. 2010.

(14) *Centers for Disease Control and Prevention.* (Footnote.) "Understanding Intimate Partner Violence," 2012. http://www.cdc.gov/ViolencePrevention/pdf/IPV_Factsheet-a.pdf.

(15) *U.S. Department of State, Bureau of Western Hemisphere Affairs.* "Background Note: Argentina," Mar. 12, 2012. http://www.state.gov/r/pa/ei/bgn/26516.htm.

(16) Anderson, Lisa. "TRUSTLAW POLL—Afghanistan Is Most Dangerous Country for Women." *TrustLaw Women,* Jun. 15, 2011. http://www.trust.org/trustlaw/news/trustlaw-poll-afghanistan-is-most-dangerous-country-for-women.

(17) *International Rescue Committee.* "Measuring Mortality in the Democratic Republic of Congo." http://www.rescue.org/sites/default/files/resource-file/IRC_DRCMortalityFacts.pdf.

(18) "DR Congo Mass Rape Verdicts Send Strong Signal to Perpetrators—UN envoy," UN News Centre, Feb. 21, 2011, http://www.un.org/apps/news/story.asp?NewsID=37580&Cr=sexual.

الفصل الخامس: رد الجميل

(1) Fisher, Helen E. "The Natural Leadership Talents of Women." In *Enlightened Power: How Women Are Transforming the Practice of Leadership*, edited by Linda Coughlin, Ellen Wingard, and Keith Hollihan, 133–40. San Francisco: Jossey-Bass, 2005.

(2) *USAID: Swaziland.* "HIV/AIDS Health Profile," Oct. 2010. http://www.usaid.gov/our_work/global_health/aids/Countries/africa/swaziland_profile.pdf.

(3) *USAID: Swaziland.* "HIV/AIDS Health Profile," Oct. 2010. http://www.usaid.gov/our_work/global_health/aids/Countries/africa/swaziland_profile.pdf.

(4) Burt, Ronald S. "The Network Structure of Social Capital." *Research in Organizational Behavior.* Volume 22, *(345-423)* 2000. http://www.jaylee.business.ku.edu/MGMT%20916/PDF/The%20Network%20Structure%20of%20Social%20Capital.pdf.

(5) Carter, Nancy M., Herminia Ibarra, and Christine Silva. "Why Men Still Get More Promotions than Women: Your High-Potential Females Need More than Just Well-Meaning Mentors," *Harvard Business Review,* Sept. 2010, http://static.ow.ly/docs/HBR Why Men Still Get More Promotions Than Women_6s5.pdf.

(6) Ragins, Belle Rose, and Terri A. Scandura. "Burden or Blessing? Expected Costs and Benefits of Being a Mentor," *Journal of Organizational Behavior 20*(4), July 1999, 493–509.

(7) FED became a model for women around the world and particularly in the region, where ten local Vital Voices chapters throughout the Americas have enabled the women we have served to reach thousands more women and develop leaders locally. From 2000 to 2006, Vital Voices trained and supported 2,700 women globally. Working in collaboration

with our chapters, in 2010 alone we were able to train and support that same number, just in Latin America.

(8) *CIA World Factbook.* "Background Note: Haiti." Feb. 21, 2012. https://www.cia.gov/library/publications/the-world-factbook/geos/ ha .html.

(9) Ibid.

(10) Nandal, Santosh. "Extent and Causes of Gender and Poverty in India: A Case Study of Rural Hayana," *Journal of International Women's Studies 7*(2), Nov. 2005.

(11) *UN News Centre.* "Tens of millions to benefit from India's Right to Education Act—UN agencies." Apr. 3, 2010. http://www.un.org/apps/ news/story.asp?Cr=education&Cr1=&NewsID=34273.

(12) *The World Bank.* "2012 World Development Report: Gender Equality and Development." 2012 (152). http://siteresources.worldbank .org/INTWDR2012/Resources/7778105-1299699968583/7786210-1315936222006/Complete-Report.pdf.

الخاتمة

(1) Yi, Matthew. "Young Berkeley Journalists Broke Landlord Story Early." *SFGate.* Jan. 21, 2000. http://www.sfgate.com/cgi-bin/article.cgi? f=/e/a/2000/01/21/NEWS13537.dtl.

(2) *Girls Not Brides.* "Key Facts," 2002. http://girlsnotbrides.org/ child-marriage/.

(3) *The Elders.* "Girls Not Brides—A New Global Partnership to End Child Marriage." Sept. 20, 2011. http://theelders.org/he/article/girls-not-brides-new-global-partnership-end-child-marriage.

مصادر الصور

الفصل الأول

Photo of Marina Pisklakova by Maria Soshenko; photo of Hafsat Abiola by Sharon Farmer; photo of Anel Townsend Diez-Canseco by the Photographic Archive of the Ministry of Women Affairs of Peru; photo of Sunitha Krishnan by Micky Wiswedel; photo of Hawa Abdi by Josh Cogan.

الفصل الثاني

Photo of Lubna Al-Kazi by Josh Cogan, photo of Maria Pacheco by Josh Cogan, photo of Mu Sochua by Micky Wiswedel, photo of Roshaneh Zafar by Josh Cogan, photo of Kah Walla by Micky Wiswedel, photo of Rosana Schaack by Amy Drucker, photo of Adimaimalaga Tafuna'i by Aaron Kisner.

الفصل الثالث

Photo of Inez McCormack by PressEye Photography Northern Ireland, photo of Asha Hagi Elmi by the Clinton Global Initiative, photo of Noha Khatieb by Josh Cogan, photo of Latifa Jbabdi by Sharon Farmer, photo of Oda Gasinzigwa by Sharon Farmer, photo of Rita Chaikin by Alexander Ivshin, photo of Afnan Al Zayani by Josh Cogan.

الفصل الرابع

Photo of Rebecca Lolosoli by Josh Cogan, photo of Panmela Castro by Aaron Kisner, photo of Carmelita Gopez Nuqui by Peace Boat, photo of Laura Alonso by Josh Cogan, photo of Guo Jianmei by Liu Yulin, photo of Chouchou Namegabe Dubuisson by Chris Wright, photo of Sohini Chakraborty by Kolkata Sanved Archive.

الفصل الخامس

Photo of Danielle Saint-Lot by Josh Cogan, photo of Liron Peleg-Hadomi and Noha Khatieb by Josh Cogan, photo of Andeisha Farid by Josh Cogan, photo of Kakenya Ntaiya by Kate Cummings, photo of Jaya Arunachalam by P. Rajeswari, photo of Samar Minallah Khan by Shiza Shahid.

هنــــداوي